اليوم الآخر

الطبعة الثانية

١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م



حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤

Mob. +965 **67644426**



اليوم الآخر

في القرآن الكريم والسنة النبوية

تأليف
د. عبد المحسن بن زبن المطيري
رئيس قسم الحديث والتفسير بكلية الشريعة - جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله تعالى فطر الإنسان على الإحساس بوجود عالم آخر بعد الموت وحياة أخرى بعد هذه الحياة، فتجد بني آدم يشتاقون إلى حياة خالدة ولو في عالم غير هذا العالم، وهذا الإحساس شائع في نفوس البشر بحيث لا يمكن النظر إليه باستخفاف.

وقد حاول البشر منذ الأزل أن يعرفوا أوصاف هذا العالم الآخر، ولكن لا يخلو وصف الناس لما بعد الموت من التخرص والتقول بغير علم، لذلك جاءت الرسالات السماوية مبينة حقيقة ذلك اليوم ومبشرة بحياة أخرى بعد الموت، وجعلت مصير كل إنسان مرتهن بما قدمت يداه في الحياة الدنيا.

وحيث إن القرآن الكريم خاتم لجميع الرسالات السماوية وليس بعده رسالة تبين للناس ما يختلفون فيه وما يستجد في حياتهم، فإنه جاء وافيًا بمطالب الروح والجسد في تعاليمه وتوجيهاته.

ولما كان الجدل مرتكزًا في بني الإنسان جبلة وطبعا -كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤]-، وكان الاقتناع بحياة أخرى بعد الموت من الأمور التي شغلت فكر العالم أجمع، فإن القرآن جاء وافيًا بالأدلة



والبراهين القاطعة على البعث والجزاء، وعرض ذلك في نماذج حية وضمنها شُبه المنكرين، ولم يتركها تمر دون مناقشة لها، بل أبطل شبههم بالمنطق الصحيح والبراهين العقلية والحسية التي تزيل فكرة الفناء الأبدي التي علقت ببعض الأفكار السقيمة، وتطمئن المؤمن وتدفعه للعمل الصالح، وتحيي عنده آمال التسابق إلى الدرجات العلى في حياة أفضل.

وقد بين لنا القرآن ما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه والنفخ في الصور والبعث والحشر والنشر والشفاعة والحساب والصحف والميزان والحوض والصراط والنار والجنة وغير ذلك مما يكون بعد الموت، بينه بياناً شافيًا وفصَّله تفصيلاً واضحًا حتى كأننا وإياه رأي العين.

ورغبة مني في الإسهام في استخراج هذا البيان وهذا الوصف الشامل، والرد على المنكرين -سواء كان إنكارًا كليًا أو جزئيًا- كتبت هذه الرسالة.

وأهمية هذه الرسالة تتضح في أمور كثيرة، منها:

١ - البيان التام والوصف الشامل والتصوير الكامل لجميع أحداث اليوم الآخر، مما يجيب على الكثير من التساؤلات.

٢- عموم الفائدة فيه للعالم والعامي والخطيب والواعظ والرجل والمرأة والصغير والكبير.

٣- التأثير البالغ الذي يحدثه الإيمان أو الكفر باليوم الآخر في حياة الإنسان، بل في حياة البشرية قاطبة.

وأما أسباب اختياري هذا الموضوع فهي على النحو التالي:

١- انتشار التكذيب بالبعث في هذا العصر لاسيما عند الشيوعيين ومن

شايعهم من أهل الإسلام، فكان لزامًا علينا الرد عليهم بالأدلة العقلية والنقليه.

٢- عدم الكتابة في هذا الموضوع -حسب اطلاعي- من هذا الجانب وهو الجانب القرآني فقط، وعدم وجود رسالة بهذا التقسيم للموضوع، جامعة لجل جوانبه أو حاصرة لغالب مسائله.

٣- الإحاطة بتفسير جزء كبير من القرآن، ومحاولة استخراج بعض ما احتواه كتاب الله في هذا الموضوع من العلم والفوائد والمعارف في منطوقه ومفهومه ولوازمه وإشاراته، وبيان أنه كله حق.

٤- الكثير من الإشكالات في هذا الباب تحتاج الجواب عنها وبيان وجهها، والتوفيق بين الكثير من المسائل التي ظاهرها التعارض.

٥- طعن بعض المعاصرين في بعض المباحث والتشكيك فيها مع أن الدليل صحيح صريح فيها.

٦- عدم التعرض لبعض المباحث في اليوم الآخر بالكتابة، حيث لم أجد -حسب إطلاعي- من تكلم عنها.

٧- بعض المباحث كُتبت فيها كتابات لكنها لا تزال تحتاج إلى مزيد توضيح وتحقيق وبيان.

٨- الاهتمام البالغ من الشارع باليوم الآخر كما سيتضح هذا فيما يأتي.

٩- الغالب في مواضيع الرسائل العلمية هو الطرح العلمي البحت مما يجعل الرسالة فيها شيء من الجفاف والثقل، بينما الجانب الإيماني في هذا الموضوع يكسب الرسالة الكثير من رقة القلب.

وقد واجهتني في مسيرة هذه الرسالة صعوبات، منها:

١- كثرة الآيات التي تتحدث عن أحداث اليوم الآخر، حيث وجدت أكثر من ألف وستمائة آية تتحدث عن هذا الموضوع، أي ما يقارب من ربع القرآن، فأخذت مني جهداً ووقتًا في تجميعها وترتيبها وتفسيرها.

٢- تشعب الموضوع وكثرة مسائله وصعوبة حصرها.

٣- اجتهدت اجتهادًا طويلاً في ترتيب الأحداث والوقائع، حيث إن الاختلاف في ترتيبها شديد[1]، مما كان يستوقفني في أوقات كثيرة ويضطرني لزيادة البحث والمراجعة للمصادر وسؤال العلماء مشافهة.

٤- عدم تعرض المتحدثين عن اليوم الآخر لبعض المباحث مع أهميتها، فاحتاج مني جهدًا خاصًا في تجميع مادتها وترتيبها وشرحها.

٥- كثرة الإشكالات، واحتياج كثير من المسائل التحقيق فيها.

وأما منهجي في هذه الرسالة فهو على النحو التالي:

١- عزوت الآيات إلى سورها مع بيان رقم الآية، وأجعلها بين معكوفين بعد الآية مباشرة في صلب الرسالة، وهذا في أول ذكر للآية فقط.

٢- خرجت الأحاديث التي أذكرها، فإن كان الحديث في الصحيحين او أحدهما بيَّنت موضعه فيهما وأكتفي بذلك، وأما إن كان عند غيرهما فإني أخرجه من السنن الأربعة مع المسند للإمام أحمد، فإن لم يكن في هذه الكتب أيضًا خرَّجته من الكتاب الذي هو فيه فقط

---

(١) انظر على سبيل المثال: باب ترتيب أحوال يوم القيامة على سبيل الإجمال، ص ٢٢١، في كتاب البدور السافرة في أحوال الآخرة، للإمام السيوطي، تحقيق محمد حسن الشافعي، طبعة دار الكتب العلمة، بيروت، ط ١.



أو أحيل على الكتب التي خرجته، ثم أذكر تصحيح العلماء للحديث، فإن لم أجد اجتهدت في تصحيحه أو تضعيفه حسب ما قرره علماء الحديث.

٣- التزمت بتخريج الأحاديث التي أذكرها، وأما التي تأتي ضمنًا في نقلي عن بعض العلماء فإني لا ألتزم بتخريجها، لأني إنما أستأنس بأقوالهم لا بنقلهم.

٤- من منهجي أن لا أخرج عن كتاب الله إلى زيادات السنة أو الصحابة أو الكتب السابقة إلاَّ ما كان منها شارحًا أو موافقًا أو مبينًا أو مقيدًا ما في كتاب الله، بل اكتفي بالقرآن.

٥- قمت بترتيب أحداث اليوم الآخر ترتيبًا زمانيًا حسب وقوعها.

٦- في الغالب إنما أنقل عن العلماء لزيادة توضيح أو حلٍّ لمشكل أو تنبيهٍ مهمٍّ أو توثيق معلومة، وأما إن كانت المسألة واضحة فإني أكتفي بما في الكتاب والسنَّه أو أعلق تعليقا بسيطا.

٧- في النقل عن العلماء أكتفي -غالبًا- بالنقل عن إمام واحد أو اثنين رغبة في الاختصار، لأن أكثر الكلام هو نفسه عند الجميع ولكن العبارات تختلف، إلا في المسائل الخلافية فإني أستوعب الخلاف وأذكر الأقوال والترجيح.

٨- وضعت تحت الشاهد من الآية خطًا للتنبيه على موضعه وطلبًا للاختصار.

٩- جعلت الشاهد من الأحاديث والأخبار والآثار بخط عريض للتنبيه عليه.

١٠- لم ألتزم في الموضع الواحد ذكر جميع الآيات التي تدل على المبحث، بل أحيانًا أكتفي ببعضها -لاسيما إن كانت كثيرة- وأحيانا أذكرها كلها.



١١- لا أعلق على جميع الآيات التي أذكرها، ففي بعض الآيات من الجلاء والوضوح والبيان والبلاغة والفصاحة ما يغني عن كل تعليق وشرح، فإن احتاجت توضيحًا اكتفيت لشرح الآية بالحديث النبوي؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومما ينبغي أن يعلم: أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث؛ إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة الرسول ﷺ، لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم)[١].

فإن كانت الآية تحتاج إلى تفسير؛ ولم أجد في السنَّه ما يشرحها فإني أرجع إلى كتب اللغة وتفاسير القرآن وكتب العقائد وأقوال العلماء حتى يتضح معناها.

١٢- أجبت على ما وقع لي من إشكالات في البحث.

١٣- ترجمتُ للأعلام غير المشهورين، وأما من كان معروفًا كالصحابة وكبار التابعين وجهابذة العلماء فلم أترجم لهم لشهرتهم، وإنما أترجم لمن أذكره، وأما من يأتي اسمه في النقل عن غيري فإني لا أترجم له.

١٤- حاولت بعد تدبر الآيات وإعادة النظر فيها وتقليب المصحف وقراءته قراءة تمعن وفَهم أن أضع كل آية في مبحثها، وكثيراً ما كنت أرجع إلى كتب التفسير لتأكيد فهمي من الآية حتى حصرت جميع الآيات من كتاب الله ووضعتها في مباحثها، وبعد الانتهاء من كتابة البحث تناولت القرآن مرة أخرى فإذا معانيه تزداد، واتضحت لي أمور لم أكن أعرفها إلاّ بعد كثرة الاطلاع وكتابة الرسالة، فرجعت مرة أخرى ووضعت كل آية في مبحثها.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٢٨٧).

١٥- وبعد الانتهاء من حصر الآيات وترتيبها قمت بقراءة أحاديث النبي ﷺ عن اليوم الآخر في الكتب الستة، ثم في غيرها من الكتب التي تجمع الأحاديث مرتبة على حسب المواضيع كجامع الأصول، وترتيب الجامع الصغير، ومجمع الزوائد، وجمع الفوائد، والبعث والنشور، والبدور السافرة، وغيرها من الكتب التي تجمع الأحاديث من غير تعليق.

١٦- وبعد الانتهاء من حصر الآيات والأحاديث في الموضوع وتوزيعها في مباحثها بعد ترتيبها؛ قمت بدراسة الرسالة مبحثًا مبحثًا حتى خرجتْ في هذه الصورة، وأرجو أن أكون بذلك قد حققتُ شيئًا مفيدًا.

وقبل ان أضع القلم فإن هنا قاعدة مهمة في تفسير القرآن، وقد كان لها أثر كبير في فهمي للآيات وفي الترجيح وحسم الاختلاف:

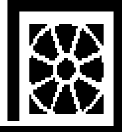
القاعدة هي: (إذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع؛ حمل عليها)(١)، وهذا من أنواع إعجاز القرآن وبلاغته.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

❊❊❊

(١) انظر: كتاب قواعد التفسير لخالد السبت، الخبر، دار ابن عفان، ط ١، ١٩٩٧ (٢/ ٨,٧)، فقد نقل هذه القاعدة عن كثير من الأئمة كابن جرير وابن تيمية وابن القيم وابن حجر والطاهر بن عاشور والشنقيطي وغيرهم.






التمهيد

المبحث الأول: المقصود باليوم الآخر

المبحث الثاني: بعث الناس من خصائص الربوبية

المبحث الثالث: كفر من كذب باليوم الآخر

المبحث الرابع: وجوب الإيمان باليوم الآخر

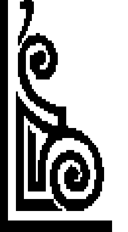
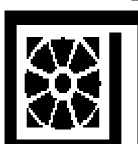
المبحث الخامس: أهل الكتاب يؤمنون باليوم الآخر

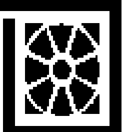
المبحث السادس: كفر من كذب باليوم الآخر في شرع من قبلنا

المبحث السابع: من الإيمان باليوم الآخر الخوف منه

المبحث الثامن: أثر الإيمان باليوم الآخر

المبحث التاسع: أثر الكفر باليوم الآخر

المبحث الأول

المقصود باليوم الآخر

لغـــــة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أخر): الهمزة والخاء والراء أصل واحد صحيح، إليه ترجع فروعه وهو خلاف التقدم.

وقال الخليل: فعل الله بالآخِر أي بالأبعد، وابن دُريد يقول: الآخر تالي للأول)[١].

وقال ابن منظور: (الآخِر والآخِرة نقيض المتقدم والمتقدمة، والمستأخر نقيض المستقدم، والآخِر، بالفتح: أحد الشيئين، والأنثى أخرى، وقال: الآخر بمعنى غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر، وقال: ومعنى (آخر)؛ شيء غير الأول، وقال: وأُخر جمع أخرى، وأخرى تأنيث آخر)[٢].

وقال الراغب الأصفهاني: (آخِر يقابل به الأول، وآخَر يقابل به الواحد)[٣].

إذن فالعرب تستعمل (آخَر) في موضع، وتستعمل (آخِر) في موضع؛ فإذا وُجد من شيء ما فردان قالوا: الأول والآخَر، ولا يقولون الأول والثاني، فمثلا؛ يقولون: دخل رجل ثم دخل رجل آخَر، فهذا يفيد ان الذي دخل رجلان ويفيد أنه لم يدخل أحد غيرهما، ومنه قولهم: ربيع الأول وربيع الآخَر، وجمادى الأولى وجمادى الآخرة، ولا يقولون: ربيع الثاني وجمادى الثانية كما تقول العامة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٧٠)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، ط ١.

(٢) لسان العرب لابن منظور (٤/ ١٢، ١٣، ١٤)، دار صادر، بيروت، ط ١.

(٣) مفردات ألفا ظ القرآن، للراغب الأصفهاني (٦٨)، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٩٩١.



وأما إذا وجد أكثر من اثنين قالوا: الأول والثاني والآخِر، ولا يقولون: الآخَر، فمثلاً؛ يقولون: دخل رجل ثم دخل ثانٍ ثم دخل الآخِر.

وهذا التفصيل سوف يفيدنا في توضيح بعض المسائل كما في فصل النفخ في الصور.

شـــــرعًا:

اليوم الآخِر في العرف الشرعي له معنيان[1]:

١- **باعتبار الناس أجمعين**: يبدأ عند نفخة الصور الثانية، وهو ما يحصل من النفخ بالصور إلى استقرار الناس في الجنة أو النار، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الحاقة: ١٣-١٥]، فإذا نفخ في الصور وقعت الواقعة وهي القيامة الكبرى، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ [ق:٢٠]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق: ٤٢].

* وقد يكون باعتبار بعض الناس -وهم الذين تدركهم الشمس وهم أحياء-: فإن القيامة تقوم عند نفخة الصور الأولى.

٢- **باعتبار الأفراد**: هو ما يحصل للإنسان من ساعة الاحتضار إلى دخول الجنة أو النار.

فمن مات فقد قامت قيامته، ودخل في حكم الآخرة.

عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي ﷺ فيسألونه متى الساعة، فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «إن يعش هذا

---

(١) انظر: النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١ / ١٥)، وأشراط الساعة للوابل، ص٧٤.

لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم». قال هشام: يعني موتهم[(١)].

فسمَّى موتهم قيام ساعة، ولكنها قيامة صغرى.

قال ابن كثير في النهاية -في تفسير هذا الحديث-: (المراد انخرام قرنهم، ودخولهم في عالم الآخرة، فإن كل من مات فقد دخل في حكم الآخرة، وبعض الناس يقول: من مات فقد قامت قيامته، وهذا الكلام بهذا المعنى صحيح)[(٢)].

وقلَّ من نبه على دخول الاحتضار في اليوم الآخر، مع أن الأدلة صريحة فيه، ومن هذه الأدلة ما أخرجه الإمام أحمد عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولَمَّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، ثم يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض.

قال: فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأ من الملائكة إلاّ قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري، أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم: ٦٠٣٠)، وأخرجه سلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب قيام الساعة، رقم ٥٢٤٨).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ١٥)، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، ط ١، ١٩٦٨.



في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفُّود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلاَّ قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ



﴿ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾. فتعاد روحه في جسده.

ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»[١].

وهذا حديث عظيم جامع، وذكرته كاملاً هنا لأني سوف أحيل إليه كثيراً فيما يأتي.

ويدل على دخول الاحتضار في اليوم الآخر أيضًا قول حذيفة عند موته: (اللهم إنك تعلم لولا أني أرى أن هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا؛ لم أتكلم بما أتكلم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أختار الفقر على الغنى، وأختار الذلة على العز، وأختار الموت على الحياة، فحبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم)[٢] والشاهد قوله: (أن هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة).

ونقل ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٨٠٦٣)، وهو حديث صحيح الإسناد، صححه الهيثمي وأحمد شاكر والألباني وغيرهم.

(٢) كتاب المحتضرين، لابن أبي الدنيا (٢٣٦)، تحقيق محمد خير يوسف، دار ابن حزم، ط ١.



قال: (التفت عليه الدنيا والآخرة، وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ يقول: آخر يوم في الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة إلاَّ من رحمه الله)[1].

وإنما كان الاحتضار في اليوم الآخر لأمرين:

١- **أنه في حال الاحتضار لا يتكلم إلاَّ العمل**، فمن كان صالحًا نطق بخير، وأما من كان غير ذلك فإنه يضل، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وعن مالك بن دينار قال: دخلت على جار لي وهو مريض، فقلت: يا فلان؛ عاهد الله أن تتوب عسى الله أن يشفيك، فقال: يا أبا يحيى: هيهات، أنا ميت، ذهبت أعاهد كما كنت أعاهد، فسمعت قائلا يقول من ناحية البيت: عاهدناك مرارًا فوجدناك كذوبًا[2].

وقصص الموتى عند احتضارهم، وتوفيقهم أو خذلانهم بسبب أعمالهم كثيرة جدًا أفردها كثير من العلماء بالتأليف كابن أبي الدنيا[3]، وهذا من صفات اليوم الآخر كما قال تعالى عن ذلك اليوم: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤] وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

٢- **لأن المحتضر يطلع على شيء من الغيبيات**، كرؤية الملائكة: قال تعالى:

---

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/ ٤٥١)، القاهرة، مكتبة دار التراث.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا مسندًا في كتاب المحتضرين، ص ٨٤.

(٣) في كتابه المحتضرين، وانظر فيه بعض القصص التي تبين أن في حال الاحتضار لا يتكلم إلَّا العمل، في الصفحة: ١٦٤، ١٦٦، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩ وغيرها.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: ٢٢]، وهذا يكون عند الاحتضار كما ذكر ذلك جمع من المفسرين منهم الراغب الأصفهاني[١] والقرطبي[٢] وابن كثير، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الملائكة في هذين اليومين يوم الممات ويوم المعاد تتجلى للمؤمنين وللكافرين، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران)[٣].

وفي السنَّة منصوص على أن المحتضر تحضره الملائكة -ولذلك سمِّي محتضرًا-:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحًا قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان، فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى يُنتهى بها إلى السماء التي فيها الله عَزَّ وَجَلَّ.

وإذا كان الرجل السوء، قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فلا يفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فيرسل بها من السماء ثم تصير الى القبر»[٤].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٢٢٠، تحقيق صفوان داوودي، دمشق، دار القلم، ط ١، ١٩٩٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥)، دار الكتب العلمية، ط ١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣١٤)، القاهرة، مكتبة دار التراث.

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم: ٤٢٦٢)، وأحمد (٨٥٥١)، وإسناده صحيح، انظر: صحيح ابن ماجه للألباني (٢/ ٤٢٠).



وتطلق الآخرة في القرآن ويراد بها الجنة كما قال تعالى: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ١٧﴾ [الأعلى: ١٧]. والغالب ان تذكر مع لفظ دار فيقال: (الدار الآخرة أو دار الآخرة)؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القصص: ٨٣].

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٣٢﴾ [الأنعام: ٣٢].

﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦٩﴾ [الأعراف: ١٦٩].

﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٠٩﴾ [يوسف: ١٠٩].

ولعل من نافلة القول وإكمالاً للبحث أن يقال: إن الإيمان بالغيب أوسع من الإيمان باليوم الآخر، فيدخل فيه كل ما لا ندركه بالحواس مما أخبرنا الله به كالجن والملائكة وغيرها لذلك قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤﴾ [البقرة: ٣، ٤]، ففرق الله تعالى بين الإيمان بالغيب والإيمان بالآخرة.

***

المبحث الثاني

بعث الناس لليوم الآخر من خصائص الربوبية

بعث الناس وإحياؤهم بعد موتهم، ونشرهم بعد هلاكهم، من الأمور التي يعجز عنها العالمون، فلا يقدر مخلوق أن يرجع الحياة لميت بعد أن خرجت روحه، وإنما القادر على هذا هو رب العالمين سبحانه، لذلك فقد تحدى الرب فيها الأولين والآخرين؛ أن يرجعوا الحياة التي سُلبت وأن يمسكوا الروح التي خرجت، وألقاها بين أظهرهم فعجزت الجموع واحتارت العقول وخفتت الأصوات معلنة التسليم التام والإذعان الكامل لقيوم الأرض والسماوات.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم: ٤٤]، فأكد على اختصاصه سبحانه بذلك بالضمير المنفصل (هو)، وبـ(أنَّ).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [النجم: ٤٧]، فقدم الجار والمجرور دلالةً على اختصاصه بذلك، لأن تقديم ما حقه التأخير دليل على الحصر والاختصاص[1].

وتحدى المشركين وبين لهم أن آلهتهم عاجزة عن إحياء الموتى ونشرهم من قبورهم فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنبياء: ٢١]، ينشرون: يعني يَبْعَثُون الموتى.

وقال: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤].

وقال: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [يونس: ٣٤].

وغير ذلك من الآيات.

---

(١) انظر: البلاغة الواضحة، ص ٢١٨.



المبحث الثالث

كفر من كذب باليوم الآخر

وقد أجمع أهل السنَّة بل أهل الإسلام قاطبة على هذا[١]، ودليله من الكتاب كثير؛ منه قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧﴾ [الأعراف: ١٤٧]، وحبوط الأعمال غالبا يكون للكفار.

ويقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥﴾ [الأعراف: ٤٥]، فسمى المكذب بيوم الآخر كافرا.

وسمّى الكافر باليوم الآخر مشركاً أيضًا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧﴾ [فصلت: ٦، ٧].

ويقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦]، فحكم على منكر البعث بالضلال البعيد.

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾ [الرعد: ٥].

وهذه الآية من أصرح الآيات على كفر منكري البعث، فقد حكم تعالى على من قال هذه المقولة ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ بأنه كافر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) مراتب الإجماع، لابن حزم، ص ٢٧١.

بِرَبِّهِمْ﴾، وأكده بتعريف الطرفين، وحكم عليه بالخلود في جهنم: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾.

والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الذين كفروا من اليهود والنصارى ينكرون الأكل والشرب والنكاح في الجنة، ويزعمون أن أهل الجنة إنما يتمتعون بالأصوات المطربة والأرواح الطيبة مع نعيم الأرواح، وهم يقرون مع ذلك بحشر الأجساد مع الأرواح ونعيمها وعذابها. وأما طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم، فيقرون بحشر الأرواح فقط وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط. وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكليه، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح ولا الأجساد.

وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنَّة المشهورة فإنهم يحرفون الكلام عن مواضعه ويقولون: هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني. وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الاسلام، وطائفة ممن ضاهوهم من كاتب أو متطبب أو متكلم أو متصوف كأصحاب رسائل إخوان الصفا وغيرهم، وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان)[1].

***

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٣١٣)، جمع ابن قاسم الحنبلي، مكتبة ابن تيمية بتصرف يسير.



المبحث الرابع
وجوب الإيمان باليوم الآخر

ويدل على الوجوب: المبحث السابق؛ حيث كان المنكر له كافرا، ويقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقد جعله النبي ﷺ من أركان الإيمان؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا». قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الايمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان ...» الحديث[١].

وقد أجمع المسلمون على ذلك؛ قال ابن حزم في كتابه مراتب الإجماع في باب من الإجماع في الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع: (واتفقوا أن البعث حق، وأن الناس كلهم يبعثون في وقت تنقطع فيه سكناهم في الدنيا)[٢].

وقد أقره على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في نقد مراتب الإجماع.

---

(١) أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب (كتاب الإيمان، باب يان الإيمان والإسلام والاحسان، رقم: ٨).

(٢) مراتب الإجماع لابن حزم، ص ٢٧١، مع نقد مراتب الإجماع لابن تيمية، وانظر: موسوعة الإجماع لسعدي أبو جيب (١/ ١٦١)، دار الفكر، ط ٢.



المبحث الخامس

أهل الكتاب يؤمنون باليوم الآخر

ويدل على هذا مواضع كثيرة من كتاب الله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١]، وفي هذه الآية إيمان أهل الكتاب بوجود الجنة.

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة: ٨٠].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤].

وفي هذه الآيات إيمانهم بوجود النار.

وقال تعالى عن قوم طالوت -وهم من اليهود-: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقال موسى عليه السلام: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال عيسى عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم:٣٣].

بل حتى الشرائع السابقة للرسل والأنبياء تجعل الإيمان باليوم الآخر من أصول دينها، قال الله تعالى عن نوح وقومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف:٥٩].



وقال يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف: ٣٧].

وقال أيضًا: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف:١٠١].

وقال صاحب البستان الذي قص الله جل جلاله علينا في سورة الكهف قصته: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف: ٣٦، ٣٧]، فأنكر عليه صاحبه تكذيبه باليوم الآخر.

وقال ذو القرنين: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف: ٨٧]. وقال: ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: ٩٨].

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٧، ٨٩].

وقال قوم قارون له: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القصص: ٧٧].

والآيات في هذا الباب كثيرة.

وقد نقل الشوكاني رحمه الله من كتبهم الأدلة الكثيرة التي تفيد إيمانهم باليوم الآخر، نقلها من التوراة والإنجيل -نقلها من جميع أناجيلهم (إنجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا وغيرها)- ومن كتاب دانيال والزبور ووصايا سليمان

ورسائل الحواريين[١]، ولم أنقلها لأنها ليست من شرط الكتاب.

ثم قال: (والحاصل أن هذا الأمر اتفقت عليه الشرائع، ونطقت به كتب الله ﻷ سابقها ولاحقها، وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم ولم يخالف فيه أحد منهم، وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك قط)[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى)[٣].

وللشوكاني كتاب اسمه: (المقالة الفاخرة في بيان اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة)[٤]، بل حتى الأديان الوضعية كالديانة البرهمية والبوذية والكونفوشيوسية الصينية والزرادشتية والصابئة، وكذلك الحضارات السابقة عند المصريين القدماء والإغريق والرومان ووادي الرافدين وغيرها من الحضارات، كلهم يؤمنون باليوم الآخر -وإن كان التفصيل يختلف-[٥].

❋❋❋

---

(١) انظر: كتاب إرشاد الثقات للشوكاني، ص ١٠ - ١٤. وانظر: اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، لفرج الله عبد الباري، طبعة دار الوفاء.

(٢) إرشاد الثقات للشوكاني، ص ١٤.

(٣) الفتاوى (٤/ ٢٨٤).

(٤) انظر: إرشاد الثقات للشوكاني، ص ١٠.

(٥) انظر: كتاب اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، ليسر محمد سعيد مبيض، دار الثقافة، قطر. وانظر: اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، لفرج الله عبد الباري، طبعة دار الوفاء.



المبحث السادس

كفر من كذب باليوم الآخر في شرع من قبلنا

الحكم بالكفر على المكذب بالبعث ليس خاصاً بديننا بل إن هذا الحكم موجود في شريعة من قبلنا، وقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه ما يدل على هذا، وقد وجدت هذا في موضعين من كتاب الله هما:

١ – قول صاحب الجنة –البستان– في إنكاره للبعث:

﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الكهف: ٣٦-٣٨].

فلما قال: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ رد عليه صاحبه وبين له أن هذا كفر فقال: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ ﴾، ثم تبرأ من هذا الكفر والشرك فقال: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾.

ولما كفر صاحب الجنة بالبعث عاقبه الله جل جلاله بأن دمر جنته ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ فلما رأى ما حصل لها من الدمار بسبب كفره تاب وندم ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف: ٤٢]، فأقر بذنبه وأنه كفر بالله عندما كذب بالبعث ﴿لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾.

٢- الموضع الآخر هو قول يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن:

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [يوسف: ٣٧]، فحكم على من كذب باليوم الآخر أنه كافر.



وإنما كفر المكذب بالبعث لأنه طعن في الله تعالى وربوبيته وقدرته، وأنكر ما دلت عليه الفطرة والعقل[١] والإجماع والكتاب والسنة وجميع الشرائع، لذا جعل الله تعالى الكفر باليوم الآخر من أعجب العجب؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: ٥].

***

(١) وسوف يأتي ذكر الأدلة العقلية ودليل الفطرة.



المبحث السابع

من الإيمان باليوم الآخر الخوف منه

وهذه من المسائل التي قل من نبه عليها، مع أن الآيات التي تقررها مستفيضة، فمنها قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام: ٥١]. فجعل الذين يتذكرون هم الخائفون من ذلك اليوم، ومثله قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ٢١]، فأثنى على من هذه صفته وبيَّن أنهم أصحاب الجنان فقال بعدها: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]

وقال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧،٨]، فذم الذين لا يرجون، يعني: لا يخافون لقاء الله، وجعل هذه الصفة من صفات أصحاب النار.

والرجاء من الأضداد، (يقال: رجوت، من الرجاء، ورجوت: خفت، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾، يعني: لا تخافون لله عظمة.

وقال الشاعر:

وأعتقنا أسارى من نمير لخوف الله أو نرجو العقابا

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عواسل)[(١)]

وامتدح الله أهل الإيمان بهذه الصفة وجعلهم هم الرجال فقال: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧].

وقال في صفات عباد الله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان: ٧].

ووصف الذين يخافون ويحذرون الآخرة بالعلم، فقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

بل إن الله تعالى استنكر وتعجب من الذي لا يبكي من ذلك اليوم، فقال سبحانه: ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: ٥٧-٦١].

والآزفة: الآخرة كما سيأتي، وهذا الاستفهام استفهام إنكار وتوبيخ، والبكاء أثر يتولد من الخوف، وأمرنا الله تعالى باتقاء ذلك اليوم في آخر آية نزلت فقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١]، ولا يُتوقى إلا من الأمر المخوف.

---

(١) الروضة الندية فيما ترادف وتوارد وتضاد من كلام العرب، ص ٤١٤، جمع صالح العلي الصالح، دار الناشرون العرب. وانظر: لسان العرب (١٤/ ٣١٠).



وبهذا يتبين لنا ان الخوف من اليوم الآخر من الواجبات، ويدل على ذلك صراحة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

والشاهد قوله: ﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا﴾، والأمر يدل على الوجوب.

ومما يوضح هذا ويجليه أن الله تعالى ذم الذين لا يخافون الآخرة وجعل هذا من صفات الكفار فقال: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ [المدثر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ (يونس:٧، ٨) فذم الذين لا يرجون يعنى لا يخافون لقاء الله، وجعل هذه الصفة من صفات أصحاب النار.

❊❊❊

المبحث الثامن

أهمية الإيمان باليوم الآخر وآثاره

الإيمان باليوم الآخر هو أحد الأصول الثلاثة التي بُعث بها الرسل جميعاً؛ كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)]، وابن أبي العز في شرح الطحاوية[(٢)]، والشوكاني[(٣)]، وابن دقيق العيد[(٤)]، وابن القيم[(٥)]، والسفاريني[(٦)] في شرح عقيدته[(٧)]، وغيرهم كثير.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما مقاصد القرآن الكريم التي يكررها ويورد الأدلة الحسية والعقلية عليها ويشير إليها فى جميع سوره وفي غالب قصصه وأمثاله، فهي ثلاثة مقاصد يعرف ذلك من له كمال فهم وحسن تدبر وجودة تصور وفضل تفكر: المقصد الأول: إثبات التوحيد، المقصد الثاني: إثبات المعاد، المقصد الثالث: إثبات النبوات)[(٨)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٩٥، ٩٦).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٥، ٦)، لابن أبي العز الحنفي الدمشقي، تحقيق التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١.

(٣) في كتابه إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، ص ٣.

(٤) في مقدمة شرح الأربعين النووية.

(٥) في مدارج السالكين (١/ ٣١).

(٦) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين أبو العون، عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق، ولد في سفارين من قرى نابلس ورحل إلى دمشق فأخذ من علمائها، وعاد إلى نابلس فدرَّس وأفتى وتوفي فيها، من مؤلفاته: شرح ثلاثيات المسند، شرح منظومة الآداب، وكتاب (لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية) وتسمى العمدة السفارينية، وهي في مجلدين، وهو الكتاب الذي أنقل منه.
انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٤٠) بتصرف.

(٧) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٦٤)، للسفاريني، المكتب الأسلامي، ط ٣.

(٨) إرشاد الثقات، للشوكاني، ص ٣، ٤.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر، والسعادة والفلاح موقوفة عليها ولا سبيل إلى معرفتها الا من جهة الرسل ؛ فإن العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة)[(١)].

وهذه الأصول الثلاثة جاء التنبيه عليها أيضًا في السنَّة وبيان أنها أصول الدين؛ فعن عبيد الله بن عبد الله عن رجل من الأنصار أنه جاء بأمة سوداء وقال: يا رسول الله إن عَلَيَّ رقبة مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقتها، فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتشهدين أن لا إله الاً الله»، قالت: .نعم، قال: «أتشهدين أني رسول الله»، قالت: نعم، قال: «أتؤمنين بالبعث بعد الموت»، قالت: نعم، قال: «أعتقها»[(٢)].

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتشهدين أن لا إله إلاَّ الله»، هذا هو المقصد الأول وهو التوحيد.

وقوله: «أني رسول الله»، هذا هو المقصد الثاني وهو النبوات.

وقوله: «أتؤمنين بالبعث بعد الموت»، هذا هو المقصد الثالث وهو البعث.

ومما يدل على أهميته في دين الله أمور كثيرة منها:

١- قرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله غالبًا:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ...﴾ [التوبة: ٩٩]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٦٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (رقم: ١٥١٨٣) بسند صحيح وجهالة الصحابي لا تضر لأنهم كلهم عدول، قال ابن كثير في تفسيره (٥٣٤/ ١) عن هذا الحديث: هذا إسناد صحيح وجهالة الصحابي لا تضر. اهـ.



ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢]، ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢].

وغيرها كثير جدًا.

وفي السنة من ذلك أكثر كقوله عليه الصلاة والسلام:

«لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة وليس معها حرمة»[(١)].

وقوله: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرًا»[(٢)].

وحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، واستوصوا بالنساء خيراً»[(٣)].

وحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[(٤)]، وغيرها من الأحاديث.

---

(١) متفق عليه، البخاري (في كتاب الجمعة، باب في كم يقصر الصلاة، رقم :١٠٣٨)، ومسلم (في كتاب الحج، باب سفر المرأة من غير محرم، رقم ١٣٣٩).

(٢) متفق عليه، البخاري (كتاب الجنائز، باب إحداد المرأة على غير زوجها، رقم ١٢٢١)، ومسلم (كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة المتوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام، رقم. ١٤٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، رقم ٤٨٩٠).

(٤) متفق عليه، البخاري (كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم ٥٦٧٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلاَّ عن الخير، رقم: ٤٧).



٢- من آمن به فله الهدى والبشرى في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [النمل: ١-٣].

٣- وله الرحمة والفلاح:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [لقمان: ٢-٤].

٤ – وهو من الخاشعين:

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦].

٥- أنه يؤدي إلى الإيمان بغيره من الأركان :

قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام: ٩٢]، فمن آمن بالبعث آمن بالقرآن.

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]، فالإيمان باليوم الآخر مانع من موالاة الكافرين.

٦- من أعظم ما يعين على بذل النفوس في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٤، ٤٥].

٧- يجعل المسلم من المتقين ومن المنتفعين بآيات الله:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨، ٤٩]، فجعل الذين يتذكرون بهذا القرآن هم الذين يخافون من اليوم الآخر.

٨- المؤمن به هو الذي ينتفع بالمواعظ:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق: ٢].

٩ - هم أهل المساجد وعمارتها بالعبادة والبنيان:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨].

١٠- هم أهل العلم حقا:

قال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٦، ٧].

فأثبت سبحانه لأكثر الناس العلم بالأمور الدنيوية، فهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا؛ ومع هذا وصفهم بأنهم لا يعلمون لأنهم عن الآخرة هم غافلون.



فعَلِمْنا بالمفهوم أن الذين يهتمون بأمور الآخرة تذكرًا واعتبارًا وعملًا لها أنهم هم أهل العلم حقًا.

ولعل هذا الأمر من أعظم الأسباب الباعثة لكتابة هذه الرسالة.

***

المبحث التاسع
أثر الكفر باليوم الآخر

ذكر الله تعالى آثارًا كثيرة في كتابه للذين لا يؤمنون باليوم الآخر منها:

١ - ذمهم على كل حال وأن لهم الصفة السيئة دائما:

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل: ٦٠].

٢ - إضلالهم في الدنيا وتزيين الدنيا لهم لاستدراجهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾ [النمل: ٤، ٥].

٣ - عدم فهم القرآن:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦].

٤ - الكفر بغيره من الأركان :

(أ) الكفر بالله:

ومن أعظم آثار الكفر بالبعث الكفر بالله سبحانه، قال تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل: ٢٢]؛ فقلوبهم تنكر وتستكبر أن يكون هناك إله واحد، بل إن قلوبهم تنفر وتشمئز إن تكلمَّ متكلم بأن الله واحد لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ



وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥].

ومن آثار كفرهم تجرؤهم على الله وطلب رؤيته في هذه الحياة الدنيا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الفرقان: ٢١).

وطلب رؤية الرب هنا ليس طلب زيادة في الإيمان وانتقال من علم اليقين إلى حق اليقين كما طلب موسى من ربه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، بل هو طلب عناد ومكابرة واستخفاف وعتو، لذلك قال تعالى بعدها: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1].

(ب) الكفر بالرسل:

ومن آثار الكفر بالبعث الكفر بالرسل قال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (المؤمنون: ٣٣-٣٨)، فلما كذبوا بلقاء الآخرة كذبوا الرسول وقالوا: ما نحن له بمؤمنين.

(ج) الكفر بالكتب:

كما قاله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

(١) انظر: تعليق ابن المنير الإسكندري في حاشية الكشاف (٢/ ١١٢)، للزمخشري، دار الفكر، ط١.

لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ... ﴾ (يونس: ١٥).

(د) الكفر بالملائكة:

كما قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ (النجم: ٢٧)، فيقولون: الملائكة بنات الله.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الفرقان ٢١).

٥ - إباحة دمائهم وقتالهم:

وذلك لأنهم خرجوا عن ملة الإسلام فيُقَاتَلون حتى يعطوا الجزية كما قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ (التوبة: ٢٩)، وهذا ليس خاصاً بأهل الكتاب بل كل من قامت به هذه الصفات استحق المقاتلة.

٦- استدراج الله تعالى لهم:

قال تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥]، والإشارة في قوله: ﴿بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ تعود إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣]

٧- سوء احتضارهم:

كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ



لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: ٢١، ٢٢]، فتبدأ رحلة العذاب من الاحتضار يوم يرون الملائكة وتضربهم على وجوههم وأدبارهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠].

٨ - حشرهم على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًا:

وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: ٩٧-٩٨].

٩- لهم ويل -وهو واد في جهنم[1]- ويحجبوا عن ربهم يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ (المطففين: ١٠-١٦)

١٠- مصير المكذب باليوم الآخر نار جهنم:

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ (الفرقان:١١).

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ (المطففين: ١٦).

هذا ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا: إن الدنيا لا تصلح ولا يمكن العيش فيها إلا بالإيمان باليوم الآخر، وبدونه يحصل الفساد العريض. وتوضيح هذا: أن الذي يمنع الإنسان من الوقوع في المعصية ومن الوقوع في الخطأ ومن أكل أموال الناس ومن السرقة والاغتصاب والقتل وغيرها من انتهاكات حقوق الناس، الذي

(١) سوف يأتي دليل ذلك في الباب الثالث عند الحديث عن أودية النار.

يمنع من ذلك كله أمران: وازع إيماني ووازع سلطاني[١].

والمقصود بالوازع السلطاني هو قوة الحاكم في مدافعة الفساد، فكلما كانت قوته أعظم ومراقبته أشد كان الفساد أقل، فإذا ضعفت قوته وكثرت غفلته انتشر الفساد وزاد. وأما الوازع الإيماني فهو الأثر الذي يحدثه الإيمان بالله واليوم الآخر من الامتناع عن الفساد وكف الشر عن الآخرين، فالذي يؤمن أن هناك جنة ونارًا، وأن هناك مجازاة وحسابًا وعقابًا وثوابًا؛ تجده من أبعد الناس عن الفساد خوفاً من ذلك اليوم.

فإذا اجتمع الوازعان كان أعظم ما يكون في صلاح الناس وأمن الغوائل، كما حصل في الصدر الأول في عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين.

وأما إذا تخلف أحدهما فإن الوازع يقل والرادع يضعف، وأقواهما إذا انفردا هو الوازع الإيماني، لأن الوازع السلطاني إنما يوجد إذا وجد السلطان، وأما إذا غاب نظر السلطان غاب معه الأمن والأمان، وانتشر الفساد، وأما الوازع الإيماني فإنه مع الإنسان دائما ولا يمكن أن يتخلف عنه طرفة عين، فكلما همَّ بمعصية أو فساد وقف إيمانه سدًا منيعاً بينه وبين هذا الفساد.

ويدل على هذا المعنى حديث قابوس بن مخارق عن أبيه قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: أرأيت إن أتاني رجل يأخذ مالي؟ قال: «تذكره بالله تعالى»، قال: أرأيت إن ذكرته بالله، قال: فإن فعلت فلم ينته؟ قال: «تستعين عليه بالسلطان»، قال: أرأيت إن كان السلطان مني نائيًا؟ قال: «تستعين بالمسلمين» قال: أرأيت إن لم يحضرني أحد من المسلمين وعجل علي؟

---

(١) انظر: الفتاوى لابن تيمية (١١/٤١٦) و (٢٨/١٥٧).



قال: «فقاتل حتى تحرز مالك أو تُقتل فتكون في شهداء الآخرة»[(١)].

فقوله: «تذكره بالله تعالى»: هذا هو الوازع الإيماني، وقوله: «تستعين عليه بالسلطان»، هذا هو الوازع السلطاني. ويدل عليه كذلك قول عثمان رضي الله عنه: (ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)[(٢)].

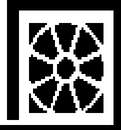
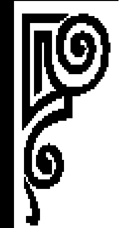
ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ١-٦]، يعني أن الذي يؤمن بالبعث يمنعه إيمانه من الوقوع في المحرمات ومنها التطفيف، وأما الذي يطفف فكأنه لا يؤمن باليوم الآخر، فهذه الآية يتضح فيها معنى الوازع الإيماني الذي أثمره الإيمان باليوم الآخر.

***

(١) أخرجه احمد (٢٢٠٠٨)، والنسائي (كتاب تحريم الدم، باب ما يفعل من تعرض لماله، رقم: ٤٠٨١)، وإسناده حسن.

(٢) ذكره عنه ابن تيمية في الفتاوى (١١/ ٤١٦)، ولم يذكر من خرّجه عنه ولم أجده.

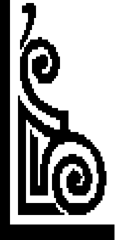
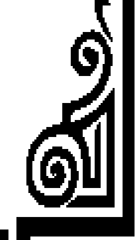
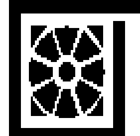


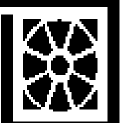



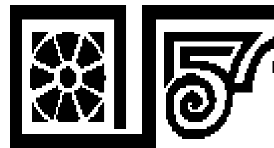


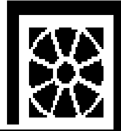
ما قبل النفخ في الصور

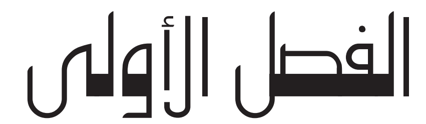
- الفصل الأولى: قبض الروح.
- الفصل الثاني: الموت.
- الفصل الثالث: القبر.
- الفصل الرابع: علامات الساعة الصغرى.
- الفصل الخامس: علامات الساعة الكبرى.

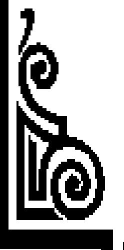
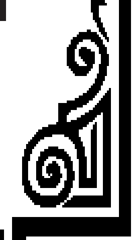
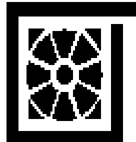


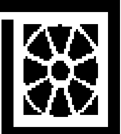


قبض الروح

- المبحث الأول: حقيقة الروح.
- المبحث الثاني: قبض الروح بالنوم.
- المبحث الثالث: فتح باب التوبة حتى الغرغرة.
- المبحث الرابع: كيفية نزع الروح.
- المبحث الخامس: خروج روح المؤمن واحتضاره.
- المبحث السادس: خروج روح الكافر واحتضاره.

المبحث الأول

حقيقة الروح

كلمة الروح في القرآن تأتي على عدة أوجه(١):

أحدها: القرآن(٢): كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

الثاني: الوحي: كقوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ [غافر: ١٥].

الثالث: جبريل: كقوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: ١٧]، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣].

الرابع: القوة والثبات والنصرة التي يؤيد الله بها من شاء من عباده المؤمنين: كما قال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]

الخامس: المسيح ابن مريم: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: الروح لابن القيم، ص ٢٤١، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص ٣٦٩، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ٢٩).

(٢) انظر: وضح البرهان في مشكلات القرآن (٢٧٧/ ٢)، لبيان الحق النيسابوري، تحقيق صفوان داودي، دمشق، دار القلم، ط ١، ١٩٩٠.



وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ...﴾ [النساء: ١٧١].

السادس: تطلق الروح ويراد بها ما به حياة الإنسان: كقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما أنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو متكىء على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رَابكم إليه؟ وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه. فقالوا: سلوه. فسألوه عن الروح، فأمسك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يرد عليهم شيئًا، فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[١].

وزعم ابن القيم أن أرواح بني آدم لم تقع تسميتها في القرآن إلا بالنفس[٢]، وهذا بعيد فإن كثيراً من المفسرين يفسرون آية الإسراء بأرواح بني آدم[٣].

بل قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير آية الإسراء: (وذهب أكثر أهل التأويل إلى أنهم سألوه عن الروح التي بها حياة الجسد)[٤].

وعرَّف الراغب الأصفهاني الروح بأنها: (الجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار)[٥]، وهذا هو المقصود في بحثنا.

---

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب التفسير، باب ويسألونك عن الروح، رقم ٤٤٤٤)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الروح، رقم ٢٧٩٤.

(٢) الروح لابن القيم، ص ٢٤١. وأقره على ذلك شارح الطحاوية (٢/ ٥٦٨).

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص ٣٦٩، والكشاف للزمخشري (٢/ ٤٦٤) دار الفكر، ط ١، وغيره.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢١٠).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص ٣٦٩.

يقول الإمام السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد اختلف الناس في حقيقة الروح؛ وهل هي النفس أو غيرها؟ وهل هي جزء من البدن، أو عرَض من أعراضه، أو جسم مساكن له مودع، فيه أو جوهر مجرد؟ وقد تكلم الناس في هذه المسائل من سائر الطوائف، واضطربت فيها أقوالهم وكثر فيها خطؤهم، ومن الناس من أمسك عن الكلام والخوض فيها لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهدى الله أتباع الرسول ﷺ وسلف الأمة وأهل السنه لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ما ساق أقوال الناس في حقيقة الروح: (والصحيح أن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الوَرْد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي هذا الجسم اللطيف متشابكًا بهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار: فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح). وذكر لكلامه مائة دليل وستة عشر دليلا وأجاد وأفاد[1].

***

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢٩/ ٢). وانظر: كتاب الروح لابن القيم، ص ٢٢٦ و ٢٧٢-٣٠٠. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي حيث نقل قول ابن القيم وأقره عليه (٢/ ٥٦٥).



المبحث الثاني

قبض الروح بالنوم

من أحكام الروح أنها تقبض عند النوم، وهي ما يسمى بالوفاة الصغرى، وقد ذكر الله تعالى هذا في آيتين من كتابه؛ وهما:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: ٤٢].

وعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: سرنا مع النبي ﷺ ليلة فقال بعض القوم: لو عرَّست بنا يا رسول الله، قال: «أخاف أن تناموا عن الصلاة»، قال بلال: أنا أوقظكم. فاضطجعوا، وأسند بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس فقال: «يا بلال أين ما قلت؟»، قال: ما ألقيت عليَّ نومةٌ مثلها قط، قال: «إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردَّها عليكم حين شاء، يا بلال قم فأذن بالناس بالصلاة». فتوضأ، فلما ارتفعت الشمس وابيضت قام فصلى[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يقول تعالى إنه يتوفى عباده في منامهم بالليل، وهذا هو التوفي الأصغر كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فذكر في هذه الآية الوفاتين

(١) أخرجه البخاري (كتاب مواقيت الصلاة، باب الأذان بعد ذهاب الوقت، رقم: ٥٧٥).

الكبرى والصغرى، وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفاتين الصغرى ثم الكبرى فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾، أي ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار.

وقد روى ابن مردويه بسنده عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «مع كل إنسان ملك إذا نام أخذ نفسه ويرده إليه، فإن أذن الله في قبض روحه قبضه وإلا رُد إليه»، فذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾[١].

قال القرطبي: (أي ينيمكم فيقبض نفوسكم التي بها تميزون، وليس ذلك موتا حقيقة بل هو قبض الأرواح عن التصرف بالنوم كما يقبضها بالموت، والتوفى استيفاء الشيء، وتوفي الميت استوفى عدد أيام عمره، والذي ينام كأنه استوفى حركاته في اليقظة، والوفاة الموت، وأوفيتك المال، وتوفيته، واستوفيته إذا أخذته أجمع، وقال الشاعر:

إن بني الأدرد ليسوا من أحد ... ولا توفاهم قريش في العدد

ويقال: إن الروح إذا خرج من البدن في المنام تبقى فيه الحياة ؛ ولهذا تكون فيه الحركة والتنفس، فإذا انقضى عمره خرج روحه وتنقطع حياته، وصار ميتًا لا يتحرك ولا يتنفس، وقال بعضهم: لا تخرج منه الروح، ولكن يخرج منه الذهن. ويقال: هذا أمر لا يعرف حقيقته إلا الله تعالى، وهذا أصح الأقاويل، والله أعلم)[٢].

وهذا المبحث له علاقة بمبحث الأدلة العقلية على البعث كما سيأتي.

***

(١) تفسير القرآن العظيم، للعماد بن كثير (٢/ ١٣٨) بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ٦).



المبحث الثالث

فتح باب التوبة حتى الغرغرة

الغرغرة هي لحظة نزع الروح وخروجها، وهناك علاقة بين الروح والتوبة؛ فما دامت الروح مستقرة في البدن فباب التوبة مفتوح.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[١]، وهذا من رحمة الله أن فتح باب التوبة إلى قبيل الموت، وأما قوله. تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾، (فقد قال الضحاك: ما كان دون الموت فهو قريب. وقال الحسن البصري: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ ما لم يغرغر، وقال عكرمة: الدنيا كلها قريب)[٢].

(ولقد دلت الأحاديث على أن من تاب إلى الله عز وجل وهو يرجو الحياة فإن توبته مقبولة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ وأما متى وقع الإياس من الحياة، وعاين الملك وخرجت الروح في الحلق وضاق بها الصدر وبلغت الحلقوم وغرغرت النفس صاعدة في الغلاصم، فلا توبة

---

(١) إسناده حسن، أخرجه أحمد (٦٣٧٢)، وابن ماجه (كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم: ٤٢٥٣)، والترمذي (كتاب الدعوات عن رسول الله، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله، رقم ٣٥٣٧)، وقال: حسن غريب.

(٢) جامع البيان لابن جرير الطبري (٨/ ٩٤) بتصرف.



مقبولة حينئذ ولات حين مناص، ولهذا قال: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ﴾[١].

***

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٤) بتصرف، وانظر: جامع البيان للطبري (٨/ ٩٧)، تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر.



المبحث الرابع
كيفيه نزع الروح

تكلم الله تعالى عن نزع الروح في عدة آيات، هي كالتالي:

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥].

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي النفس، ولم يتقدم لها ذكر، لأن المعنى معروف، كقوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ [القيامة: ٢٦]، وكقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص: ٣٢]، يعنى الشمس. وهو أسلوب عربي معروف، كقول حاتم:

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

أي: حشرجت النفس.

﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾ وهو الحلق، وذلك حين الاحتضار ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾، أي بملائكتنا ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾، أي ولكن لا ترونهم، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ (الأنعام: ٦١، ٦٢)[١].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ (القيامة: ٢٦-٣٠).

---

(١) انظر: محاسن التأويل للقاسمي، تحقيق محمد عبد الباقي، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط ١، ١٩٩٤، (٧/ ٢١)، وتفسير القرطبي (١٤٩/ ١٧)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٩).



﴿كَلَّآ﴾ ردع وزجر، أي بعيد أن يؤمن الكافر بيوم القيامة، ثم استأنف فقال سبحانه: ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾، أي بلغت النفس أو الروح التراقي، والتراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر، وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر، موضع الحشرجة، ويُكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت مثله قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾.

وقيل: ﴿كَلَّآ﴾ معناه حقاً؛ أي حقاً أن المساق إلى الله ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ أي إذا ارتقت النفس إلى التراقي، والمقصود تذكيرهم شدة الحال عند نزول الموت. قال دريد ابن الصمة:

ورب كريهة دافعت عنها وقد بلغت نفوسهم التراقي[1] اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ [النازعات: ١، ٢]، اختلف في معنى هذه الآية على أقوال، وقد جمعها ابن كثير وبيَّن الراجح منها فقال:

(قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدي ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾﴾ الملائكة، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعهم، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط وهو قوله: ﴿وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ قاله ابن عباس.

وعن ابن عباس ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ﴾ هي أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار. رواه ابن أبي حاتم، وقال مجاهد: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾﴾ الموت، وقال الحسن وقتادة: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ هي النجوم، وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ﴾ ﴿وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ﴾: هي القسي في القتال، والصحيح الأول وعليه الأكثرون)[2].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٣٨)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، مصر، دار الوفاء، ط ١، ١٩٩٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٦).



وقد ذكر هذه الأقوال أيضاً الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورجح الأول موافقاً ابن كثير، وقال: (وهذا قول الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم)[١].

وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ [ق: ١٩].

قال ابن منظور: (﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: شدته، وقوله: ﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ سكرة الميت غشيته التي تدل الإنسان على أنه ميت)[٢].

وهذه السكرة والشدة لا يسلم منها أحد، ولو سلم منها أحد لسلم منها نبينا ﷺ. عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات»، ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده[٣].

ونخلص مما تقدم بأن الإنسان إذا اقترب أجله فإن الروح ترتقي إلى أعلى الجسم عند النحر حتى تخرج من جسده، وهذا الخروج للروح ليس بالأمر الهين -حتى للمؤمن- بل له سكرات وغمرات ومشقات، ثم تنتزع الملائكة الروح، وهذا النزع يختلف شدة ويسراً بحسب إيمان الرجل، وهذا ما سنتكلم عنه في المبحث التالي.

***

(١) فتح القدير للشوكاني (٣٦٨/ ٥).

(٢) لسان العرب (٣٧٣/ ٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم: ٦١٤٥).

المبحث الخامس
خروج روح المؤمن واحتضاره

تخرج روح المؤمن من بدنه بسهولة ويسر، ويبشر عند ذاك بالنعيم والجنان والسعادة الرضوان فيفرح وتقر عينه.

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

ذكر ابن جرير الطبري والبغوي وابن كثير[1] وغيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قولين:

الأول: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ويدل عليه حديث عبادة بن الصامت قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله سبحانه: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قال: «هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له»[2]، وهو قول كثير من الصحابة.

الثاني: المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة، ويدل على هذا حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن المؤمن إذا حضره الموت جاءه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب، فقالوا: اخرجي أيتها الرُوح الطيبة الى رَوْح وريحان ورب غير غضبان، فتخرج من فمه كما تسيل القطرة من فم السقاء»[3].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤ / ١٤٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤٢٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، رقم: ٣٨٩٨) وسنده صحيح.

(٣) تقدم تخريجه.



ولم يرجح ابن كثير بينهما على خلاف عادته، والظاهر عندي أن كلا المعنيين صحيح ولا تعارض بين هذين التفسيرين ؛ فيحمل عليهما، كما تم تقرير ذلك في القاعدة المذكورة في آخر المقدمة.

قال ابن جرير: (وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله -تعالى ذكره- أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله كما روي عن النبي ﷺ أن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه فتقول لنفسه: «اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه»)[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١]

من المعلوم أنه لا تقبل أي عبادة إلا بالإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ[2]؛ فبالإخلاص يبرأ من الشرك وبالمتابعة يبرأ من البدعة، وكما قيل: إياك أريد على ما تريد، وقد ذكر الله تعالى هذين الشرطين في هذه الآية فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي اخلصوا لله، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ أي على طريقة رسول الله ﷺ[3].

وفي معنى هذه الآية حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال ﷺ: «قل

(١) جامع البيان (١٥/ ١٤٠).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٥٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ...﴾.
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٩٨).



آمنت بالله ثم استقم»[١]، فمن كانت هذه حاله من إخلاص العبادة لله ومتابعة رسول الله ﷺ، كان جزاؤه أن تتنزل عليه الملائكة بالبشرى.

وقوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فيه ثلاثة أقوال في وقت التنزل[٢]:

القول الأول: عند الموت، وهو قول مجاهد والسدي[٣] وغيرهم، ويدل عليه حديث البراء رضي الله عنه وفيه: «إن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان»[٤].

والقول الثاني: يوم خروجهم من قبورهم، وهو قول ابن عباس وجعفر بن سليمان[٥]، ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

القول الثالث: البشرى تكون فى القبر، قاله ابن زيد، أي يبشرونه بعد سؤاله بالجنة.

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، رقم: ٣٨).

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٩ هـ، (٧/ ١٧٣)، وتفسير الشوكاني (٤/ ٤٩٥).

(٣) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي مليكة، الإمام المفسر أبو محمد السدي الكبير، حدث عن أنس بن مالك وابن عباس، وأخذ العلم عن كثير من التابعين، ومن تلاميذه شعبة وسفيان الثوري، وثقه كثير من العلماء، قال إسماعيل بن أبي خالد: كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي، توفي سنة ١٢٧ هـ. (بتصرف من سير أعلام النبلاء، ٢٦٤/ ٥).

(٤) تقدم تخريجه ص ١٩.

(٥) جعفر بن سليمان بن على ابن حبر الأمة عبد الله بن عباس، الأمير سيد بني هاشم، وكان من نبلاء الملوك جودًا وبذلاً، وشجاعة وعلمًا وجلالة وسؤددًا، ولى المدينة ثم مكة ثم البصرة في خلافة الرشيد، توفي شة ١٧٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبى (٨/ ٢٣٩).



الراجح: هو أنهم يبشرون في هذه المواطن الثلاثة؛ قال بيان الحق النيسابوري[(١)]: (يبشرون في ثلاثة مواضع: عند الموت وفي القبر ويوم البعث)[(٢)].

وهو قول وكيع[(٣)] وزيد بن أسلم، ورجحه ابن كثير وغيره جرياً على القاعدة وهي إذا لم يكن فى الأقوال معارضة فتحمل الآية على الجميع.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث، رواه ابن أبي حاتم. وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جدًا وهو الواقع)[(٤)].

وقوله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإنا نخلفكم فيه، ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير[(٥)].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣١، ٣٢]؛ يخبر الله عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون، أي مُخْلَصون من الشرك والدنس وكل سوء وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة.

---

(١) هو: محمد بن أبي الحسن بن حسين النيسابوري الغزنوي، من غزة، المفسر. له كتاب: وضح القرآن في مشكلات القرآن، وخلق الإنسان، وجمل الغرائب في تفسير الحديث، توفي سنة ٥٥٠ هـ. (انظر: مقدمة تحقيق وضح البرهان، للداودي).

(٢) وضح البرهان في مشكلات القرآن، لبيان الحق النيسابوري، تحقيق صفوان عدنان داوودي (٢/ ٢٦٩).

(٣) نقله عنه البغوي في تفسيره (٧/ ١٧٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٩٩).

(٥) انظر: تفسير البغوي (٧/ ١٧٣) بتصرف.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (﴿طَيِّبِينَ﴾ فيه ستة أقوال: الأول ﴿طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الشرك، الثاني: صالحين، الثالث: زاكية أفعالهم وأقوالهم، الرابع: ﴿طَيِّبِينَ﴾ الأنفس، ثقةً بما يلقونه من ثواب الله تعالى، الخامس: طيبة نفوسهم بالرجوع إلى الله، السادس: ﴿طَيِّبِينَ﴾ أن تكون وفاتهم طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم؛ بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمُخلّط)[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضًا كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا)[2].

ورجح ابن جزي أن هذا يقال عند الموت[3].

ونخلص من الآيات السابقة أنه يقال لهم عند الموت: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٢﴾، و﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾، و﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١﴾.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١﴾.

(هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلمية، ط ١، (١٠/ ٦٧).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٠).
(٣) التسهيل لعلوم القرآن لابن جزي (٢/ ٥٧٢)، تحقيق محمد سالم، دار الباز، ط ١.



بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أي المحتضر ﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

قوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ أي فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم في حديث البراء أن ملائكة الرحمة تقول: «أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان»، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿فَرَوْحٌ﴾ يقول: راحة، ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ يقول: مستراحة. وكذا قال مجاهد: إن الروح الاستراحة، وقال ابو حزرة: الراحة من الدنيا، وقال سعيد بن جبير والسدي: الروح الفرح، وعن مجاهد ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ جنة ورخاء، وقال قتادة: ﴿فَرَوْحٌ﴾ فرحمة، وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ ورزق.

وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقربًا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرج والسرور والرزق الحسن.

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ قال محمد بن كعب: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار)[1].

وأخرج الإمام أحمد عن عطاء بن السائب قال: كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى رأيت شيخًا أبيض الرأس واللحية على حمار وهو يتبع جنازة، فسمعته يقول: حدثني فلان بن فلان سمع رسول الله ﷺ يقول: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، قال: فأكب القوم يبكون، فقال: «ما يبكيكم؟»، فقالوا: إنا نكره الموت، قال: «ليس ذاك، ولكنه

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٠)، وانظر: تفسير القاسمي (٧/ ٢١).



إذا احتضر: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾، فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله عز وجل، والله عز وجل للقائه أحب، ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ فإذا بشر بذلك كره لقاء الله، والله تعالى للقائه أكره»[1].

وأخرج البخاري عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: «ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾ أي وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين: ﴿فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾، أي تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم: سلام لك، أي لا بأس عليك، أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين[3].

(وفي محل السلام ثلاثة أقاويل:

أحدها: عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت، قاله الضحاك، وقال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام.

الثاني: عند مساءلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير.

---

(١) أخرجه أحمد (رقم: ١٧٥٦٧) ويشهد له الحديث الذي بعده.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم: ٦٠٢٦).

(٣) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٧/ ٢٢).



الثالث: عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إلى الجنة. وقد يحتمل أن تسلم عليه في المواطن الثلاثة ويكون ذلك إكرامًا بعد إكرام. .. والله أعلم)[١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: ١٠].

فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً ليستعتب ويستدرك ما فاته ولكن هيهات، كان ما كان وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه، فهذا مما يقوله الأبرار المقتصدون عندما يعاينون الملائكة وتنكشف لهم الحقائق[٢].

***

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ١٥١) بتصرف.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ٨٥) حيث نقل عن ابن عباس أن هذا من كلام المؤمنين المقتصدين.

المبحث السادس

خروج روح الكافر واحتضاره

عندما يحتضر الكافر تأتيه الملائكة فتبشره بالعذاب والنكال، فينكر ويقول: ما كنت أعمل من سوء. فلا ينفعه هذا الإنكار لأنه قد كتب عليه كل شيء وشهد الله عليه، فعندها يطلب الرجعة ليعمل صالحًا فلا يجاب لذلك، فيعلم ان العذاب واقع به لا محالة فتتفرق روحه في جسده هربًا من الملائكة ولكن ليس له مهرب ولا منجا، فتضربه الملائكة على وجهه ودبره ثم تنتزع روحه كما ينتزع الشوك من الصوف، دل على هذه المعاني الآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣].

(قوله تعالى: ﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي كرباته وسكراته، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف تقديره: لرأيت أمراً عظيماً، وهذه عبارة عن التعنيف في السياق والشدة في قبض الأرواح)[1].

وقوله تعالى: ﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بالضرب، كقوله ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى﴾ الآية، وقوله: ﴿وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ الآية، وقال الضحاك وأبو صالح: باسطو أيديهم أي بالعذاب كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾، ولهذا قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾.

(١) التسهيل لابن خزي (١/ ٢٧٩).

أي بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ وذلك أن الكافر إذا احتضر بشَّرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب القهار العظيم، فتفرق روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ الآية، أي اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله)[١].

ثم يُبشرون بالعذاب ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾.

وهذا كقوله تعالى: ﴿يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: ٢٢]، أي حرام محرم عليكم دخول الجنة.

وفي حديث البراء الطويل: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول»[٢].

وقال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر: ٢].

قال الزمخشري: (فإن قلت: متى تكون ودادتهم؟ قلت: عند الموت أو يوم القيامة)[٣]، و (الآية فيها إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا في الدنيا مع المسلمين. ونقل السدي في تفسيره بسنده المشهور

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٥٦)، وتفسير البغوي (٣/ ١٦٩)، وابن جرير (١١/ ٥٣٧).
(٢) تقدم تخريجه ص ١٩.
(٣) الكشاف (٢/ ٣٨٦).

عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن كفار قريش لما عرضوا على النار تمنوا أن لو كانوا مسلمين، وقيل: إن المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمنًا)[١].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل: ٢٨، ٢٩].

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن حال الكفرة عند الاحتضار أن الملائكة تتوفاهم، فإذا رأوا الملائكة واستسلموا للموت وعرفوا الحق وأنهم كانوا على باطل حاولوا الكذب فأخذوا يقولون: ما كنا نعمل من سوء، يعني بل نحن صالحون، فردت عليهم الملائكة وبينت لهم أن هذا الكلام لا ينفع لأن الله مطلع عليهم وعليم بما يفعلون، ثم يبشرونهم بالعذاب ويقولون لهم: أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين[٢].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

وفي هذه الآية يتكلم الله تعالى عن صورة أخرى للمحتضر الكافر أو المفرط، حيث إنه إذا رأى الحق وانقطعت حججه ورأى أنه لا مفر ولا مهرب؛ أخذ يصرخ نادمًا بطلب الرجعة ليعمل صالحًا، فيجاب أن الله تعالى قضى في هذه

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٥٤٤)، وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٠/ ١٧٧)، طبعة المجلس العلمي بفاس، ١٩٩٢.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للمعدي (٤/ ١٩٧)، والتسهيل لآبن جزي (١/ ٤٦٢) وغيرهما.



الأرض أن من مات فإنه لا يرجع إلا يوم القيامة، فهناك حاجز وبرزخ منيع يمنعه من الرجوع إلى هذه الدنيا، فتزداد حسراته[١].

وهم لا يكفون عن طلب الرجعة، فيطلبونها في كل وقت وفي كل حين، وقد حصرها الإمام الشنقيطي[٢] وبين أنها في أربعة مواضع[٣]، ولكن ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين أنها في خمسة مواطن، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى وقيلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته، ولهذا قال: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ -إلى قوله- ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ٤٤﴾ [إبراهيم: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ [السجدة: ١٢].

---

(١) انظر: معالم التنزيل للبنوي (٤٢٨/ ٥)، وفتح القدير للشوكاني (٤٩٥/ ٣) وغيرهما.

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد الله الجنكي الشنقيطي، ولد عام ١٣٢٥ هـ في بلدة (كيغا) في موريتانيا، إمام فقيه مفسر لغوى متفنن متبحر، له كتاب أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن في تسعة مجلدات، ودفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب وغيرها، توفي في المدينة عام ١٣٩٣ هـ. (انظر ترجمته في: مقدمة أضواء البيان، ص ٣-٦٤).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي (٥/ ٨٢٥)، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٩٨٨.



وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ -إلى قوله- ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الشورى: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر: ١١] والآية بعدها، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون:

١) عند الاحتضار.
٢) ويوم النشور.
٣) وقت العرض على الجبار.
٤) وحين يعرضون على النار.
٥) وهم في غمرات عذاب الجحيم.

وقوله ههنا: ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ حرف ردع وزجر، أي لا نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم: أي لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم، ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله كلا، أي لأنها كلمة، أي سؤاله الرجوع ليعمل صالحًا هو كلام منه وقولٌ لا عمل معه، ولو رُد لَمَا عمل صالحًا ولكان يكذب في مقالته هذه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

قال قتادة: والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولا بأن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، فرحم الله أمرًا عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب.



وفي قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ كما قال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ أي يستمر به العذاب إلى يوم البعث كما جاء في الحديث: «فلا يزال معذبًا فيها»، أي في الأرض)[١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: ٢١، ٢٢] عند الاحتضار يرى الكافر الملائكة، وهذه الرؤية بالنسبة له نذير عذاب وبشرى شر، حيث يقولون له: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي حرام محرم عليك الفلاح والفوز بشيء من النعيم وحرام عليكم دخول الجنة[٢].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد: ٢٧]؛ وهذه الآية فيها التصريح بضرب وجوه الكافرين وأدبارهم عند النزع، وتقدم هذا المعنى في آيات سابقة.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين عن موسى بن عبيدة عن داود بن بكر: (أن رجلاً مرض، فلما حضرته الوفاة قال: هذه الملائكة يضربون وجهي ودبري. يقول ذلك لأهله، فقلت لداود: ما هو؟ قال: كان رجلاً يقول بالتكذيب بالقدر)[٣].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٢٦- ٣٢].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٥) بتصرف.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٢٠، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٦٩) وغيرها.

(٣) كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا، ص ٢٣٤، تحقيق محمد خير يوسف، دار ابن حزم، ط ١.



قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي فاتصلت الشدة بالشدة، شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة، قاله ابن عباس والحسن وغيرهما. وقال الشعبي وغيره: المعنى التفت ساقا الإنسان عند الموت من شدة الكرب. وقال قتادة: أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجليه على الأخرى.

وقال سعيد بن المسيب والحسن أيضاً: هما ساقا الإنسان إذا التفتا في الكفن. وقال زيد بن أسلم: التفت ساق الكفن بساق الميت. وقال الحسن أيضًا: ماتت رجلاه ويبست ساقاه فلم تحملاه، ولقد كان عليهما جوالاً. قال النحاس: القول الأول أحسنها.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ ﴾

قال: آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رحمه الله أي شدة كرب الموت بشدة هول المطلع، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ وقال مجاهد: بلاء ببلاء. يقول: تتابعت عليه الشدائد. وقال الضحاك وابن زيد: اجتمع عليه أمران شديدان: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه، والعرب لا تذكر الساق إلاَّ في المحن والشدائد العظام، ومنه قولهم: قامت الدنيا على ساق، وقامت الحرب على ساق. قال الشاعر:

وقامت الحرب بنا على ســـاق

وقال قوم: الكافر تعذب روحه عند خروج نفسه، فهذه الساق الأولى، ثم يكون بعدهما ساق البعث وشدائده)[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٠].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٩/ ٧٣).

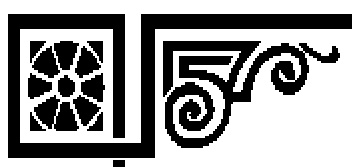


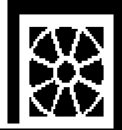
وقد فسر هذه الآية النبي ﷺ في حديث البراء السابق وفيه أنه قال: «... وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة -يعني عند الاحتضار- نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾.

يقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحًا ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾، فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»[١].

وفي هذا الحديث جمع لما تفرق من المعاني في الآيات السابقة، والله أعلم.

(١) تقدم تخريجه في ص ١٩، وأنه في المسند (١٨٠٦٣).








المـــوت

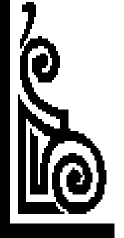
■ المبحث الأول: الموت حق على كل نفس.

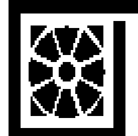
■ المبحث الثاني: الاستعداد للموت.

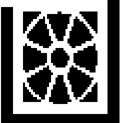
■ المبحث الثالث: سرعة انقضاء الأجل.

■ المبحث الرابع: الصلاة على الميت.

■ المبحث الخامس: الدعاء للميت.







المبحث الأول

الموت حق على كل نفس

ولعل هذا الأمر من الحقائق التي لا ينازع فيها أحد حتى الكفار لأنه من الأمور الحسية المشاهدة التي تدرك بالبصر والسمع، قال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ [ق: ١٩].

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الجمعة: ٨].

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنعام: ٦١].

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٨].



﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٥].

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص: ٨٨].

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٥].

***

المبحث الثاني

الاستعداد للموت

وقد حث الله تعالى على الاستعداد للموت لسببين:

١- لأنه قريب يأتي بغتة ولا يعلم أحد وقته:

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، فحذرهم من اقتراب آجالهم.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٤].

٢- لأن اكتساب الحسنات ينقطع بالموت:

قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

قال تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

أي قدموا لأنفسكم من الأعمال الصالحة قبل أن ينقطع عنكم الاكتساب بالموت، قوله: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ﴾ الضمير يعود إما على العمل أي واعلموا أنكم ملاقوا أعمالكم، أو يعود على لفظ الجلالة، أي ملاقوا الله تعالى فيجازيكم.



وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر: ١٨]، قوله تعالى: ﴿لِغَدٖ﴾ يعني ما بعد الموت، فما يعمله اليوم يلقاه بعد موته، وأما إذا مات فقد انقطع عمله، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لا يتمنّى أحدكم الموت ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا»(١).

❊❊❊

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر وقع به، رقم: ٢٦٨٢).

المبحث الثالث

سرعة انقضاء الأجل

العمر قصير والأجل محدود، وكل ما هو آت قريب، ولن يخلد أحد ولو خلد أحد لكان نبينا ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وقال تعالى مبيناً قصر الآجال: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

والناس إذا رأوا القيامة وأهوالها عرفوا قصر آجالهم وأعمارهم، بل إنهم يقدرونها بيوم واحد؛ قال تعالى: ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [طه: ١٠٣، ١٠٤].

بل إن بعضهم يقدره بأقل من يوم:

﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٤].

غير أن بعضهم يقدر العمر بأقل من ذلك ويقسم عليه:

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الروم: ٥٥].

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [يونس: ٤٥].

***



المبحث الرابع
الصلاة على الميت

الصلاة على الميت من فروض الكفايات بإجماع[١]، وأما في كتاب الله فقد دلت على مشروعيتها هذه الآية:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤].

فعلَّل الله تعالى سبب ترك الصلاة بأنهم كفروا بالله ورسوله، فمفهوم المخالفة أنه من آمن بالله ورسوله عليه أن يصلي عليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنه انه قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبدالله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر لهم، قال: «إنما خيرني الله فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾، فقال: سأزيده على سبعين» قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا معه ثم أنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾[٢]

وهذه هي الآية الوحيدة التي تدل على مشروعية الصلاة على الأموات من القرآن، وأما في السنة فإنها متواترة في الدلالة على مشروعية صلاة الجنازة.

---

(١) انظر: موسوعة الإجماع لسعدي أبو جيب (٢/ ٦٤١).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وَلَا تُصَلِّ عَلَىَ....) ر قم: ٤٣٩٥)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، رقم: ٢٤٠٠).



قال صديق حسن خان[١]: (والصلاة على الأموات ثابتة ثبوتاً ضروريًا من فعله ﷺ وفعل أصحابة)[٢].

***

(١) هو محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري القنوجي، من رجال النهضة الاسلامة المجددين، ولد فى قنوج (الهند)، وتعلم فى دلهي، ثم سافر إلى باهوبال طلبًا للمعيشة ففاز بثروة وافرة وتزوج بملكة باهوبال، له أكثر من ستين مؤلفا بالعربية والفارسية والهندية. منها: أبجد العلوم، خلاصة الكشاف، والروضة الندية شرح الدرر البهية للشوكاني. توفي عام ١٣٠٧ هـ، (انظر: الأعلام للزركلي، ٧/ ٣٦).

(٢) الروضة الندية شرح الدرر البهية لصديق حسن خان القنوجي البخاري (١/ ٤١٥) تحقيق محمد صبحي حلاق، الرياض، مكتبة الكوثر، ط ١، ١٩٩١.

المبحث الخامس

الدعاء للميت

الدعاء للميت المسلم مشروع وينفعه ودل عليه الكتاب، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]، فالذين سبقوهم بالإيمان منهم أموات.

وأما إن كان الميت كافرا فإنه لا يجوز الدعاء له، ودليله قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة: ١١٣].

وسبب النزول يوضح هذا المعنى ويجليه؛ عن ابن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: «أي عم قل «لا إله إلا الله» كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾[(١)].

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: رحم الله رجلاً استغفر لأبي هريرة ولأمة، فقال رجل: ولأبيه؟ قال: لا إن أبي مات مشركاً.

---

(١) متفق عليه البخاري (كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، رقم: ٣٦٧١)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يغرغر، رقم: ٢٤).

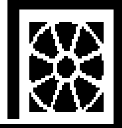
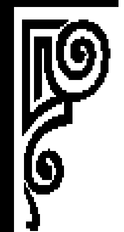


وقال عطاء بن أبي رباح: ما كنت لأدع الصلاة على أحد من أهل القبلة ولو كانت حبشية حبلى من الزنا، لأني لم أسمع الله حجب الصلاة إلاَّ عن المشركين، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الآية[1].

***

(١) أخرجهما ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/ ٥١٧).



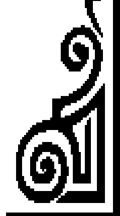
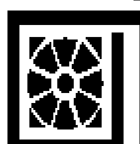



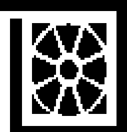
الفصل الثالث



القبر

- المبحث الأول: الدليل على مشروعية قبر الإنسان ودفنه في التراب.
- المبحث الثاني: زيارة المقابر.
- المبحث الثالث: سؤال الميت في قبره.
- المبحث الرابع: عذاب القبر، وهل هو على الروح أم على الجسد.
- المبحث الخامس: نعيم القبر.
- المبحث السادس: هل يسمع الميت في قبره؟



المبحث الأول

الدليل على مشروعية قبر الإنسان ودفنه في التراب

كثير من المسلمين يظن أن هذا مما أخذ بالوراثة لا بالدليل، حتى إن بعضهم أنكر وجود دليل على مشروعية دفن الميت في التراب وجعل هذا من أمور العادات[1]؛ فدفن الميت وحرقه وإغراقه سواء عنده!!

بل الصحيح أن الميت يدفن في التراب، إلا للضرورة، فالضرورة لها أحكامها.

وقد دل على ذلك أدلة كثيرة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ **قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ** ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٥]

فقوله: ﴿**وَفِيهَا تَمُوتُونَ**﴾ أي في الأرض، (في) للظرفية أي بداخلها، وأما (في) الأولى فإنها بمعنى (على) لأن الناس يحيون على الأرض لا داخلها، ولا يقال أن (في) الثانية بمعنى (على)؛ لأن الأصل في معناها الظرفية ولا ينتقل عن هذا الأصل إلا بقرينة، ولا قرينة هنا.

ويدل عليه قوله تعالى بعدها: ﴿ **وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ** ﴿٢٥﴾ ﴾.

٢- ومثل السابق قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥].

٣- ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦].

---

(١) انظر: الدروز في إسرائيل، لمحفوظ عبد العال، ص ٣٥، الدار المصرية للنشر والتوزيع، ط ١٩٩٣.



قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (أي ضامة تضم الأحياء على ظهورها والأموات في بطنها، وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه، ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه.

يقال: كفتُّ الشيء أكفته: إذا جمعته وضممته، والكفت: الضم والجمع.

وأنشد سيبويه:

كــرام حيــن تنكفــت الأفــاعـي ... إلــى أجحارهــن مــن الصقيــع

وقال أبو عبيد: (كفاتًا) أوعية. ويقال للنِّحْيِ: كفت وكفيت، لأنه يحوي اللبن ويضمه، قال:

فــأنــت الـيــوم فــوق الأرض حيًّا ... وأنــت غــداً تضمــك في كفــات

وخرج الشعبي في جنازة فنظر الى الجبَّان -يعني المقبرة- فقال: هذه كفات الأموات، ثم نظر إلى البيوت فقال: هذه كفات الأحياء.

وروي عن ربيعة في النباش قال: تقطع يده، فقيل له: لم قلت ذلك؟

قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾، فالأرض حرز.

وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة؛ لأنه مقبرة تضم الموتى، فالأرض تضم الأحياء في منازلهم والأموات في قبورهم)[1].

٤- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ [عبس: ٢١]؛ أي جعل له قبرًا إكرامًا له ولم يُلْق على الأرض حتى لا تأكله السباع والعوافي[2].

هذا خلافا لفعل المجوس الذين يحرقون موتاهم.

---

(١) تفسير القرطبي (١٠٥/ ١٩).

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاربني (٢/ ٤).

ويدل على وجوب الدفن:

حديث زيد بن ثابت قال: بينما النبي ﷺ فى حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه ،وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟»، فقال رجل: أنا، قال: «فمتى مات هؤلاء؟»، قال: ماتوا فى الإشراك. فقال: «إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسْمِعَكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «تعوذوا بالله من عذاب النار»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر وما بطن، قال: «تعوذوا بالله من فتنة الدجال»، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال[1].

ودفن الميت إكرام له لأجل حمايته من السباع والهوام وحتى لا يسرع التعفن إليه، فأجساد الناس ليست كأجساد الأنبياء، حيث إن أجساد الأنبياء لا تبلى بسبب الموت ؛ كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ: ١٤]. فما علموا أنه مات إلا عندما خر على الأرض، ولو كان جسده يبلى بالموت لعرفوا موته بسبب ذلك، حيث إنه جلس حولاً كاملاً وهو ميت، كما ذكر ذلك المفسرون[2].

وهذا ثابت في السنة، فعن أوس بن أوس عن النبي ﷺ قال: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة،

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة او النار عليه، رقم: ٢٨٦٧).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٦٩١)، وغيره .



فأكثروا عليَّ من الصلاة فإن صلاتكم معروضة عليَّ»، قالوا: يا رسول الله وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ -أي يقولون قد بليت-، قال: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»[1]. فمفهومه أن أجساد غير الأنبياء تأكلها الأرض.

والله أعلم.

***

(١) أخرجه النسائي (كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي يوم الجمعة، رقم: ١٣٧٤)، وأبو داود (كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم: ١٥٤٧)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنَّة فيها، باب في فضل الجمعة، رقم: ١٠٨٥)، وإسناده صحيح.



المبحث الثاني

زيارة المقابر

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة: ٨٤]، ويفهم منه جواز القيام على قبر المؤمن وهذا يستلزم زيارته.

وأما الأحاديث التي تحث على زيارة المقابر فكثيرة، منها ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت»(١).

وأما قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ [التكاثر: ١، ٢] فالمقصود به الموت، أي ألهتكم هذه الدنيا حتى متم وأدخلتم المقابر، قال ابن كثير رحمه الله: (يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها)(٢).

❊❊❊

---

(١) صحيح مسلم (كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، رقم: ٩٧٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٥٤٤).



المبحث الثالث

سؤال الميت في قبره (فتنة القبر)

إذا دفن الميت ووضع في قبره جاءه ملكان فيسألانه عن ربه ودينه ونبيه، فيوفق المؤمن ويثَبَّتُ قلبه ويأتي بالجواب على وجهه، وأما الكافر فإنه يضل ولا يهتدي للجواب.

قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾»(١).

وأخرج الإمام أحمد عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له، فقال: «أعوذ بالله من عذاب القبر»، ثلاث مرار، ثم قال: «إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا تنزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس، مع كل واحد كفن وحنوط، فجلسوا منه مد البصر حتى إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم، فإذا عرج بروحه قالوا: ربي عبدك فلان، فيقول: أرجعوه فإني عهدت

---

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب تفسير القران، باب ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ رقم: ٤٤٢٢)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، رقم: ٢٨٧١).

إليهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه فيأتيه آت فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟: فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فينتهره فيقول من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك ؟، وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ ﴾، فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبي محمد رسول الله ﷺ، فيقول له: صدقت، ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب، فيقول: أبشر بكرامة من الله ونعيم مقيم، فيقول: وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، كنتَ والله سريعًا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيراً ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار، فيُقال: هذا كان منزلك لو عصيت الله أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي. فيُقال له: اسكن.

وإن الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزلت عليه ملائكة غلاظ شداد فانتزعوا روحه كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل، وتنزع نفسه مع العروق فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن لا تعرج روحه من قبلهم، فإذا عُرج بروحه قالوا: ربي فلان بن فلان عبدك، قال: أرجعوه فإني عهدت إليهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه، قال: فيأتيه آتٍ فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيقول: لا دريت ولا تلوت، ويأتيه آت قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بهوان من الله وعذاب مقيم، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث كنت بطيئًا



عن طاعة الله سريعا في معصية الله فجزاك الله شرًّا. ثم يُقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابًا فيضربه ضربة حتى يصير ترابًا ثم يعيده الله كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء الا الثقلين».

قال البراء بن عازب: ثم يفتح له باب من النار ويمهد من فرش النار[١].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده، قال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: صدقت، ثم يفتح له باب إلى النار فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذْ آمنت فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن، ويفسح له في قبره.

وإن كان كافراً أو منافقًا يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً، فيقول: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقول: هذا منزلك لو آمنت بربك، فأما إذْ كفرت به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا، ويفتح له باب إلى النار ثم يقمعه قمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين»، فقال بعض القوم: يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هبل، فقال عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (١٨١٤٠)، وأبو داود (كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم: ٤٧٥٣) وسنده حسن.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٦١٧)، قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٣٣): هذا إسناد لا بأس به.



وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ [غافر :١١].

استدل بعض العلماء بهذه الآية على السؤال في القبر، فقالوا: أحياهم الله في الدنيا ثم أماتهم، ثم أحياهم في القبر للسؤال ثم أماتهم، فهذه موتتان وحياتان، وهو قول السدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذا القول فيه نظر لأن هذا القائل أغفل إحياء يوم القيامة الذي هو أعظم أنواع الإحياء، وعلى هذا القول يكون أحياهم ثلاث مرات.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (اختلف أهل التأويل في معنى قولهم: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك: كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم، ثم أحياهم ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها في الدنيا، ثم أحياهم للبعث والقيامة، فهاتان حياتان وموتتان، وهو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال السدي: أميتوا في الدنيا ثم أحياهم في القبور للمسالة، ثم أميتوا ثم أُحيوا في الآخرة. وإنما صار إلى هذا لأن لفظ الميت لا ينطلق فى العرف على النطفة. واستدل العلماء من هذا في إثبات سؤال القبر)[١].

ورد الإمام ابن كثير هذا القول في تفسير الآية فقال: (وقوله: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، قال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾، وكذا قال ابن عباس والضحاك وقتادة وأبو مالك، وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية.

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ١٩٤)، وانظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٦٦).



وقال السدي: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخوطبوا ثم أميتوا ثم أحيوا يوم القيامة. وقال ابن زيد: أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام ثم خلقهم في الأرحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة، وهذان القولان من السدي وابن زيد ضعيفان لأنه يلزمهما على ما قالا ثلاث إحياءات وإماتات، والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما).

ورجحه أيضا ابن جزيء في تفسيره[1]، وهو الراجح.

***

(١) التسهيل (٢/ ٢٧٧).

المبحث الرابع

عذاب القبر، وهل هو على الروح أم على الجسد

انكر بعضهم كون عذاب القبر ذكر في القرآن(١)، والصحيح أنه موجود في آيات كثيرة ذكر بعضهم أنها ثلاثة(٢)، وعدها ابن القيم فأوصلها خمساً(٣)، وتتبعها ابن رجب فأوصلها ستًا(٤). وبالتتبع وجدتها عشراً، وهي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣].

وتقدم تفسير هذه الآية، والشاهد منها قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾، فالآية تبين حال المحتضر الكافر وأنه تأتيه الملائكة وتخبره أنه سوف يعذب اليوم، يعني يوم موته، وهذا يدل أن العذاب يكون قبل يوم القيامة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقول الملائكة ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ دليل واضح على عذاب القبر ولو تأخر عنهم العذاب إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾(٥).

---

(١) انظر: كتاب الروح لابن القيم، ص ١٣١. تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط ٤، وفتح الباري (٣/ ٢٣٢)، لابن حجر العسقلاني، القاهرة، دار الريان، ١٩٨٦، فقد نقلا ذلك عن بعض العلماء وضعفاه.

(٢) كان شيخنا محمد العثيمين يقول: يدل على عذاب القبر ثلاث آيات، وصنيع البخاري يدل على ذلك أيضا، حيث ذكر ثلاث آيات فقط في كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر. وهي الآيات الثلاث الأولى من هذا المبحث.

(٣) الروح، ص ١٣١.

(٤) أهوال القبور لابن رجب، ص ٧٩، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٩٠.

(٥) الروح، ص ١٣٢.



٢ - قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [التوبة: ١٠١].

قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: المرة الأولى فى الدنيا، من المصائب في النفس أو المال أو الولد أو غير ذلك، وأما المرة الثانية ففي القبر، وأما عذاب الآخرة فذكره بقوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

وهذا هو تفسير ابن عباس وابن جريج والحسن ومحمد ابن إسحاق وقتادة[1] وغيرهم.

٣- قال تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦]، وهذا النص من النصوص الصريحة في عذاب القبر، فإن هذا العذاب الذي حصل لآل فرعون إنما كان بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة فهو المذكور بعده بقوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساء إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار ولهذا قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾، أي أشده ألما وأعظمه نكالاً، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور.

ولكن هنا سؤال: فإنه لا شك أن هذه الآية مكية، وقد استدلوا بها على عذاب

(١) انظرة تفسير ابن جرير الطبري (١٤/ ٤٤١).

القبر في البرزخ، وقد أخرج الإمام أحمد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ان يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إليها شيئا من المعروف إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فدخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليَّ، فقلت: يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا، من زعم ذلك؟»، قالت: هذه اليهودية، لا أصنع إليها شيئا من المعروف الاَّ قالت: وقاك الله عذاب القبر، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كذبت يهود وهم على الله أكذب، لا عذاب دون يوم القيامة». ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محمرة عيناه وهو ينادي بأعلى صوته: «القبر كقطع الليل المظلم، أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرا وضحكتم قليلاً، أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق». وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه.

وروى أحمد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألتها امرأة يهودية فأعطتها فقالت لها: وقاك الله من عذاب القبر، فأنكرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذلك، فلما رأت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت له، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا». قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ثم قال لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك: «إنه أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم»، وهذا أيضاً على شرطهما.

فيقال: فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ؟

والجواب: أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوًا وعشيًا في البرزخ وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور؟ إذ قد يكون ذلك مختصًا بالروح، فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنَّة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها.

وقد يقال إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ ولا يلزم من



ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب ؛ ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول: أشعرت أنكم تفتنون في قبوركم؟ فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما يفتن يهود»، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ﷺ: «ألا إنكم تفتنون في القبور».

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فكان رسول الله ﷺ بعد يستعيذ من عذاب القبر. وهكذا رواه مسلم.

وقد يقال: إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يتصل فى الأجساد في قبورها، فلما أوحي إلى النبي ﷺ في ذلك بخصوصه استعاذ منه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقد روى البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن يهودية دخلت عليها فقالت: نعوذ بالله من عذاب القبر، فسألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال ﷺ: «نعم عذاب القبر حقٌ». قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلاَّ تعوذ من عذاب القبر.

فهذا يدل على أنه بادر ﷺ إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه. وفي الأخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي، فلعلهما قضيتان، والله سبحانه أعلم، وأحاديث عذاب القبر كثيرة جدًا)[1].

٤- قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١].

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٨١) بتصرف.



قال ابن القيم: (وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبد الله بن عباس على عذاب القبر. والاحتجاج بها فيه شيء؟ لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعي به رجوعهم عن الكفر، ولم يكن هذا ليخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن، ولدقة فهمه فيه فهم منها عذاب القبر، فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين؛ أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال: ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ ولم يقل ولنذيقهم العذاب الأدنى، فتأمله.

وهذا نظير قوله ﷺ: «فيفتح له طاقة من النار فيأتيه من حرها وسمومها»، ولم يقل: فيأتيه حرها وسمومها، فإن الذي وصل إليه بعض ذلك وبقي له الأكثر، والذي ذاقه أعداء الله في الدنيا بعض العذاب وبقي ما هو أعظم منه)[1].

٥- قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القيامة: ٢٦- ٣٠].

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾: أي اتصلت الشدة بالشدة، بداية من سكرات الموت وشدة النزع، مرورًا بفتنة القبر ثم عذاب القبر ثم عذاب النار.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي فاتصلت الشدة بالشدة؛ شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة. قاله ابن عباس والحسن وغيرهما).

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ قال: آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة الا من رحمه الله، أي شدة كرب الموت بشدة هول المطلع، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾.

---

(١) الروح، ص ١٣٢.



وقال مجاهد: بلاء ببلاء. يقول: تتابعت عليه الشدائد.

وقال الضحاك وابن زيد: اجتمع عليه أمران شديدان: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه. والعرب لا تذكر الساق إلا في المحن والشدائد العظام؛ ومنه قولهم: قامت الدنيا على ساق، وقامت الحرب على ساق. قال الشاعر:

وقامت الحرب بنا على ســـاق

وقال قوم: الكافر تعذب روحه عند خروج نفسه، فهذه الساق الأولى، ثم يكون بعدهما ساق البعث وشدائده)[١].

٦- قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: ٤٥-٤٧].

قال البراء في تفسير هذه الآية ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: وهو عذاب القبر[٢].

وقال ابن القيم في تفسير هذه الآية: (وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا؛ وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر، لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا، وقد يقال وه.و أظهر: إن من مات منهم عذب في البرزخ ومن بقي منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ)[٣].

٧- وذكر ابن القيم[٤] هذه الآية للدلالة على عذاب القبر: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ [الواقعة: ٩٢-٩٤]

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/ ٧٣) بتصرف.
(٢) انظر: أهوال القبور لابن رجب، ص ٨٠.
(٣) الروح، ص ١٣٢.
(٤) في كتابه الروح، ص ١٣٣.



أي أن المحتضر المكذب الضال يُهيَّأ له نزل من حميم وجحيم، وهذا عام فيشمل جميع الوقت الذي بعد الموت ومنه الوقت الذي يكون فيه الكافر في القبر.

٨- قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾ الآيات [التكاثر: ١-٨].

أخرج الترمذي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾[١].

٩- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ⑫④﴾ [طه: ١٢٤].

أخرج ابن حبان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً﴾ قال: «عذاب القبر»[٢].

وهو تفسير بعض الصحابة أيضاً كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: المعيشة الضنك هي عذاب القبر[٣].

١٠- قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ②⑤﴾ [نوح: ٢٥].

قوله: ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ أي بعد إغراقهم، قال القشيري: وهذا يدل على عذاب القبر[٤].

وأما حديث خيثمة عن البراء بن عازب في نزول قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾، رقم: ٣٣٥٥)، وانظر: أهوال القبور لابن رجب، ص ٧٩.

(٢) موارد الظمآن (٥/ ٤٢٦) رقم: ١٧٥١)، وحسنه المحقق حسين أسد.

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٣).

(٤) نقله عنه القرطبي في تفسيره (١٨/ ٢٠١).



ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ قال: نزلت في عذاب القبر[(١)].

فهو إما اجتهاد خاطىء أو وهم من الراوي، لأن هده الآية يقصد بها سؤال الميت لا عذابه، وسياق الآية ظاهر في هذا، وهو قول عامة المفسرين -كما تقدم في المبحث السابق- والذي يؤيد أنه وهم من الراوي أن البراء نفسه روى تفسير هذه الآية عن رسول الله ﷺ، وأن المقصود به سؤال الميت وفتنته في القبر لا عذابه، وهذه الرواية في الصحيحين عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فدلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[(٢)].

هذا وقد تواترت الأحاديث الدالة على عذاب القبر[(٣)]، وقد ذكرنا طرفاً منها فيما سبق.

وذكر الكتاني الصحابة الذين رووا أحاديث عذاب القبر فبلغ اثنين وثلاثين صحابيًا، ونقل عن صاحب المصابيح قوله: (قد كثرت الأحاديث في عذاب القبر حتى قال غير واحد أنها متواترة لا يصح التواطؤ عليها، وإن لم يصح مثلها ؛ لم يصح شيء من الدين)[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، رقم: ٢٨٧١).

(٢) متفق عليه، البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾، رقم: ٤٤٢٢)، ومسلم (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، رقم: ٢٨٧١).

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٣)، وأهوال القبور لابن رجب، ص ٨١.

(٤) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني، ص ١٣٤. بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٧.



* ومذهب أهل السنَّة والجماعة أن العذاب يقع على الروح والجسد، كما ذكره ابن القيم عنهم[١]، وذكره غيره كما سيأتي.

وقد دل عليه الكتاب، فقد استنبط هذا الحكم الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾﴾ [غافر: ١١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (واستدل العلماء من هذا في إثبات سؤال القبر، ولو كان الثواب والعقاب للروح دون الجسد فما معنى الإحياء والإماتة؟ والروح عند من يقصر أحكام الآخرة على الأرواح لا تموت ولا تتغير ولا تفسد، وهو حي لنفسه لا يتطرق اليه موت ولا غشية ولا فناء)[٢].

وذكر بعضهم إشكالاً حيث قال: إننا لا نرى هذا العذاب على الميت، ولو كشف القبر لوجد كما هو لم يتغير؟

الجواب: ينبغي أن يعلم أن أحوال البرزخ لا تقاس على أحكام الدنيا، بل يتوقف فيها نفيًا وإثباتاً على النصوص.

وقد اتفق أهل السنَّة على أن العذاب يقع على الروح والبدن كما نقله عنهم السيوطي، حيث قال: (عذاب القبر هو عذاب البرزخ أضيف إلى القبر لأنه الغالب، وإلاَّ فكل ميت إذا أراد الله تعذيبه ناله ما أراد به، قُبر أو لم يُقبر، ولو صلب أو غرق في البحر أو أكلته الدواب أو حرق حتى صار رمادًا أو ذري في الريح، ومحله الروح والبدن جميعا باتفاق أهل السنة وكذا القول في النعيم)[٣].

---

(١) الروح، ص ٩٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥ / ١٩٤).
(٣) شرح الصدور، للسيوطي، ص ١٨١.



ونقَل هذا عن أهل السنَّة والجماعة أيضا ابن القيم - كما تقدم.

ولكن أنكر بعض العلماء -كابن حزم وابن هبيرة(١)- وقوع العذاب على الجسد مستدلين بالشبه السابقة في الإشكال.

ووقوع العذاب على الجسد قد دلت عليه الآية السابقة وصرحت به الأحاديث المتكاثرة، ومن ذلك:

- حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذا حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟»، فقال رجل: أنا، قال: «فمتى مات هؤلاء؟»، قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»(٢).

- وعن ابن عباس قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة، قالوا: يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: «لعله يُخفف عنهما ما لم ييبسا». متفق عليه. وفي رواية النسائي: سمع الرسول صلى الله عليه وسلم صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال: «يعذبان، وما يعذبان فى كبير...» الحديث(٣).

---

(١) انظر: فتح الباري (٣/ ٢٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم: ٢٨٦٧).

(٣) الحديث متفق عليه، البخاري (كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول. رقم: ١٢١٥، ومسلم (كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، وجوب الاستبراء منه، رقم: ٢٩٢)، ورواية النسائي فى (كتاب الجنائز، باب وضع الجريدة على القبر، رقم: ٢٠٦٨).



فسماع النبي ﷺ لأصوات المعذبين في قبورهم، وسماع البهائم أيضًا كما في حديث عائشة قالت: دخلت عليَّ عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا لي: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا، ودخل على النبى ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن عجوزين، وذكرت له، فقال: «صدقتا إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم كلها»، فما رأيته بعدُ في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر[١].

فهذا يدل على أن العذاب على الجسد حيث أُدرك بإحدى الحواس الخمس وهي السمع.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث البراء الطويل -المتقدم- في قوله: «فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابًا، ثم تعاد فيه الروح»، وقوله في الحديث: «حتى تختلف أضلاعه».

قال: (فقد صرح الحديث بإعادة الروح إلى الجسد، وباختلاف أضلاعه، وهذا بَيِّن فى أن العذاب على الروح والبدن مجتمعين)[٢].

وقد نقل اللالكائي[٣] بسنده في باب (سياق ما روي بها أرى الله وأسمع من عذاب القبر) عن بعض الصحابة والتابعين أنهم رأوا أو سمعوا عذاب القبر حقيقة، وكذلك السيوطي[٤] في باب عذاب القبر ذكر قصصًا كثيرة في ذلك، وكذا ابن القيم[٥] وابن رجب[٦] رحم الله الجميع.

---

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم: ٦٠٠٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر، رقم: ٥٨٦).

(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية (٤/ ٢٨٩).

(٣) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله اللالكائي (١٢١٤/ ٣).

(٤) في شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، ص ١٧٢-١٨٠.

(٥) الروح، ص ١١٨. وانظر كتاب القبور لابن أبي الدنيا.

(٦) أهوال القبور في فصل: ما جاء في الكشف عن بعض عذاب أهل القبور ونعيمهم، ص ١٥٩.



ولكن كيفية هذا العذاب على الجسد لا نعلمها، فنؤمن بها ولا نحرفها ونكل علم حقيقتها إلى خالقها، فكما أننا لا نسمع أصوات المعذبين فكذلك لا نرى عذابهم.

ولو كان هذا العذاب يرى بالعين لذهبت الفائدة من ابتلاء الناس بالإيمان به، لأن المدرك بالحواس يتفق العقلاء -كفارًا كانوا أو مسلمين- على تصديقه، أما الغيب فهو الذي يعرف فيه المؤمن من الكافر، فالمؤمن يصدق بكلام الله ورسوله، وأما الكافر فلا يؤمن، لأنه لا يرى العذاب.

***



المبحث الخامس

نعيم القبر

والآيات السابقة تدل بمفهومها على نعيم القبر، فإن كان القبر للكافر عذابا فهو للمؤمن نعيم، وقد دل على هذا المفهوم صراحة موضع واحد في كتاب الله، هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

اختلف العلماء في وقت هذا التنزل وهذه البشارة على ثلاثة أقوال(١):

الأول: أن هذا يكون عند الاحتضار، لأن الملائكة تنزل في وقت الاحتضار ويراها المحتضر، ويدل عليه حديث البراء المتقدم: «إن الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه، أخرجي إلى رَوح وريحان ورب غير غضبان»(٢).

الثاني: إن الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم، قال جعفر بن سليمان: سمعت ثابتاً قرأ سورة (حَمَ) السجدة، حتى بلغ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فوقف فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حيث يبعثه الله تعالى من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له: لا تخف ولا تحزن ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾. قال: فيؤمِّن الله

---

(١) انظر: تفسير القاسمي (٦/ ١٥٣)، والكاشف للزمخشري (٣/ ٤٥٣)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٩٥) وغيره.

(٢) انظر تخريجه ص ١٩.



تعالى خوفه ويقر عينه، فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى، ولما كان يعمل له في الدنيا.

الثالث: أن هذه البشارة تكون في قبره بشارة له ببداية النعيم.

الراجح:

فال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث.

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جدًا وهو الواقع[1].

***

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٩٩). وقد نقل في نفس الموضع الكلام السابق لزيد بن أسلم.



المبحث السادس
هل يسمع الميت في قبره؟

بادي ذي بدء فإن كون الموتى يسمعون أو لا يسمعون إنما هو أمر غيبي من أمور البرزخ التي لا يعلمها الا الله تعالى، فلا يجوز الخوض فيه بالأقيسة والآراء، وإنما يتوقف فيه مع النص إثباتًا ونفيًا(١).

والآيات في هذه المسألة كثيرة ؛ فمن ذلك قوله تعالى:

* قوله: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] .
* وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٥].
* وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢].
* وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [النمل: ٨٠].
* وقوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الروم: ٥٢].

---

(١) انظر: الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات، للعلامة الألوسي، طبع المكتب الإسلامي ١٤٠٥ هـ، ص ٢١.



وقد اختلف العلماء في فهم الآيات السابقة، على قولين[١]:

القول الأول: أن الأموات يسمعون كلام الأحياء:

واستدلوا لهذا القول بأدلة كثيرة منها:

١ - قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ (الأعراف: ٧٧ - ٧٩).

فخاطبهم صالح خطاب من يسمع، ولو كانوا لا يسمعون لكان خطابهم لغوا من القول ينزه عنه الأنبياء.

٢- ومثله قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (الأعراف: ٩١ - ٩٣).

٣- عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»[٢]، فلو لم يكن الميت يسمع لما أمر بتلقينه.

٤- عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال:

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٦/ ٤٢١)، فتح الباري لابن حجر (٢٧٦/ ٣، الحديث رقم: ١٣٧) وكتب التفسير.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله، رقم: ٩١٦).

انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة[١].

فأثبت النبي ﷺ سماع الميت لقرع نعالهم، وهذا نص صريح من المعصوم ﷺ.

٥- عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما أخبره قال: اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال: «وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟»، فقيل له: تدعو أمواتا؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون»[٢].

فأثبت لهم السماع، وهذا من أقوى الأدلة على سماع الأموات.

٦- وأخرج الإمام أحمد من طريق أبي شعبة الطحان عن أبي الربيع قال: كنت مع ابن عمر في جنازة فسمع صوت إنسان يصيح فبعث إليه فأسكته، فقلت: يا أبا عبد الرحمن لم أسكته؟ قال: إنه يتأذى به الميت حتى يدخل قبره[٣].

٧- وأخرج الإمام أحمد من طريق سعيد بن عمرو بن سليم قال: سمعت رجلاً منا -قال عبد الملك: نسيت اسمه ولكن اسمه معاوية أو ابن معاوية- يُحدث عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن الميت يعرف من يحمله ومن يغسله ومن يدليه في قبره». فقال ابن عمر -وهو في المجلس-: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي سعيد، فانطلق ابن عمر إلى أبي سعيد، فقال: يا أبا سعيد ممن سمعت هذا؟ قال: من النبي ﷺ[٤].

٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ وقف على مصعب بن عمير وعلى

---

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، رقم: ١٢٧٣)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم ٢٨٧٠).

(٢) رواه البخاري (كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم: ١٣٠٤).

(٣) رواه أحمد (رقم: ٦١٦٠) بسند ضعيف جدًا فيه أبو شعبة الطحان وهو متروك، وأبو الربيع مجهول.

(٤) رواه أحمد (رقم: ١٠٦١٤) بسند ضعيف فيه معاوية وابن معاوية مجهولان.



أصحابه حين رجع من أحد فقال: «أشهد أنكم أحياء عند الله تعالى، فزوروهم وسلِّموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة»[(١)].

وأما الآيات السابقة فقد أجابوا عنها بالأجوبة التالية:

١- قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

المقصود به الأصنام والأوثان التي كانت تعبد من دون الله، فهي جمادات لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ؛ كما قال إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾ [مريم: ٤٢].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥﴾ [الأحقاف: ٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥﴾ أي: لا أضلَّ ممن يدعو من دون الله أصناما ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامة وهي غافلة عما يقول لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش لأنها جماد حجارة صم)[(٢)].

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٢٤٨) وانظر: مختصر استدراك الذهبي على الحاكم لابن الملقن (٢/ ٧٢٥) رقم: ٢٧٢٧، ونسبه المحقق إلى البيهقي في دلائل النبوة، وهو حديث ضعيف، بل قال الذهبي: موضوع.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ١٥٤).

مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢].

وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [النمل: ٨٠].

وقوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الروم: ٥٢].

قالوا: هذا مجاز، وليس المقصود بقوله: ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وقوله: ﴿مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ الموتى حقيقة في قبورهم، وإنما المراد بهم الكفار الأحياء شُبهوا بالموتى(١).

وذهب إلى هذا القول القرطبي(٢)، وشيخ الإسلام ابن تيمية(٣) وتلميذاه ابن القيم(٤) وابن كثير(٥) عليهم رحمة الله، وهو رأي الشيخ الشنقيطي رحمه الله(٦).

القول الثاني: أن الأموات لا يسمعون.

وهو مذهب الحنفية(٧)، واستدلوا لذلك بأدلة هي كالآتي:

١- قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [أفاطر: ١٣، ١٤].

---

(١) الآيات البينات، ص ٢١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ١٥٤).
(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٩٨).
(٤) الروح، ص ٨٧.
(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٠).
(٦) أضواء البيان (٤ / ٤٢١).
(٧) انظر: كتاب الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات، للعلامة الألوسي، طبع المكتب الإسلامي.



وهذه الآية المقصود بها الأموات، لأن كون الأصنام لا تسمع هو أمر معروف، فهي جمادات كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢]. فلم ينكر عليه أبوه هذا الكلام؛ فلا يحتاج أن ينبهه عليه إذن، ويدل على أن المقصود هو الأموات حقيقة قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، والأصنام لا تبعث لأنها جمادات، بخلاف العابدين والمعبودين فإنهم جميعا محشورون، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الفرقان: ١٧]، وليس في الكتاب ولا السنة ما يدل على حشر الجمادات[(١)].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: (أي يجحدون أنكم عبدتموهم، ويتبرأون منكم. ثم يجوز أن يرجع هذا إلى المعبودين مما يعقل كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين، أي يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقًا، وأنهم أمروكم بعبادتهم، كما أخبر عن عيسى بقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾[(٢)]. قال الشوكاني كلامًا قريبًا من كلامه.[(٣)]

وهذا دليل قوي على نفي سماع الأموات، لأن قوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ أي لا يسمعون سماعًا حقيقيا، ولا يقال أن هذا هو سماع انتفاع واستجابة لأن الله تعالى قال بعدها: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ ففرق بين السماع والاستجابة، وهذا إنما يصدق على من لا يسمع سماعا حقيقيًا.

ولو كان معنى قوله: ﴿لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ أي سماع انتفاع، فإن الذي

(١) الآيات البينات، ص ٢٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٤/ ٢١٥).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٣٢).



يسمع ولا ينتفع هو الذي لا يستجيب لما يسمع، وعليه يكون قوله: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ تكراراً لا داعي له، ولغو من القول ينزه عنه القرآن.

ومثله قوله تعالى:

٢- ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٥].

وزعم ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره أن هذه الآية المقصود بها الأصنام -كما تقدم-، وهو قول بعيد، فقد قال تعالى بعده: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٦] والأصنام لا تحشر يوم القيامة، ولا تكون عدوة لأحد ولا تكفر بعبادة أحد لأنها جماد لا تحس ولا تبصر ولا تسمع.

وهذه الآية من أقوى الأدلة على نفي سماع الأموات، لأن قوله: ﴿غَٰفِلُونَ﴾ لا يحتمل قولهم سماع انتفاع، بل المقصود هو عدم السماع الحقيقي، لأن الغافل هو الذي لا يسمع سماعاً حقيقيًا، ولا يقال للذي يسمع ولكنه لا ينتفع بما يسمع أنه غافل.

٣- ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي الكفار الذين أمات الكفر قلوبهم، أي كما لا تسمع من مات، كذلك لا تسمع من مات قلبه)[1].

وقال ابن جزي في قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾: (عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ، فشبههم بالموتى في عدم إحساسهم، وقيل:

(١) فتح القدير (٤/ ٣٣٥).



المعنى أن أهل القبور وهم حقيقة لا يسمعون، فليس عليك أن تسمعهم وإنما بعثت للأحياء)[١].

٤ – وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [النمل: ٨٠].

٥ – وقال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الروم: ٥٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يقول تعالى كما أنك ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجداثها ولا تبلغ كلامك الصم الذين لا يسمعون وهم مع ذلك مدبرون عنك؛ كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق وردهم عن ضلالتهم، بل ذلك إلى الله فإنه تعالى بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وليس ذلك لأحد سواه)[٢].

وجه الاستدلال من الآيات الثلاث السابقة:

(أن الموتى لما كانوا لا يسمعون حقيقة؛ وكان ذلك معروفا عند المخاطبين شبه الله تعالى بهم الكفار الأحياء في عدم السماع؟ فدل هذا التشبيه على أن المشبه به وهم الموتى في قبورهم لا يسمعون، كما يدل مثلاً تشبيه زيد في الشجاعة بالأسد على أن الأسد شجاع، بل هو في ذلك أقوى من زيد، ولذلك شبه به، وإن كان الكلام لم يسق للتحدث عن شجاعة الأسد نفسه، وإنما عن زيد، وكذلك الآيات السابقة، وإن كانت تحدثت عن الكفار الأحياء وشبهوا بموتى القبور، فذلك

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي (٢/ ٢١٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٣٨)، وهذا غريب منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد تقدم أنه يثبت سماع الأموات.

لا ينفي أن موتى القبور لا يسمعون، بل إن كل عربي سليم السليقة، لا يفهم من تشبيه موتى الأحياء بهؤلاء إلا أن هؤلاء أقوى في عدم السماع منهم كما في المثال السابق، وإذا كان الأمر كذلك فموتى القبور لا يسمعون.

ولما لاحظ هذا بعض المخالفين[١] لم يسعه إلا أن يسلم بالنفي المذكور، ولكنه قيده بقوله: (سماع انتفاع)!! يعني أنهم يسمعون، ولكن سماعا لا انتفاع فيه!! وهذا في نقدي قلب للتشبيه المذكور في الآيتين حيث جعل المشبه به مشبهًا، فإن القيد المذكور يصدق على موتى الأحياء من الكفار، فإنهم يسمعون حقيقة، ولكن لا ينتفعون من سماعهم!! كما هو مشاهد، فكيف يجوز جعل المشبه بهم موتى القبور مثلهم في أنهم يسمعون ولكنهم لا ينتفعون من سماعهم!! مع أن المشاهد أنهم لا يسمعون مطلقًا، ولذلك حسن التشبيه المذكور في الآيتين الكريمتين، فبطل القيد المذكور)[٢].

ويدل على ذلك قوله تعالى في تمام الآية الثانية: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾، (فقد شبههم الله تعالى - أعني موتى الأحياء من الكفار بالصم أيضاً، فهل هذا يقتضي في المشبه بهم (الصم) أنهم يسمعون أيضاً، ولكن سماعا لا انتفاع فيه أيضًا!! أم أنه يقتضي أنهم لا يسمعون مطلقًا، كما هو الحق الظاهر الذي لا خفاء فيه.

وفي التفسير المأثور ما يؤيد هذا الذي نقول، فقد قال ابن جرير في (تفسيره) لهذه الآية: (هذا مثل معناه: فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم، بأن تجعل لهم اسماعًا).

---

(١) ومنهم ابن القيم في كتاب الروح، ص ٤٥، ٤٦.

(٢) من كتاب (الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات)، للعلامة نعمان ابن المفسر الشهير محمود الألوسي، تحقيق الألباني، ص ٢٢.



(وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾، يقول: كما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلبوا السمع إذا ولوا عنك مدبرين، كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه لسماع ذلك وفهمه). ثم روى بإسناده الصحيح عن قتادة قال: (هذا مثل ضربه الله للكافر، فكما لا يسمع الميت الدعاء كذلك لا يسمع الكفار، ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ...﴾، يقول: لو أن أصم ولى مدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما سمع)[1].

وأما الجواب على الأدلة التي ذكروها فهو كالتالي:

أما الآيات، فقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: ٧٩].

فـ(هذا تقريع من صالح عليه السلام لقوله لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه وتمردهم على الله وإبائهم عن قبول الحق وإعراضهم عن الهدى إلى العمى؛ قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريعاً وتوبيخاً)[2]. فهي شفاء صدور المؤمنين.

وأجاب القرطبي بجواب آخر فقال: (يحتمل أنه قال ذلك قبل موتهم. ويحتمل أنه قال بعد موتهم، كقوله عليه السلام لقتلى بدر: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فقيل: أتكلم هؤلاء الجيف؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب». والأول أظهر؛ يدل عليه قوله: ﴿وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾، أي لم تقبلوا نصحي)[3].

* وأما الأحاديث التي استدلوا بها، فتنقسم إلى قسمين، ضعيف يكفي ضعفه لإسقاط الاستدلال به، وإلى صحيح.

---

(١) الآيات البينات، ص ٢٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٩)، والقاسمي (٣/ ٥٩٤)، والكشاف (٢/ ٩٢).

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ١٥٥).

أما الأحاديث الضعيفة فهي:

١- ما أخرجه الإمام أحمد من طريق أبي شعبة الطحان عن أبى الربيع قال: كنت مع ابن عمر في جنازة فسمع صوت إنسان يصيح فبعث إليه فأسكته فقلت: يا أبا عبد الرحمن لم أسكته؟ قال: إنه يتأذى به الميت حتى يدخل قبره(١).

٢- وما أخرجه الإمام أحمد من طريق سعيد بن عمرو بن سليم قال: سمعت رجلاً مناً -قال عبد الملك: نسيت اسمه ولكن اسمه معاوية أو ابن معاوية- يحدث عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن الميت يعرف من يحمله ومن يغسله ومن يدليه في قبره»، فقال ابن عمر -وهو في المجلس-: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي سعيد. فانطلق ابن عمر إلى أبي سعيد فقال: يا أبا سعيد ممن سمعت هذا؟ قال: من النبي ﷺ(٢).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ وقف على مصعب بن عمير وعلى أصحابه حين رجع من أحد فقال: «أشهد أنكم أحياء عند الله تعالى. فزوروهم وسلِّموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة(٣).

وأما الصحيحة فالجواب عليها كما يأتي:

١- عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»(٤).

---

(١) رواه أحمد (رقم: ٦١٦٠) بسند ضعيف جدًا فيه أبو شعبة الطحان وهو متروك، وأبو الربيع مجهول.

(٢) رواه أحمد (رقم: ١٠٦١٤) بسند ضعيف فيه معاوية وابن معاوية مجهولان.

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٢٤٨) وانظر: مختصر استدراك الذهبي على الحاكم لابن الملقن (٢/ ٧٢٥) رقم: ٢٧٢٧، ونسبه المحقق إلى البيهقي في دلائل النبوة، وهو حديث ضعيف، بل قال الذهبي: موضوع .

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، باب تلقين الميت لا إله إلا الله، رقم: ٩١٦).



الجواب: أن المقصود بهذا الحديث هو المحتضر الذي أشرف على الموت، ولم يمت بعد، وليس المقصود هو الميت حقيقة وهذا هو فهم العلماء وهو المتبادر إلى الذهن.

وإليك بعض أقوال العلماء من شراح الحديث:

قال النووي: (أي من حضره الموت، والمراد: ذكّروه لا إله إلاَّ الله لتكون آخر كلامه)[١].

وقال المباركفوري: (اعلم أن المراد من الموتى في هذا الحديث من حضره الموت لا الميت حقيقة، فإن ابن حبان روى عن أبي هريرة بمثل حديث الباب وزاد: «فإنه من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة يومًا من الدهر وإن أصابه ما أصابه قبل ذلك»[٢].

كذا قال السندى والسيوطي في شرحهما لهذا الحديث في سنن النسائي[٣]، وغيرهم.

وهذا هو المنصوص عليه في كتب الفقه عند التعرض لأحكام المحتضر في كتاب الجنائز[٤].

وما هي الفائدة من تلقينه الشهادة بعد موته -حتى على القول بأنه يسمع- فإن الذي يتكلم بعد الموت هو عمله، كما تقدم في أحاديث فتنة القبر.

وقال محمد بن كعب: (لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة

---

(١) شرح مسلم للنووي (كتاب الجنائز، باب تلقين الميت لا إله إلا الله)، (٦/ ٢١٩).

(٢) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي (كتاب الجنائز، باب ما جاء في تلقين المريض عند الموت والدعاء له)، (٤/ ٤٦).

(٣) سنن النسائي (كتاب الجنائز، باب تلقين الميت)، (٤/ ٥).

(٤) انظر على سبيل المثال: الروض المربع للبهوتي الحنبلي (٣/ ١٦)، والروضة الندية لصديق حسن خان (١/ ٤٠٢) وغيره.

هو أم من أهل النار)[١].

إذن فلا فائدة من تلقينه الشهادة.

٢- عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان»[٢].

الجواب :

١- إنما سمعوا في هذا الوقت بالذات لأن الروح قد أعيدت إلى الجسد، فهذا خاص في وقت المسألة فقط، كما قاله الحافظ ابن حجر، والمناوي رَحِمَهُمَا اللَّهُ[٣].

فانتفاء السماع حصل بسبب مفارقة الروح للجسد، فلما رجعت الروح للجسد -وذلك عند السؤال- حصل السماع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح إلى البدن وقت السؤال)[٤].

وقال نحوه ابن القيم كما في الروح[٥].

وقال ابن جزيّ: (وقد استدلت عائشة بالآية على أن الموتى لا يسمعون، وأنكرت ما ورد في خطاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقتلى بدر حين جعلوا في القليب، ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث، بأن الموتى في القبور إذا ردت إليهم

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٠).

(٢) متفق عليه، البخاري (كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، رقم: ١٢٧٣)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم: ٢٨٧٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٨٢)، فيض القدير للمناوي (٣/ ١٨٢).

(٤) انظر: الروح لابن القيم، ص ٩٤، ومعجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد، ص ٦٣. ونظم المتناثر للكتاني، ص ١٣٣.

(٥) الروح لابن القيم، ص ٨٠.



أرواحهم إلى أجسادهم سمعوا وإن لم ترد لم يسمعوا)[١].

وأما في غير وقت السؤال فإن الروح تفارقه كما في المسند عن كعب بن مالك أن النبي ﷺ قال: «نسمة المؤمن إذا مات طائر يعلق بشجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه الله»[٢].

٣- عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما أخبره، قال: اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال: «وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟»، فقيل له: تدعو أمواتًا، فقال: «ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون»[٣].

الجواب عليه من أوجه:

(أ) إنكار عائشة لهذا اللفظ:

عن هشام عن أبيه قال: ذكر عند عائشة رضي الله عنها أن ابن عمر رفع إلى النبي ﷺ: «إن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله»، فقالت: وَهَلَ[٤]، إنما قال رسول الله ﷺ: «إنه ليعذب بخطيئته وذنبه وإن أهله ليبكون عليه الآن»، قالت: وذاك مثل قوله: إن رسول الله ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم: «إنهم ليسمعون ما أقول»، إنما قال: «إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق»، ثم قرأت: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزيّ الكلبي (٢/ ٢١٥).

(٢) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين، رقم: ٢٠٧٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، باب القبر والبلى، رقم: ٤٢٧١)، والإمام أحمد (١٥٣٥٠)، وقال الحافظ ابن كثير. هذا إسناد صحيح عزيز عظيم، انظر ة السلسلة الصحيحة للألباني (٢/ ٧٢٩)، وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٣) رواه البخاري (كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم: ١٣٠٤).

(٤) يعني: وهم ونسي، انظر: لسان العرب (١١/ ٧٣٧).

يقول: حين تبوءوا مقاعدهم من النار[١].

فأنكرت عائشة هذا اللفظ (يسمعون) واستدلت على عدم سماعهم بالآيتين، وهذا يدل على سلامة الاستدلال بالآيتين على نفي السماع، ويدل أنه رأي عائشة رضي الله عنها.

وعن عائشة قالت: (أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب فطرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا يحركوه فتزايل فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة، فلما ألقاهم في القليب وقف عليهم رسول الله ﷺ فقال: «يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا فإني قد وجدت ما وعدنى ربي حقًّا، فقال له أصحابه يا رسول الله أتكلم قومًا موتى؟ قال: فقال لهم: «لقد علموا أن ما وعدتهم حق»، قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم وإنما قال رسول الله ﷺ: لقد علموا)[٢].

(ب) أن هذا خاص بالنبي ﷺ:

عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طويٍّ من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلاَّ لبعض حاجته، حتى قام على شفة الرَّكِيِّ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم «يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله

---

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب المغازي، باب قبل أبي جهل، رقم: ٣٧٥٩)، ومسلم (كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله، رقم: ٩٣٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٥٨٢٩) بسند حسن.



ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ قال: فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم». قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيرًا ونقيمة وحسرة وندمًا[١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد احتجت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في إنكارها أن النبي ﷺ أسمع موتى بدر بهذه الآية، فنظرت في الأمر بقياس عقلي ووقفت مع هذه الآية، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أنتم بأسمع منهم»، قال ابن عطية: فيشبه أن قصة بدر خرق عادة لمحمد ﷺ في أن رد الله إليهم إدراكًا سمعوا به مقاله، ولولا إخبار الرسول ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة، وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين)[٢].

(ج) إنكار عمر لفعل النبي ﷺ، واستدلاله بالآية وإقرار النبي ﷺ لهذا الفهم من الآية:

عن أنس: أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا ثم أتاهم فقام عليهم، فقال: «يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا، فإني قد وجدت ما وعدني ربى حقًّا!. قال: فسمع عمر صوته فقال: يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون؟ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؟ فقال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لآ يستطيعون أن يجيبوا»[٣].

---

(١) رواه البخاري (كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، رقم: ٣٧٥٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/ ١٥٤).

(٣) رواه أحمد (١٣٦٥٠)، وأصله في الصحيحين كما تقدم إلا قوله: (يقول الله عَزَّوَجَلَّ: إنك لا تسمع الموتى).

فالنبي ﷺ لم ينكر على عمر استدلاله بالآية ولا فهمه منها عدم سماع الأموات، بل بين له أنهم يسمعون الآن، فانقلب الدليل عليهم.

(د) في رواية الإمام البخاري عن ابن عمر لهذا الحديث زيادة وهي أنه (قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول)[(١)]، فزاد لفظة (الآن)، وهذه اللفظة تبين أن السماع إنما هو خاص بهذا الوقت، ومفهومها أنهم لا يسمعون في غير هذا الوقت.

وأما الدليل العقلي فهما دليلان:

١ - النوم يشبه الموت، ولذلك يسميه العلماء الوفاة الصغرى، وقد سماه الله تعالى وفاة في موضعين في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر: ٤٢].

وقوله سبحانه: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾** ﴾ [الأنعام: ٦٠، ٦١].

وسماه النبي ﷺ أيضاً وفاة في أحاديث كثيرة منها:

ما أخرج البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول: «اللهم باسمك أموت وأحيا»، وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، رقم: ٣٧٦٠).

(٢) البخاري (كتاب الدعوات، باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، رقم: ٥٩٥٥).



وما سماه الله تعالى ولا نبيه ﷺ وفاة إلاَّ لما بينهما من المشابهة. ولوجود المشابه بينهما استدل به العلماء على البعث كما سيأتي.

ومن المعلوم لدى جميع العقلاء أن النائم لا يسمع من يناديه أو يخاطبه، فالموت كذلك بل هو أولى.

٢- ونقول: هل يسمع الميت كل شيء، قرب أم بعد؟

هذا باطل لأنه سوف يؤذى أيما إيذاء بسبب هذا الإزعاج الرهيب، حيث يسمع كل شيء في الدنيا.

بقي احتمالان؛ إما أنه يسمع من البعيد من يريد إسماعه، أو أنه يسمع القريب فقط.

الأول: باطل لأنه فيه أن الميت يعلم من يريد إسماعه، وهذا ادعاء علم الغيب -لأن إرادة الإسماع قلبية، ومعرفة ما في القلب من الغيب- ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وأما الثاني: ففيه احتمالان؛ هل يسمع من يؤذيه بالكلام، أم أن السماع خاص بمن يطيب له الكلام؟

الأول باطل فإن فيه أذية للمؤمن في قبره -إن كان مؤمناً- وأين حديث: «نم نومة العروس»(١)، وأما إن كان معذباً ففيه زيادة بالعذاب له بغير ذنب ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

والثاني باطل أيضاً، إذ يلزم عليه أن الميت يعلم الذي يطيب له الكلام من غيره فيكون فيه أن الميت يعلم الغيب.

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب الجنائز عن رسول الله، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم: ١٠٧١)، وسنده حسن.



وعليه فيكون السماع للأموات منتف تمامًا.

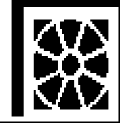
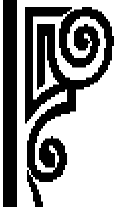
وهذا القول هو قول عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وقتادة رحمه الله ومذهب الحنفية ورجحه ابن عطية والألوسي كما تقدم.

الترجيح:

القول الثاني هو الراجح في نظري لقوة الأدلة ثبوتاً ومنطوقاً، وللجواب الصحيح عن أدلة القول المرجوح، والدليل العقلي قوي، ولكن يستثنى منه ما دل عليه الدليل وهو وقت سؤال الملكين للميت في قبره.

***

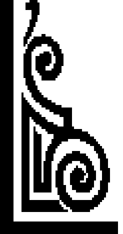
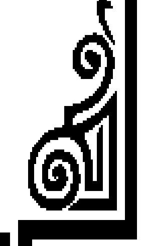
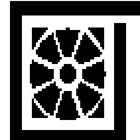


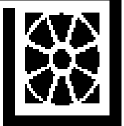




الفصل الرابع

علامات الساعة الصغرى
في القرآن الكريم

- المبحث الأول: بعثة النبي ﷺ.
- المبحث الثاني: انشقاق القمر.



المبحث الأول

بعثة النبي ﷺ

بعثة النبي محمد ﷺ أولى العلامات الصغرى، وقد ذكرت هذه العلامة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦].

فقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾.

أي: ما هو إلاَّ نذير لكم بين يدي الساعة[1]، ودل على هذا المعنى الأحاديث الكثيرة ومنها:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر يا بني عدي» -لبطون قريش- حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم ما جربنا عليك إلاَّ صدقاً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾[2].

- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومسَّاكم ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى[3].

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، رقم: ٤٤٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: ٨٦٧).



والأحاديث في هذا المعنى متواترة[1].

وقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ [محمد: ١٨].

قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾:

قال الحسن البصري: (بعثة محمد ﷺ من أشراط الساعة)[2].

وقال البغوي في تفسير هذه الآية: (وكان النبي ﷺ من أشراطها)[3].

***

(١) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني، ص ٢٦٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ١٧٧).

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٧/ ٢٨٤).

المبحث الثاني

انشقاق القمر

انشقاق القمر من الآيات العظيمة التي حصلت في زمن النبي ﷺ، وهي من أشراط الساعة الصغرى التي ذكرها الله تعالى في كتابه، يقول سبحانه: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فلقتين فلقة من وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «أشهدوا»، يعني: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[(١)].

قال ابن كثير رحمه الله: (يخبر تعالى عن اقتراب الساعة، وفراغ الدنيا وانقضائها. وأخرج أبو جعفر بن جرير عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه فخطبنا حذيفة، فقال: ألا إن الله يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق.

وقوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة[(٢)]. وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: (خمس قد مضين: الروم والدخان واللزام والبطشة

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر، رقم: ٣٤٣٧). ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، رقم:. ٢٨٥). والترمذي: (كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة القمر، رقم: ٣٢٨٥)، واللفظ له.

(٢) وانظر: نظم المتناثر للكتاني، ص ٢٢٢.



والقمر). وهذا أمر متفق عليه بين العلماء، أي انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

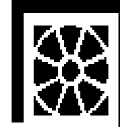
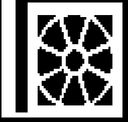
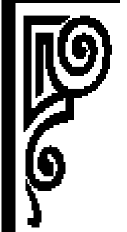
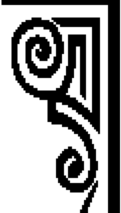
وقد أخرج البخاري عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، قال فقالوا: انظروا ما يأتيكم به من السفار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال: فجاء السفار فقالوا رأينا ذلك.

وأخرج البيهقي عن مسروق عن عبد الله قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين، فقال كفار قريش -أهل مكة-: هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة، انظروا السفار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به، قال: فسئل السفار قال وقدموا من كل وجهة فقالوا: رأينا. رواه ابن جرير من حديث المغيرة به، وزاد فأنزل الله ﷻ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾)[1].

❋❋❋

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٠) بتصرف، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٣٨٣).

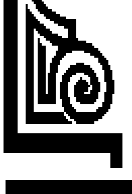
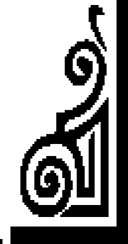
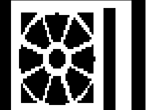


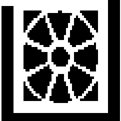





الفصل الخامس

علامات الساعة الكبرى
في القرآن الكريم

- المبحث الأول: نزول عيسى.
- المبحث الثاني: خروج يأجوج ومأجوج.
- المبحث الثالث: الدخان.
- المبحث الرابع: طلوع الشمس من مغربها.
- المبحث الخامس: خروج الدابة.



المبحث الأول

نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

من علامات الساعة الكبرى التي ذكرت في القرآن نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ودل عليه الكتاب في موضعين:

الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ١٥٩﴾ [النساء: ١٥٩].

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على أقوال ثلاثة[(١)]:

الأول: أن كل يهودي لا بد أن يؤمن بعيسى ﷺ قبل موت هذا اليهودي في جميع العصور الماضية والمستقبلة.

قال ابن جرير: (وقال آخرون: يعني بذلك: وإن من أهل الكتاب إلاَّ ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابي، يوجه ذلك إلى أنه إذا عاين الموت علم الحق من الباطل؛ لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية، قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: هي في قراءة أبي (قبل موتهم) ليس يهودي يموت أبدًا حتى يؤمن بعيسى، قيل لابن عباس: أرأيت إن خرّ من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء، قيل: أرأيت إن ضربت عنق أحدهم؟ قال: يلجلج بها لسانه)[(٢)].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٣٧٩).

(٢) تفسير ابن جرير (٩/ ٣٨٢) بتصرف.



ورجح هذا الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار[١].

الثاني: أن كل كتابي لا بد أن يؤمن بنبينا محمد ﷺ. قال ابن جرير: (وقال آخرون: معنى ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي، وأسند عن حميد قال: قال عكرمة: لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد ﷺ، ثم قرأ قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[٢].

الثالث: أن كل كتابي سيؤمن بعيسى يوم القيامة قبل موت عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قال ابن جرير: (اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم، معنى ذلك: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ يعني .قبل موت عيسى: يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة وهي ملَّة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)[٣].

وهو قول ابن عباس وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد[٤].
قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا القول هو الحق كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان)[٥].

وقال ابن جرير: (وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الثالث وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلاَّ آمن به قبل موت عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)[٦].

---

(١) تفسير المنار (٢١/٦).
(٢) تفسير ابن جرير (٩/ ٣٨٦) بتصرف.
(٣) تفسير ابن جرير (٩/ ٣٧٩).
(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٩/ ١٥٩).
(٥) تفسير ابن كثير (١ / ٥٧٦) بتصرف.
(٦) تفسير ابن جرير (٩/ ٣٨٦).

قال ابن كثير: (ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شُبه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وأنه باقٍ حي وأنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريبًا، فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف.

فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم، ولهذا قال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾، أي قبل موت عيسى الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصُلب، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ أي بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء، وبعد نزوله إلى الأرض.

فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى ان كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلاً به فيؤمن به ولكن لا يكون ذلك إيماناً نافعاً له إذا كان قد شاهد الملك، كما قال تعالى في أول هذه السورة: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ الآيتين، ومن تأمل هذا جيداً وأمعن النظر اتضح له أنه هو الواقع، لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا، بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبقاء حياته في السماء وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء



من اليهود والنصارى)[(١)].

والأحاديث في إثبات نزول عيسى كثيرة، ومنها ما هو في الصحيحين. وسوف أذكر هنا الأحاديث التي في الصحيحين أو أحدهما فقط:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»، ثم قال أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[(٢)].

وهذا تفسير من أبي هريرة رضي الله عنه لهذه الآية، والصحابة هم أعلم الناس بكتاب الله.

وفي رواية الإمام أحمد لهذا الحديث عن حنظلة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير، ويمحو الصليب، وتجمع له الصلاة، ويعطي المال حتى لا يقبل، ويضع الخراج، وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعها»، قال: وتلا أبو هريرة ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾، فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال: يؤمن به قبل موت عيسى. فلا أدري هذا كله حديث النبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة[(٣)].

فهذه الرواية فيها احتمال أن يكون هذا التفسير مرفوعاً، وفيها التصريح بترجيح القول الثالث، حيث قال: (يؤمن به قبل موت عيسى).

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٧٥٥).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى، رقم: ٣٢٦٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة محمد ﷺ، رقم: ١٥٥).

(٣) أخرجه أحمد (رقم: ٧٨٤٣) وسنده صحيح.



– وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»[١].

– وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟»، قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[٢].

– وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلو بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا، فيفتتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان ان المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمَّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لا نذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد، رقم: ١٥٦).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، رقم: ٢٩٠١).

فيريهم دمه في حربته»(١).

- وعن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفَّض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟»، قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفَّضت فيه، ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل. فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلَّة بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا».

قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يومًا؛ يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره»، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُرًا وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك.

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح القسطنطينية، وخروج الدجال ونزول عيسى، رقم: ٢٨٩٧).

شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفَسِهِ إلاَّ مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدَّ فيقتله.

ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة.

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلاَّ ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكنُّ منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرَّسْل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس.

فبينما هم كذلك إذا بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم: ٢٩٣٧).



- وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين -لا أدري أربعين يومًا أو أربعين عامًا-، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشأم فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلاَّ قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه»، قال: سمعتها من رسول الله ﷺ.

قال: «فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا، فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسنٌ عيشهم، ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس. ثم يرسل الله -أو قال: ينزل الله- مطرًا كأنه الطل أو الظل -نعمان الشاك- فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم. ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

قال: ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، قال ذلك يوم يجعل الوالدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساق»(١).

* فهذه ستة أحاديث عن خمسة من الصحابة في الصحيحين أو أحدهما، والأحاديث التي في السنن والجوامع والمستدركات والمستخرجات والمسانيد

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى، رقم: ٢٩٤٠).

والموطآت أكثر من ذلك بكثير، وقد بلغت حد التواتر بلا شك.

قال ابن كثير -بعد أن سرد جملة من الأحاديث- (هذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص وأبي أمامة والنواس بن سمعان على صفة نزوله ومكانه من أنه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح، وقد بنيت في هذه الاعصار في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة منارة للجامع الأموي بيضاء من حجارة منحوتة عوضا عن المنارة التي هدمت بسبب الحريق المنسوب إلى صنيع النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، وكان أكثر عمارتها من أموالهم، وقويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها المسيح ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية، فلا يقبل إلاَّ الإسلام)[1].

الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزخرف: ٦١].

قوله تعالى: ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ فيها قراءتان؛ بفتح اللام وإسكانها.

فقوله: ﴿لَعِلْمٌ﴾ أي شرط من أشراطها تعلم به، فسمى العلم شرطاً لحصول العلم به. وقوله: ﴿لَعَلَمٌ﴾: أي لعلامة للساعة[2].

- وعن أبي يحيى مولى ابن عقيل الأنصاري قال: قال ابن عباس: لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٢).

(٢) انظر: البحر المحيط لأبى حيان (٨/ ٢٦) بتصرف.



أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها؟! ثم طفق يحدثنا.

فلما قام تلاومنا أن لا نكون سألناه عنها، فقلت: أنا لها إذا راح غدًا، فلما راح الغد قلت: يا ابن عباس ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط، فلا تدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها؟!، فقلت: أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها. قال: نعم، إن رسول الله ﷺ قال لقريش: «يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحًا، فلئن كنت صادقاً فإن آلهتهم لكما تقولون قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾» قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضجون، ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، قال: هو خروج عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل يوم القيامة)[١].

- وخرج السيوطي في الدر المنثور عن جمع من الصحابة والتابعين ان معنى الآية: ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾: أي آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة، ذكر هذا عن ابن عباس وابي هريرة ومجاهد والحسن وقتادة[٢] وغيرهم.

وقد تقدم معنا أن الأحاديث التي تدل على هذا كثيرة بل هي متواترة، نص على تواترها الكثير من العلماء منهم ابن كثير، وابن جرير الطبري، وصديق حسن خان، والغماري، وأنور شاه الكشميري في كتابه التصريح بما تواتر في نزول المسيح، فذكر أكثر من سبعين حديثا، والعظيم أبادي صاحب عون المعبود شرح سنن أبي داود، والشيخ أحمد شاكر[٣]، والشوكاني[٤]، ونقل الكتاني القول بتواتره

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٩١٤)، وإسناده حسن، انظر: الصحيح المسند من دلائل النبوة، ص ٣٩٠.

(٢) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٧/ ٣٨٦)، وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٤/ ٢٧١).

(٣) انظر: أشراط الساعة للوابل، ص ٣٥٩.

(٤) في كتابه (التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح).

عن الأبي في شرح مسلم، وابن رشد، والقرطبي وأقرهم على ذلك[١].

ومع هذا البيان الواضح والنص عليه بالكتاب والسنَّة المتواترة، وأقوال العلماء المتكاثرة تجد من يشكك بنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فمن هؤلاء: الشيخ محمد رشيد رضا عفا الله عنه في المنار[٢]، حيث يأول نزوله وحكمه في الأرض (بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلام، والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها، والتمسك بقشورها دون لبابها، وهو حكمتها وما شرعت لأجله).

وهذا تأويل بعيد منه رَحِمَهُ اللَّهُ، والنصوص واضحة وصريحة بأنه ينزل حقيقة، وكيف يُأَولُ قتله للدجال بحربته حتى يرى الدم عليها، وكيف يُأَولُ دعاؤه على يأجوج ومأجوج حتى أماتهم الله، وكيف يأؤل صلاته بالناس، ونزوله بين ملكين وغير ذلك من أعماله.

ومنهم الشيخ محمود شلتوت، فقد أنكر نزول عيسى آخر الزمان، وقال: (إنه لا حجة فيها لأنها أحاديث آحاد)[٣].

وقد قدمنا عن الأئمة الأعلام -من الحفاظ الجهابذة الضخام- النص على تواتر أحاديث نزول عيسى، بل إن كتاب الله دل على ذلك في موضعين كما قدمنا، ولو كانت آحادًا، فالصحيح قبول الاستدلال بحديث الآحاد في العقيدة والأحكام والله أعلم.

***

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني، ص ٢٤٠.

(٢) تفسير المنار، (٣/٣١٧).

(٣) انظر كتاب الفتاوى للشيخ محمود شلتوت، ص ٥٩ - ٨٢، طبع دار الشروق، ط ٨، عام ١٣٩٥ هـ، بيروت.



المبحث الثاني

خروج يأجوج ومأجوج

ومن أشراط الساعة خروج يأجوج ومأجوج، وهي من أشراط الساعة الكبرى، كما في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟»، قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»(١).

وقد دل على ذلك الكتاب في موضعين:

قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤]، ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف: ٩٨، ٩٩].

قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ أي الناس يومئذ، أي يوم يدك هذا السد، ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويفسدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم، وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ على أثر ذلك، وهذا أول يوم القيامة ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، رقم: ٢٩٠١).

(٢) انظر حاشية الجمل على الجلالين (٤/ ٤٧٦)، وروح المعاني للألوسي (١٦/ ٦٢).

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

قال البقاعي[١]: (أي فتح السد فخرجوا على الناس، وعبر عن كثرتهم التي لا يعلمها إلا هو بقوله: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾ أي نشز عال من الأرض ﴿يَنسِلُونَ ٩٦﴾ أي يسرعون، من النسلان وهو تقارب الخطا مع السرعة كمشي الذئب، وفي العبارة إيماء إلى أن الأرض كرية)[٢].

وأما الأحاديث فقد بلغت مبلغ التواتر وأجمع العلماء على ذلك[٣]، ولقد ذُكر الكثير منها في المبحث السابق، فأغنى عن تكرارها.

❃❃❃

(١) هو إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في لبنان، وتوفي في دمشق سنة ٨٨٥ هـ، وله كتب كثيرة منها: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، و (أخبار الجلاد في فتح البلاد) وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٥٠).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٢/ ٤٨٠)، وانظر: تفسير أبي السعود (٦/ ٨٥).

(٣) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني، ص ٢٤٢.



المبحث الثالث

الدخان

قال تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ ﴾ [الدخان: ١٠، ١١].

اختلف العلماء في معنى الدخان في هذه الآية على قولين:

القول الأول: أن المقصود به ما حصل لكفار مكة من الجوع، يعني أنه قد مضت هذه الآية، وهو رأي ابن مسعود رضي الله عنه.

فعن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كندة فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئاً فغضب فجلس فقال: من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم لا أعلم، فإن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦ ﴾، وإن قريشاً أبطئوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان، فجاءه أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمرنا بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله. فقرأ: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ ﴾... إلى قوله: ﴿عَآئِدُونَ ١٥﴾. أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء؟ - ثم عادوا إلى كفرهم فذلك قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ﴾ يوم بدر، وقد مضت الدخان والبطشة اللزام يوم بدر، وآية الروم -﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢﴾ إلى ﴿سَيَغۡلِبُونَ ﴾ والروم قد مضى[1].

---

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب الاستسقاء، باب دعاء النبي: اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف، رقم: ٩٦٢)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان، رقم: ٢٧٩٨).

وقد وافق ابن مسعود رضي الله عنه على تفسير الآية بهذا وأن الدخان مضى جماعة من السلف كمجاهد وأبى العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير[١].

القول الثاني: أن آية الدخان لم تمض وأنها من الآيات المرتقبة ؛ وهو القول الراجح وقد بينه ابن كثير بيانًا شافياً، فقال رحمه الله: (لم يمض الدخان بعدُ بل هو من أمارات الساعة كما في حديث أبي سرحة حذيفة ابن أسيد الغفاري رضي الله عنه، قال: أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس -أو تحشر الناس- تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا»، تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه.

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صياد: «إني خبأت لك خبيئًا»، قال: هو الدخ، فقال صلى الله عليه وسلم له: «اخسأ فلن تعدو قدرك»، قال: وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾، وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب، وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان وهم يقرظون العبارة، ولهذا قال: هو الدخ، يعني الدخان، فعندما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مادته وأنها شيطانية فقال صلى الله عليه وسلم: «اخسأ فلن تعدو قدرك». وأخرج ابن جرير عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة، والثالثة الدجال»، ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد عن

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٥/ ١١١) حيث نقل عن هؤلاء التابعين، ورجحه.

محمد بن إسماعيل بن عياش به، وهذا إسناد جيد.

وأخرج ابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه قال: لم تمض آية الدخان بعدُ، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وتنفخ الكافر حتى ينفذ.

وروى ابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ويدخل مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ، أي المشوي على الرضف.

وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت.

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن.

وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ ﴾، أي بين واضح يراه كل أحد، وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد.

وقوله تعالى: ﴿ يَغۡشَى ٱلنَّاسَ ﴾ ، أي يتغشاهم ويعميهم ولو كان أمراً خياليًا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿ يَغۡشَى ٱلنَّاسَ ﴾)[1].

وهو الراجع لدلالة الأحاديث الصحيحة الصريحة عليه.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/ ١٣٨) بتصرف واختصار.



المبحث الرابع
طلوع الشمس من مغربها

طلوع الشمس من مغربها من أعظم أشراط الساعة الكبرى وبه يغلق باب التوبة، وقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقد فسر النبي ﷺ هذه الآية وبين أن المراد منها هو خروج الشمس من مغربها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾»(١).

وعن أبي ذر أن النبي ﷺ قال يومًا: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي أرجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يُقال لها ارتفعي أرجعي من حيث جئت فترجع، فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾»(٢).

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب لا ينفع نفساً إيمانها، رقم: ٤٣٥٩)، ومسلم (كتاب الايمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم: ١٥٧).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، رقم: ٦٩٨٨)، ومسلم (كتاب الأيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم: ١٥٩، واللفظ له).



المبحث الخامس

خروج الدابة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

إذا وقع القول أي إذا وجب الوعيد لتماديهم وطغيانهم وإعراضهم، وتميز الكفار من المؤمنين وأغلقت التوبة أخرج الله دابة الأرض آية على قيام الساعة لأن الدابة في الأصل لا تتكلم فكان كلامها آية على تغير أحوال الدنيا ونهاية العالم.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا؛ طلوع الشمس من مغربها، والدجال ودابة الأرض»[١].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستًا: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم»[٢]. وتقدم معنا حديث حذيفة ابن أسيد في أشراط الساعة العشر الكبرى[٣].

وقد ذكر الله تعالى لهذه الدابة صفتين عجيبتين:

١- أنها تتكلم، ومن كلامها أنها تقول: إن الناس كانوا بآتات الله لا يوقنون.

٢- أنها تخطم أنف الكافر وتجرحه، ويدل على هذا القراءة الثانية ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ بسكون الكاف من الكلم وهو الجرح.

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا تقبل فيه الإيمان، رقم: ١٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، رقم: ٢٩٤٧).

(٣) والأحاديث في إثباتها مستفيضة وقد بالغ الكتاني وعدها في المتواتر كما في كتابه نظم المتناثر، ص ٢٤٢.

(قرأ أبو زرعة وابن عباس والحسن وأبو رجاء: (تكلمهم) بفتح التاء من الكلم وهو الجرح، قال عكرمة: أي تسمهم. وقال أبو الحوزاء: سألت ابن عباس عن هذه الآية (تُكلمهم) أو (تكلمهم)؟ فقال: هي والله تكلمهم وتكلمهم؟ تُكلم المؤمن وتَـكلْم الكافر والفاجر أي تجرحه)[١].

وهو قول حسن ولا منافاة. .. والله أعلم.

وكون الدابة تخطم الكفار ثابت في السنة.

ففي المسند عن أبي أمامة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يغمرون فيكم حتى يشتري الرجل البعير فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين»[٢].

وهذه الآية والأحاديث السابقة تدل أن المقصود بها دابة حقيقية.

والدابة في اللغة كل ما يدب على الأرض، ونقله العرف إلى ذوات الأربع مما يركب[٣].

وقد أنكر بعضهم الدابة، وتأول دلالة هذه النصوص على غير وجهها، فقال: (إن الدابة اسم جنس لكل ما يدب، وليست حيوانًا مشخصًا معيناً يحوي العجائب والغرائب، ولعل المراد بها تلك الجراثيم الخطيرة التي تفتك بالإنسان وجسمه وصحته، فهي تجرح وتقتل، ومن تجريحها وأذاها كلمات واعظة للناس لو كانت لهم قلوب تعقل، فترجع بهم إلى الله، وإلى دينه وتلزمهم الحجة، ولسان

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/ ١٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (رقم: ٢١٨٠٥) وإسناده صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة للألباني، (١/ ٥٧٦)، رقم: ٣٢٢).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (١/ ٣٦٩، ٣٧٥) بتصرف.



الحال أبلغ من لسان المقال، فإن من معاني التكليم التجريح)[١].

وهذا القول بعيد كل البعد عن معنى النصوص وفهم العلماء من سلف الأمة وخلفها، والرد عليه من أوجه[٢]:

١- أن الجراثيم موجودة من قديم الزمان، وأما الدابة فهي من أشراط الساعة ولم تخرج بعد.

٢- الجراثيم لا ترى بالعين المجردة، فكيف تكون علامة للساعة وهي لا ترى، ودابة الأرض لم يقل أحد أنها لا ترى بل إن النبي ﷺ ذكر من أحوالها ما يدل أنها ترى.

٣- أن هذه الدابة تسم الناس على وجوههم بالكفر والإيمان، فتجلو وجه المؤمن، وتخطم أنف الكافر، وأما الجراثيم فإنها لا تفعل من ذلك شيئاً، وأثرها على المؤمن والكافر لا يختلف.

٤- مخالفة هذا القول للإجماع على أنها دابة حقيقية تكلم الناس وتسم وجوههم[٣].

وخروج الدابة من آخر علامات الساعة الكبرى كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا»[٤].

---

(١) هذا هو رأي محمد فهيم أبو عبيه، كما في تعليقه على (النهاية في الفتن والملاحم) لابن كثير (١/ ١٩٠).

(٢) انظر: أشراط الساعة، للوابل، ص ٤١٠.

(٣) نقل الإجماع الكتاني في نظم المتناثر، ص ٢٤٢.

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى، رقم: ٢٩٤١).

والظاهر أن الشمس تظهر قبل، لأن الدابة تجلو وجه المؤمن، وتخطم أنف الكافر، حتى يتميزون، ومعنى هذا أنه لن يكون هناك توبة بعد هذا الخطم، وإقفال باب التوبة إنما يكون بخروج الشمس من مغربها، لأنه بعدها لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا.

ولو كانت الدابة تخرج قبل لكانت التوبة تقفل بخروج الدابة لا بخروج الشمس، وهذا مخالف للآية وللأحاديث الصحيحة.

وقد يقول قائل: إن الدابة تخرج قبل ولا يقفل باب التوبة بخروجها، وإنما يقفل بخروج الشمس من مغربها.

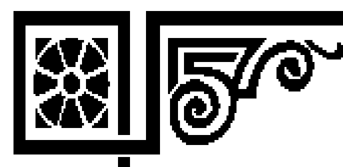
قلنا: هذا لا يصح، لأن الناس إذا رأوا الدابة سوف يؤمنون أجمعون، ولأن الكافر إذا خطمته الدابة يمكن أن يتوب، فكيف تخطم من يمكن أن يصير مؤمناً، وهو أيضاً مخالف للأحاديث التي تثبت إغلاق التوبة في زمن خروج الدابة كحديث أبي هريرة السابق: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[١].

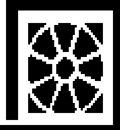
فبخروج الشمس من مغربها يطبع على كل قلب بما فيه، ولكن هذا لا يظهر للناس، فيخرج الله تعالى الدابة لتبين للناس المؤمن والكافر، فتبشر المؤمن وتفضح الكافر، وتنذر بانتهاء العالم، ثم تأتي الريح الطيبة فتقبض أرواح المؤمنين، فلا يبقى إلاَّ شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة.

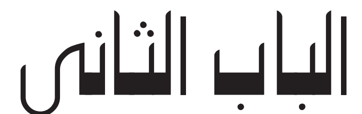
***

---

(١) أخرجه سلم (كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم: ١٥٨).

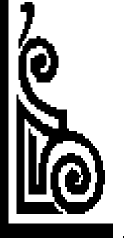
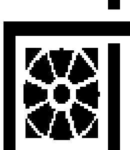


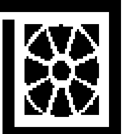


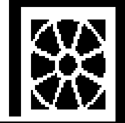
النفخ في الصور وما بعده

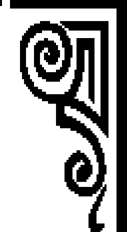
- الفصل الأول: مقدمات
- الفصل الثاني: النفخ في الصور.
- الفصل الثالث: البعث والحشر وأهوال يوم القيامة وأحوال الناس فيها.
- الفصل الرابع: الشفاعة.
- الفصل الخامس: الحساب.
- الفصل السادس: الحوض والصراط.



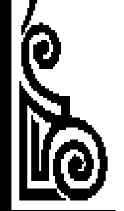
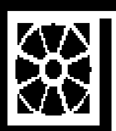


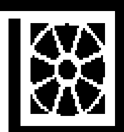


الفصل الأول

مقدمات

- المبحث الأول: قرب قيام الساعة وكونها تأتي فجأة.
- المبحث الثاني: إنكار المشركين في السابق، والشيوعيين ومن تابعهم في هذا العصر للبعث.
- المبحث الثالث: الأدلة النقلية والعقلية في الرد على منكري البعث.
- المبحث الرابع: صفات وأسماء يوم القيامة والسر في كثرة أسمائه.
- المبحث الخامس: هل البعث للأجساد وللأرواح أم للأرواح فقط.
- المبحث السادس: متى يبدأ يوم القيامة؟



المبحث الأول

قرب قيام الساعة وكونها تأتي فجأة

وقد ذُكر هذان الأمران في كتاب الله كثيراً، والحكمة من ذلك -والعلم عند الله- هو حث الناس على المسارعة في الخيرات واغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات حيث إن القيامة قريبة جداً، وليست فقط قريبة بل تأتي فجأة.

فأما الآيات التي تدل على قربها فكثيرة منها:

* قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [النحل: ٧٧].

* وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١].

* وقال تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء: ٩٧].

* وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾ [الشورى: ١٧، ١٨].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦، ٧].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ: ٤٠].



وأما الآيات التي تدل على كون الساعة تأتي فجأة وبغتة فمنها:

* قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: ٣١].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنعام: ٤٧].

* وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧].

* وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [يوسف: ١٠٧].

* وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزخرف: ٦٦].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الحج: ٥٥].

* وقال تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٠١، ٢٠٢].

* وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [محمد: ١٨].

***

المبحث الثاني

إنكار المشركين في السابق، والشيوعيين ومن تابعهم في هذا العصر للبعث

وهذه المسألة من أعظم المسائل التي حصل فيها الخصام الطويل بين النبي ﷺ والمشركين، حيث كانوا لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وينكرونه أعظم الإنكار، فهم يائسون من البعث ولا يؤمنون به طرفة عين:

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾ [الممتحنة: ١٣].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢﴾ [الجاثية: ٣٢].

* وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ٧﴾ [الجن: ٦، ٧].

بل ويقسمون الأقسام المغلظة على إنكار البعث:

قال تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩﴾ [النحل: ٣٨، ٣٩].

وتارة يتهمون النبي ﷺ -عندما أخبرهم بالبعث- بالسحر، وتارة بالكذب، وتارة بالجنون:

﴿وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧﴾ [هود: ٧].



﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨ ﴾ [سبأ: ٧، ٨]. مع أن الكذب والجنون لا يجتمعان، فالمجنون لا يحسن الكذب لأنه لا يتصنع فانظر كيف أوقعهم بُغضهم للحق بمثل هذه التناقضات.

وتارة يستفهمون مستنكرين وتارة متعجبين وتارة مستهزئين:

* قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ﴾ [السجدة: ١٠].

* ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ٥٢ ﴾ [الإسراء: ٤٩-٥٢].

* وقال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢ ﴾ [الذاريات: ١٠-١٢]. وهذا الاستفهام الأخير يحتمل أحد الاحتمالات الثلاثة السابقة: إما استنكار، أو تعجب، أو استهزاء.

* ومثله أيضاً قوله سبحانه: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢ ﴾ [النازعات: ١٠-١٢].

وتارة يجعلون هذا من قصص السابقين وأساطيرهم الباطلة، كما قال تعالى:

* ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ



وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [النمل: ٦٦-٦٨].

* وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأحقاف: ١٧].

ويرون أن الأمر كله في الحياة الدنيا، وينسبون موتهم للدهر لا لله:

* ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الجاثية: ٢٤، ٢٥].

وقد تعرض شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان أنواع المكذبين بالبعث فقال: (الذين كفروا من اليهود والنصارى ينكرون الأكل والشرب والنكاح في الجنة ويزعمون أن أهل الجنة إنما يتمتعون بالأصوات المطربة والأرواح الطيبة مع نعيم الأرواح، وهم يقرون مع ذلك بحشر الأجساد مع الأرواح ونعيمها وعذابها.

وأما طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم فيقرون بحشر الأرواح فقط وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط.

وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح ولا الأجساد.

وأما المنافقون من هذه الأمة الذي لا يقرون بألفاظ القرآن والسنَّة المشهورة فإنهم يحرفون الكلام عن مواضعه ويقولون هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام، وطائفة ممن ضاهوهم من



كاتب أو متطبب أو متكلم أو متصوف كأصحاب رسائل إخوان الصفا وغيرهم.

وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان)[(١)].

وحقيقة قول هؤلاء الباطنية أن الله لم يكن صادقًا في إخباره عن حقائق ما في المعاد، وكذلك رسوله ﷺ، ولذلك سمى شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الصنف من المتفلسفة بأهل التخييل، وقال فيهم: (فأهل التخييل هم من المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقه فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق ولا هدى الخلق ولا أوضح الحقائق)[(٢)].

قال الشيخ الأشقر: ويمكننا أن نصنف المكذبين بالبعث والنشور إلى ثلاثة أصناف:

الأول: الملاحدة الذين أنكروا وجود الخالق، ومن هؤلاء كثير من الفلاسفة الدهرية الطبائعية، ومنهم الشيوعيون في عصرنا[(٣)]. وهؤلاء ينكرون صدور الخلق عن خالق فهم منكرون للنشأة الأولى والثانية، ومنكرون لوجود الخالق أصلاً.

الثاني: الذين يعترفون بوجود الخالق ولكنهم يكذبون بالبعث والنشور، ومن هؤلاء مشركو العرب.

الثالث: الذين يؤمنون بالمعاد على غير الصفة التي جاءت بها الشرائع السماوية)[(٤)].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٣١٣) بتصرف يسير.

(٢) مجموع الفتاوى، (١٣/٢٣٨).

(٣) انظر للتوسع: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٢٩٢).

(٤) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص ٧١، ٧٢.

المبحث الثالث

الأدلة النقلية والعقلية في الرد على منكري البعث

وهذا المبحث تكملة للمبحث السابق، وهو في ذكر الأدلة التي رد بها القرآن على منكري البعث.

وفي هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

الأدلة الشرعية في الرد على منكري البعث

أما الشرعية، فقد تنوع الأسلوب القرآني في الرد عليهم:

فتارة يشير إليه تعريضاً لا تصريحًا:

* كما قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١، ٢].

فقال: ﴿زُرْتُمُ﴾، والزيارة إنما تكون لمن ليس له إقامة وسوف يخرج من هذا المكان كزيارة الضيف، فدل هذا أن هناك يوما يخرج فيه الأموات من قبورهم.

(عن ميمون بن مهران قال: قرأ عمر بن عبد العزيز: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ فبكى، ثم قال ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ ما أرى المقابر إلا زيارة، ولا بد لمن يزورها أن يرجع إلى جنة أو إلى نار).[1]

وتارة يرد على المنكرين للبعث بإثباته:

* قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٩ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٠﴾ [سبأ: ٢٩، ٣٠].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء، ص ٢٧٩.



* وقال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٧-٥٠].

وتارة يؤكد على ذلك:

* ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر: ٨٥]

فأكدها بـ: (إن واللام).

وتارة ينفي الشك في وقعها:

* ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [غافر: ٥٩]، ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ [الواقعة: ١، ٢].

وأمر نبيه أن يقسم لهم بالله تعالى على صحة وقوع البعث:

* ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ: ٣].

* ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

وتارة يقسم الله تعالى بمخلوقاته على وقوعه:

* ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ [الطور: ١-٨].



بل إن الله أقسم بذاته العلية على البعث:

❊ قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم: ٦٨].

❊ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]

❊ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: ٥٦].

❊ ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٣].

والأدلة في مثل هذا كثيرة.

وأما السنَّة فقد تواترت في إثبات البعث كما سيأتي هذا في ثنايا البحث كثيراً.

❊❊❊



المطلب الثاني

الأدلة الحسية في الرد على منكري البعث

وأعني بالأدلة الحسية أي الأدلة التي تحس بإحدى الحواس الخمسة (السمع، البصر، الشم، المس، الذوق).

وهي كثيرة في القرآن ؛ وقد ذكر الله منها خمسة أدلة في سورة البقرة:

١ - قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦].

أخرج ابن جرير عن محمد بن إسحق قال: (لما رجع موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل، وقال لأخيه وللسامري ما قال، وحرق العجل وذراه في اليم، اختار موسى منهم سبعين رجلاً، الخير فالخير وقال: انطلقوا إلى الله وتوبوا إلى الله مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم.

فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه، وكان لا يأتيه إلاّ بإذن منه وعلم، فقال له السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمروا به وخرجوا للقاء الله قالوا: يا موسى اطلب لنا إلى ربك نسمع كلام ربنا، فقال: أفعل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا.

وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم، حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً، فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل.

فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعاً، وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ﴾ قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما يفعل السفهاء منا؟، أي إن هذا لهم هلاك واخترت منهم سبعين رجلا الخير فالخير ارجع إليهم وليس معي منهم رجل واحد، فما الذي يصدقوني به ويأمنوني عليه بعد هذا؟» ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ فلم يزل موسى يناشد ربه عَزَّوَجَلَّ ويطلب إليه حتى رد إليهم أرواحهم)(١).

٢- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة ٧٢، ٧٣].

وهذه الآية تحكي قصة المقتول الذي أراد بنو إسرائيل معرفة قاتله، وقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾، هذا البعض أي شيء كان من أعضاء هذه البقرة، فالمعجزة حاصلة به وخرق العادة به كائن، ففعلوا فرجع إليه روحه فسمَّى لهم قاتله ثم عاد ميتاً كما كان(٢).

قال ابن كثير: (وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي فضربوه فحيي، ونبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل، فجعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والعناد)(٣).

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٢/ ٨٦).
(٢) انظر: تفسير البغوى (١ / ١٠٥)، والكشاف (١/ ٢٨٦).
(٣) تفسير ابن كثير(١١٢/ ١).



٣- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وهذه الآية تحكي قصة قوم خرجوا من قريتهم فرارًا من الطاعون، فقالوا: نأتي أرضاً ليس بها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا، قال الله لهم: ﴿مُوتُوا۟﴾ فماتوا. فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم، فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ الآية[1].

قال ابن كثير: (كان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي فيما يريهم من الآيات الباهرة والحجج القاطعة والدلالات الدامغة، ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾، أي لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم، وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يغني حذر من قدر وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فإن هؤلاء خرجوا فراراً من الوباء طلبًا لطول الحياة فعوملوا بنقيض قصدهم، وجاءهم الموت سريعا في آن واحد)[2].

٤- وقال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٥ / ٢٦٦)، والقرطبي (٣/ ١٥١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٩٨).

وهذه قصة العبد الصالح عزير عندما مر على قرية خربة خاوية، فقال: كيف يحيي الله هذه بعد أن تركها أهلها وخربت وتساقطت جدرانها. ثم أوقف حماره ووضع زاده ونام قريباً من ذلك المكان، فتوفى الله روحه مائة سنة ثم بعثه، فلما أفاق رأى القرية فإذا هي قد عادت الحياة فيها وقد اكتظت بالسكان والعمار، فسأله الملك: كم يومًا نمت؟ فظن أنه شيء يسير، فقال: يوماً أو بعض يوم، فقال له الملك: بل لبثت مائة عام.

فهاتان آيتان عظيمتان على البعث، حيث أحيى الله القرية بعد موتها، وأحياه هو بعد وفاته مائة عام، ثم زاده آية ثالثة، فقال له: انظر إلى حمارك، فنظر فإذا الحمار قد مات وأصبحت عظامه تلوح، فأحيا الله تعالى الحمار أمامه، فجعلت عظامه تتجمع حتى أصبحت هيكلاً عظميًا للحمار، ثم كساها الله اللحم، ثم أخذ الحمار ينهق، وكل هذا بإذن الله تعالى محيي الموتى، فلما رأى هذه الآيات البينات الباهرات قال: ﴿أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾، أي علمت وأيقنت أن الله على كل شيء قدير(١).

٥- ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠].

إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يعرف أن الله يحيي الموتى ويعلم ذلك علم يقين، ولكنه أراد أن ينتقل من علم اليقين إلى حق اليقين فـ «ليس الخبر كالمعاينة»(٢)، وما كان إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ شاكًا في ذلك طرفة عين، بل «نحن أحق بالشك من إبراهيم»(٣)،

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ١٨٧)، والشوكاني (١/ ٣٥٣).

(٢) حديث أخرجه الإمام أحمد (١٨٤٥) وسنده صحيح.

(٣) حديث متفق عليه: البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٥١﴾. رقم: ٣١٩٢)، ومسلم (كتاب الايمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، رقم: ٥١).



فسأل الله تعالى أن يريه نموذجاً عمليًا للبعث، فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة من الطير ثم يذبحهن ثم يقطعهن ثم يخلط أجزاء بعضهن ببعض ثم يضع على كل جبل منهن جزءاً، ثم يناديهن، ففعل ذلك ووضع الرؤوس بيده فقامت الأجزاء واللحوم والأحشاء كلٌ يرجع إلى صاحبه حتى أصبحت طيورًا متكاملة، ثم جاءت إلى إبراهيم عليه السلام فأخذ كل طائر رأسه ثم طارت بإذن الله[1].

وهناك أدلة أخرى حسية، ولكنها ليست في سورة البقرة، وهي:

٦- إحياء عيسى عليه السلام للموتى:

فإن كان المخلوق -وهو عيسى- يستطيع أن يحيي الموتى، فكيف بخالقه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠].

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٥/ ٤٨٥)، وتفسير القاسمي (١/ ٦٠٦).



٧- أصحاب الكهف[(١)]:

الذين فروا بإيمانهم من قومهم الكفار فلجؤوا إلى كهف فضرب الله على آذانهم وأنامهم تسعاً وثلثمائة سنة، يقول تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الكهف: ٩-١٢].

فأمسك الله تعالى أرواحهم هذا المئات من السنين ثم بعثهم لتكون هذه الحادثة دليلاً على البعث. لذلك قال الله تعالى بعدها: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ [الكهف: ٢١].

***

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب تفسير القرآن، باب سورة﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، رقم: ٤٦٩٠).



المطلب الثالث

الأدلة العقلية في الرد على منكري البعث

الأدلة العقلية هي أقيسة عقلية ذكرها الله جَلَّجَلَالُهُ لتثبت وقوع البعث وترد على العقلانيين الذين ينكرون البعث معتمدين في ذلك على عقولهم.

وقد ذكر تعالى في كتابه خمسة أدلة عقلية على ذلك وهي:

١ - **الدليل الأول**: قياس النشأة الآخرة على النشأة الأولى[(١)]، فكما أنه سبحانه استطاع أن يخلق الخلق من عدم، فهو قادر على أن يخلق الخلق مرة أخرى والمادة موجودة بل هذا أسهل عقلاً، وهما في السهولة عند الله سواء؛ لقوله تعالى. ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧].

وهم يقرّون بأن الله هو الذي خلقهم اول مرة: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧]، ومن أقر بذلك فقد خُصِمَ.

عن أبي هريرة رَضِيَ الله عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ[(٢)] الله ولدا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفؤاً أحد».

---

(١) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم، لمحمد عبد الله دراز، ص ٨٤، والفتاوى لآبن تيمية (٣/ ٢٩٨)، ومجموع فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين (٥/ ١٣٣) وكتب التفسير.

(٢) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم، لمحمد عبد الله دراز، ص٨٤، مجموع فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين (٥/ ١٣٣٣) وكتب التفسير.

* وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم: ٦٦-٦٨].

* وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق: ١٥].

* وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ١٩، ٢٠].

* وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨].

* وقال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: ٥٧- ٦٢].

* وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٣٧- ٤٠].

والآيات على هذا البرهان العقلي كثيرة.

٢- **الدليل الثاني**: أن الأرض تكون ميتة هامدة خاشعة، فينزل عليها المطر فتهتز حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الأموات(١).

---

(١) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم، لمحمد عبد الله دراز، ص ٨٤، مجموع فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين (٥/ ١٣٣٣) وكتب التفسير.



* قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النحل: ٦٥].

* وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٧- ١١].

وهذا قياس واضح جلي؛ فإحياء النبات كالخروج ليوم القيامة، ومثله قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٥٠].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فاطر: ٩].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤].

(قال الماوردي: وتتضمن هذه الآية أمرين: أحدهما: الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم. الثاني: البرهان الموجب للاعتبار لأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذره، وانتقاله إلى استواء حاله من العفن والتتريب حتى صار زرعاً أخضر، ثم جعله قوياً مشتدًا أضعاف ما كان عليه، فهو لإعادة من أمات أخف عليه وأقدر، وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة)(١).

---

(١) نقله عنه القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (١٨/ ١٤١).



وعن أبي رزين قال قلت: يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى؟ فقال: «أما مررت بواد ممحل ثم مررت به خصيبًا»، أو قال: «خضرًا؟»، قال قلت: بلى، قال: «كذلك يحيي الله الموتى»، أو قال: «كذلك النشور»(١).

وقد جمع الله تعالى بين هذين الدليلين في الرد على من أنكر البعث في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج: ٥].

فذكر الله في هذه الآية دليلين عقليين على البعث، الأول: القياس على خلقه الأول للإنسان، الثاني: قياسه على إحياء الأرض بعد موتها بالنبات.

ثم بين الله تعالى أن هذه أدلة عقلية تدل على خمسة أشياء: الأول: أن الله هو الإله الحق، الثاني: أنه يحيي الموتى، الثالث: أنه يدل على قدرة الله المطلقة، الرابع: أن الساعة حق، الخامس: أن الله يبعث من في القبور. فقال سبحانه وتعالى بعدها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ [الحج: ٦، ٧](٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٧٦٣)، وأبو داود الطيالسي، (منحة المعبود ٢/ ٢٢٥).

(٢) إشكال: أليس إحياء الموتى هو نفسه إخراج الناس من القبور؟

الجواب: فيه فرق:

١- فالأول أعم؛ فإن الله يحييه سواء كان مقبورًا أو غير مقبور.

٢- إن إحياء الموتى يدل أنه هناك ميتاً فيحييه. وأما إخراج من في القبور فإن فيه مزيد قدرة حيث يرجع تلك الذرات المتناثرة ويجمعها ثم يجعلها إنسانًا ثم يحييها.



وهم يقرون بأن الله هو الذي ينزل المطر ويحيي النبات: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦٣]، ومن أقر بهذا يلزمه الإقرار بالبعث.

٣- **الدليل الثالث:** خلق السماوات والأرض -وغيرها من المخلوقات- هو خلق عظيم، والقادر على خلق هذا الخلق العظيم، قادر على خلق ما دونه من المخلوفات وإحيائها بعد موتها[1].

وهم يقرون أن الله هو خالق السماوات والأرض: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩].

ومن أقر بهذا لزمه أن يقر بالبعث لأنه أسهل من خلقهما؛ قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وهذا من قياس الأولى، قال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ [الصافات: ١١].

وقال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣].

وهذه هي إحدى حكم خلق السماوات حيث بها يُستدل على البعث الآخر:

---

(١) الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٢٩٨).

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد: ٢][1].

٤- **الدليل الرابع**: الشجر إذا قطع وأصبح حطبًا يكون ميتاً وليس فيه أثر للحياة، فإذا أوقدت به النار دبت فيه الحركة واضطرب، وهذه آثار الحياة، فمن قدر على هذا قادر على إحياء الموتى[2]، وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل في موضعين من كتابه سبحانه:

* قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢].

* وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٧٧- ٨٣].

---

(١) من حكم خلق السماوات :
١- معرفة سعة الجنة (وجنة عرضها السماوات والأرض...).
٢- بيان عظيم قدرة الله.
٣- سقف محفوظ.
٤ - عبرة وعظة لمن تفكر.
٥ - زينة... الخ.

(٢) انظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للسعدي، ص ١٩٦، والفتاوى لابن تيمية (٣/ ٢٩٨)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٥٤).

فرد بهذه الآية على من أنكر البعث بثلاثة أدلة عقليه:

الأول: الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾.

الثاني: الاستدلال بإخراج النار من الشجر الأخضر مع أنه أشد بالضدية لأن الشجر إنما يكون أخضر إذا كان مليئا بالماء؛ فمن قدر على إخراج النار من هذا الشجر الميت المليء بالماء ؛ قادر على إحياء الأموات من قبورهم: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠﴾.

الثالث: الاستدلال بخلق السماوات والأرض على خلق الإنسان ﴿ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾.

٥- **آخر الأدلة العقلية على البعث:** هو قياس البعث على النوم[(١)]، فالنوم أخو الموت بل هو موتة صغرى، فالله تعالى يتوفى الأنفس بالموت وبالنوم، فالقادر على إرجاع نفس النائم له بعد قبضها؛ قادر على إرجاع نفس الميت له بعد قبضها، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢ ﴾ [الزمر: ٤٢].

وجاء تسمية النوم وفاة، وخروج الروح فيه قبضاً، والاستيقَاظ حياة في السنَّة، ومن ذلك:

- حديث عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: سرنا مع النبي ﷺ ليلة، فقال

---

(١) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم، لمحمد عد الله دراز، ص ٨٥.

بعض القوم: لو عرست بنا يا رسول الله؟ قال: «أخاف أن تناموا عن الصلاة»، قال بلال: أنا أوقظكم، فاضطجعوا، وأسند بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس، فقال: «يا بلال اين ما قلت؟»، قال: ما ألقيتُ على نومة مثلها قط. قال: «إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء، يا بلال قم فأذن بالناس بالصلاة». فتوضأ، فلما ارتفعت الشمس وابياضت قام فصلى[(١)].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه وليسم الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن وليقل: سبحانك، باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»، وفي رواية مسلم: «فإن أحييت نفسي فارحمها»[(٢)].

- وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول: «اللهم باسمك أموت وأحيا»، وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[(٣)].

- وعن جابر بن عبد الله قيل: يا رسول الله أينام أهل الجنة ؟ قال: «لا، النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها»، أخرجه الدارقطني[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب مواقيت الصلاة، باب الأذان بعد ذهاب الوقت، رقم: ٥٧٠).

(٢) متفق عليه، البخاري (كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند النوم، رقم: ٥٩٦١)، ومسلم: (كتاب الذكر والتوبة والدعاء والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: ٢٧١٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، رقم: ٥٩٥٥).

(٤) في الأوسط، وأخرجه أيضا البزار والبيهقي بإسناد صحيح - كما قال السيوطي، انظر: البدور السافرة، ص ٥٩٦، وانظر تخريجه وتصحيحه في تحقيق صفة الجنة لاين كثير، ص ١٤٩، وفي السلسلة الصحيحة للألباني (٣/ ٧٤)، رقم: ١٠٨٧.



وقال القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ...﴾: (وقد دل على الحشر والنشر بالبعث، لأن النشأة الثانية بعد الأولى كمنزلة اليقظة بعد النوم في أن من قدر على أحدهما فهو قادر على الآخر)[١].

* ويمكننا أيضاً أن نزيد دليلاً عقليا سادساً وهو: أن البعث ومحاسبة الخلق من كمال العدل، وهو موافق للحكمة، فالله تعالى لم يخلق الخلق للعبث بل لحكمة عظيمة[٢]: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧]، أي لأجل أن تخبروا بأعمالكم التي عملتم في الدنيا.

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس: ٤]، أي إن الله يعيد الخلق ليجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ولو كان الناس يعملون ولا جزاء لهم على ذلك لكان عملا بلا جدوى ولا طائل، وقد قال أعرابي: آمنت باليوم الآخر، فقيل له: كيف عرفت أن هناك يوما آخراً؟ فقال: رأيت الظالم يموت ولم يقتص منه، فعلمت أن هناك يوماً يبعث فيه ليجزى به.

وذكر الإمام ابن حجر في الإصابة في ترجمة الصحابي الجليل عمرو بن العاص: (أن رجلاً قال لعمرو: ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك؟ قال: إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم، وكانوا ممن يواري حلومهم الجبال، فلما بعث النبي ﷺ أنكروا عليه فلذنا بهم، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا فإذا

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ٦).

(٢) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم لمحمد عبد الله دراز، ص ٨٥.

حق بين، فوقع الإسلام في قلبي، فعرفت قريش ذلك مني من إبطائي عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه، فبعثوا إليَّ فتى منهم، فناظرني في ذلك، فقلت: أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك؛ أنحن أهدى أم فارس والروم؟ قال: نحن أهدى. قلت: فنحن أوسع عيشاً أم هم؟ قال: هم.

قلت: فما ينفعنا فضلنا عليهم إن لم يكن لنا فضل إلاَّ في الدنيا، وهم أعظم منا فيه أمرًا من كل شيء. وقد وقع في نفسي أن الذي يقوله محمد من أن البعث بعد الموت ليجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته حق، ولا خير في التمادي بالباطل)[١].

وقبل أن نختم هذا المبحث فعلينا أن ننبه أن الفطرة دلت على البعث أيضاً، (فالله تعالى فطر الإنسان على الإحساس بوجود عالم آخر بعد الموت، وهذا من أقوى الأدلة على وجود اليوم الآخر، لأن الله تعالى إذا أراد أن يقنع بني الإنسان بأمر ما فإنه يغرس فكرة الاقتناع به في فطرهم، ولذا

فإن الإنسان يشتاق إلى حياة خالدة ولو في عالم غير هذا العالم، وهذا الإحساس شائع في نفوس البشر بحيث لا يمكن النظر إليه باستخفاف، ولذلك جاءت الأديان السماوية مبشرة بحياة أخرى بعد الموت، وجعلت مصير كل إنسان مرتها بما قدمت يداه في الحياة الدنيا، وهذا مما يكسب الإنسان زيادة إيمان بربه وبما جاءت به الرسل، فيقدم الأعمال الصالحة استعدادًا بها ليوم المعاد)[٢].

***

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، (٤/ ٦٥١).

(٢) مباحث العقيدة في سورة الزمر (٥٤٩).



المبحث الرابع
أسماء يوم القيامة وصفاته والسر في كثرة أسمائه

وفي هذ المبحث مطالب:

المطلب الأول
أسماء يوم القيامة

وقد أكثر بعض الأئمة من الأسماء[1]، وأدخل في ذلك صفات يوم القيامة وصفات الناس فيها، وقد اقتصرت في هذا المبحث على الأسماء فقط[2] مع ذكر دليلها، وهي كالتالي:

١- اليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٦]، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٢- يوم الأزفة، (يعني: القريبة):

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر: ١٨]. ﴿ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النجم: ٥٧، ٥٨].

(١) انظر: كتاب العاقبة لعبد الحق الإشبيلي، ص ١٦٤. ونقله عنه الحافظ ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢٠٠) مقراً له، وهذا فيه نظر.

(٢) وقد عدها الوابل في كتابه (أشراط الساعة، ص ٣٧) فبلغت تسعة عشر اسماً، وأوصلها الأشقر في (القيامة الكبرى) ص ٢٠، إلى اثنين وعشرين اسما، وبالتتبع وجدتها ثمانية وعشرين.

٣- يوم البعث:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم: ٥٦].

٤- يوم التغابن:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ...﴾ [التغابن: ٩].

٥- يوم التلاقي:

قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٥، ١٦].

٦- يوم التنادي:

قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣].

٧- يوم الجمع:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ...﴾ [التغابن: ٩].

٨- الحاقة:

قال تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾ [الحاقة: ١-٣].

٩- يوم الحساب:

قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

١٠- يوم الحسرة:

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾»(١).

وفي رواية الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ قال: «يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، فيشرئبون، ويقال: يا أهل النار، فيشرئبون، فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، فيضجع فيذبح، فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة فيها والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها والبقاء لماتوا ترحًا»(٢).

١١- اليوم الحق:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ

---

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ رقم: ٤٤٥٣)، ومسلم: (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء. رقم: ٢٨٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، ومن سورة مريم، رقم: ٣١٥٦)، وقال: حديث حسن صحيح، ورواية الترمذي تنفي أن يكون القاري هو أبو هريرة، بل تؤكد أن التفسير مرفوع.



صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [النبأ: ٣٨، ٣٩].

١٢- يوم الخروج:

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ق: ٤٢].

١٣- يوم الدين:

قال تعالى: ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة: ٤].

١٤- الساعة:

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ [القمر: ١]، ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر: ٤٦].

١٥- الصاخة:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [عبس: ٣٣].

١٦- الطامة الكبرى:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النازعات: ٣٤].

١٧- الغاشية:

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ ﴾ [الغاشية: ١].

١٨- يوم الفتح:

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [السجدة: ٢٩].

(قال الفراء والقتبي: (يعني فتح مكة)[1].

قال ابن كثير: (ومن زعم أن المراد هذا الفتح مكة فقد أبعد النجعة وأخطأ

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٤/ ٧٤).



فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء وقد كانوا قريباً من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل كقوله: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ...﴾ الآية، وكقوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ...﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وقال تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾(١).

ورجحه أيضاً القرطبي(٢) والشوكاني(٣).

١٩- الفزع الأكبر:

قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

٢٠- يوم الفصل:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الصافات: ٢٠، ٢١]، ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾ [المرسلات: ١٢، ١٣]، ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ: ١٧].

٢١- القارعة:

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ [الحاقة: ٤]، ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ [القارعة: ١-٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٤).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٧٤).

(٣) فتح القدير (٤/ ٢١٥).



٢٢- يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١﴾ [القيامة: ١].

٢٣- المعاد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٨٥﴾ [القصص: ٨٥].

(قال مجاهد وعكرمة والزهري والحسن: إن المعنى لرادك الى يوم القيامة، وهو اختيار الزجاج، يقال: بيني وبينك المعاد، أي يوم القيامة، لأن الناس يعودون فيه أحياء)[١].

٢٤- اليوم الموعود :

تال تعالى: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢﴾ [البروج: ٢]. (أي اليوم الموعود به، وهو قسم آخر، وهو يوم القيامة من غير اختلاف بين أهل التأويل، قال ابن عباس: وعد أهل السماء والأرض أن يجتمعوا فيه)[٢].

٢٥- الواقعة:

قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١﴾ [الواقعة: ١]، ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥﴾ [الحاقة: ١٥].

٢٦ - الوعد الحق:

قال تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٧].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ٢١٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/ ١٨٧).



٢٧ - يوم الوعيد:

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠﴾ [ق: ٢٠].

٢٨ - الوقت المعلوم:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨﴾ [الحجر: ٣٦-٣٨].

وكثرة الأسماء تدل على تعظيم الشيء، كما هي العادة عند العرب، فقد كانوا إذا عظموا شيئاً أكثروا له من الأسماء، كالسيف والأسد، ومن هذا القبيل كان للرب سبحانه أكثر من تسعة وتسعين اسماً.

قال الإشبيلي[١]: (واعلم أن العرب قد تسمي الشيء بأسماء كثيرة وتجعل له ألقابًا عديدة تعظيماً لشأنه، وإكبارًا لأمره، وقد سمى الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يوم القيامة بأسماء كثيرة، ولعله من هذا، وهو تبارك وتعالى أعلم)[٢].

***

(١) الإمام الحافظ العلامة، أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الأندلسي الإشبيلي، المعروف بابن الخراط، له كتاب الأحكام الصغرى والوسطى والكبرى، وعمل على الجمع بين الصحيحين وأتقنه، وله كتاب العاقبة في الوعظ والزهد، توفي سنة ٥٨١، (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١/ ١٩٨) بتصرف.

(٢) كتاب العاقبة لعبد الحق الإشبيلي، ص ١٦٥.

المطلب الثاني

صفات يوم القيامة

وهي على نوعين، صفات لليوم وصفات للناس فيه:

أما صفات ذلك اليوم فمنها:

* أنه عظيم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٤-٦].
* ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝٣٧﴾ [مريم: ٣٧].
* يوم عقيم: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥﴾ [الحج: ٥٥].
* يوم عسير: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ۝٢٦﴾ [الفرقان: ٢٦]، ﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ۝٨﴾ [القمر: ٨]، ﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠﴾ [المدثر: ٩، ١٠].
* يوم ثقيل: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ۝٢٧﴾ [الإنسان: ٢٧].
* يوم كبير: ﴿فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣﴾ [هود: ٣].
* يوم محيط: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ۝٨٤﴾ [هود: ٨٤].

وهذه الآية والتي قبلها تحتمل أن المقصود بدلك عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة، ولا منافاة بين الاحتمالين، والقاعدة أن الآية التي تحتمل معنيين لا منافاة



بينهما فإنها تحمل عليهما، وحتى لو حمل على المعنى الأول فقط -وهو عذاب الدنيا- فإن عذاب الآخرة أعظم من عذاب الدنيا فيكون فيه مثل عذاب الدنيا وأكثر.

* الآخرة داهية مُرَّة: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٦].
* تخفض أناسًا وترفع آخرين: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ [الواقعة: ٣].
* يوم لا يستطيع رده وكشفه أحد:

- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الروم: ٤٣].
- ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النجم: ٥٧، ٥٨].

صفات الناس في ذلك اليوم:

* يوم تتنقطع فيه الأرحام والقرابات والصداقات ويتفرق فيه الجميع كل له شأن يغنيه بنفسه عن غيره:

- ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الروم: ١٣].
- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الروم: ٤٣].
- ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣].
- ﴿يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم: ٣١].
- ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].



- ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].
- ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٩].

❋ يوم يبرزون لله فيه وتظهر الأسرار وتهتك الأستار:

- ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٥، ١٦].
- ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ [الطارق: ٩، ١٠].
- ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [النازعات: ٣٥].

❋ يوم لا يتكلم فيه أحد عن الكلام إلا من أذن له الرحمن:

- ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ [النبأ: ٣٨، ٣٩].

❋ يوم يشيب فيه الولدان:

- ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزمل: ١٧].

❋ يوم يُجمع فيه الناس ويوم مشهود:

- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود: ١٠٣].

❋❋❋



المبحث الخامس

هل البعث للأجساد وللأرواح أم للأرواح فقط؟

الآيات تدل على أن الناس يحشرون بأجسادهم وأرواحهم لا بأرواحهم فقط.

حيث يقومون من قبورهم بعد النفخ بالصور ينظرون ويحشرون زرقاً، ويفر المرء من الأحبة، ويشتعل رأس الولدان شيبًا، وكل هذا وصف للأبدان، وهذا هو ظاهر القرآن وهو الصحيح إن شاء الله، إذ لا يعدل عن الظاهر إلا لقرينة، ولا قرينة هنا.

والأحاديث مصرحة بأن الأرواح ترجع للأبدان يوم القيامة، ومنها حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً، وفيه: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلاَّ أصغى ليتاً ورفع ليتًا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله. قال: فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله -أو قال: ينزل الله- مطراً كأنه الطل، أو الظل -نعمان الشاك-، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾...» الحديث[(١)].

قال شارح الطحاوية[(٢)]: (الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى، رقم: ٢٩٤٠).

(٢) هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي، الفقيه، كان قاضي القضاة بدمشق ثم بالديار المصرية، أخذ العلم عن الحافظ ابن كثير وغيره، وله كتب كثيرة أشهرها شرح العقيدة الطحاوية، توفي سنة ٧٩٢ هـ. (الأعلام للزركلي ٥/ ١٢٩)، وانظر: مقدمة تحقيق شرح العقيدة الطحاوية للتركي والأرنؤوط فقد ترجما له بتوسع).



أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه ؛ ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه ؛ فإنها لم تفارقه فراقاً كليًا بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة، فإنه ورد ردُّها إليه وقت سلام المسلم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نومًا ولا فسادًا، فالنوم أخو الموت.

فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة)[١].

❊❊❊

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي الدمشقي (٢/ ٥٧٩)، وقد سبقه لهذا التقسيم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الروح، ص٨٤. والظاهر أنه نقله منه، وانظر أيضاً: السفارينية (٢/ ٨٢) حيث نقل ذلك وأقره.



المبحث السادس

متى يبدأ يوم القيامة

وهذا مما استأثر الله تعالى بعلمه فلم يطلع عليه ملكا مقرباً، ولا نبيًا مرسلا، ولا مخلوقاً من مخلوقاته.

قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]، يعني قل يا محمد وما أدري أقريب أم بعيد هذا الوعد، ومثله قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الجن: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النازعات: ٤٢- ٤٥].

وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل أن علم الساعة لا يعلمه أحد، ومثله قوله جل جلاله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف :١٨٧].

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوما للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث». قال: ما الإسلام؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس



لا يعلمهن إلاَّ الله، ثم تلا النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ [لقمان: ٣٤]. ثم أدبر فقال: «ردوه»، فلم يروا شيئاً، فقال: «هذا جبريل، جاء يعلم الناس دينهم»(١).

فالنبي ﷺ لا يعلم متى تقوم الساعة، وكذلك جبريل لا يعلم ذلك لقوله: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، فإن كان نبياً ﷺ وهو أفضل البشر، وجبريل وهو أفضل الملائكة لا يعلمان متى الساعة فغيرهم من باب أولى.

وهذا الحديث قاله النبي ﷺ أمام جمع من الصحابة، وتناقلوه بلا نكير بينهم، فقد رواه ثمانية من الصحابة حتى عده بعض العلماء من المتواتر(٢).

قال ابن كثير عن ما بقي من الدنيا: (لا يعلم مقداره على اليقين إلاَّ الله)(٣).

والحكمة في إخفاء الساعة ظاهرة؛ وهي أن ينشط الناس في الطاعات والعبادات ويتركوا المعاصي والموبقات استعدادًا لذلك اليوم المجهول الموعد، فالمؤمن بذلك يجتهد والشاك يكسل والجزاء عند الله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥﴾ [طه: ١٥].

ولو أن الساعة كانت محددة لترك الناس العمل، فإذا بقي على الساعة يوم أو أقل تابوا وأنابوا، فتملأ الأرض فسادًا وضلالاً وظلما، ويعيش الناس كالوحوش(٤)؛ لا يأمن أحد أحدًا، فتخرب الحياة في هذه الأرض.

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٥٠)، ومسلم: (كتاب الإيمان، والإسلام والاحسان، رقم: ٩).

(٢) نظم المتناثر من الحديث المتوافر للكتاني، ص ٥٣.

(٣) انظر: النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، ص ١٤.

(٤) إشكال: البلاد غير المسلمة الآن لا يؤمنون باليوم الآخر، ومع هذا هم ليسوا كالوحوش؟ =



وكنت أظن أن هذا مما لا يمكن أن يقع فيه خلاف، حتى ظهر لنا في هذا العصر من يحدد عمر أمة الإسلام[١]، ويدعي أنه بعد سنوات قلائل سوف يخرج المهدي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأخذ يلملم بعض الآثار الضعيفة والأقوال الشاذة والروايات الإسرائيلية ليكتمل استدلاله، ولكنه بنى كتابه على غير أساس، فهو أهون من بيت العنكبوت.

وقد تناقض في مواضع، منها قوله: (عمر أمة الإسلام منذ بعثة النبي محمد ﷺ وإلى أن تقوم الساعة)[٢].

ثم قال: (إنا نتكلم عن بداية الملاحم لا عن نهاية عمر الدنيا، فإن هذا مما اختص الله تعالى نفسه بعلمه، فلا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب)[٣].

وقال -بعد أن تحدث أن كتابه يتحدث عن نهاية عمر أمة الإسلام-: (وهذا لا يعني أبدًا انتهاء الدنيا وقيام الساعة)[٤]، فهو يقول: أن عمر أمة الإسلام يمتد إلى أن تقوم الساعة ثم يقول ونهاية عمر أمة الإسلام لا يلزم منه أن تقوم الساعة، والتناقض علامة بطلان المذهب.

ونقول له أيضاً: حتى نهاية عمر أمة الإسلام وقرب قيام الساعة مما استأثر

= الجواب: المنع: فالجرائم عندهم قد بلغت شيئاً كثيراً، حتى إنه في أمريكا وحدها يتم اغتصاب امرأة كل دقيقتين، وفي ولاية فلوريدا امتلأت السجون حتى إنهم جعلوا يخرجون أصحاب الجرائم البسيطة.

التسليم: إنما يمنعهم من ذلك الوازع السلطاني الشديد، ولولا ذلك لرأيت العجب، وقد حصل في مدينة نيويورك في مطلع الثمانين أنه أنقطع تيار الكهرباء لمدة تقرب من الساعة، فلما رجع التيار وجدوا المدينة شبه مدمرة، وحصل من القتل والنهب والسرقات ما لم يعلم قدره إلا الله.

(١) وهو أمين محمد جمال الدين، في كتابه «عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

(٢) انظر كتاب: عمر أمة الإسلام، ص ٤٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٤.

(٤) انظر كتاب: عمر أمة الإسلام، ص ٧، في المقدمة.

الله تعالى بعلمه ؛ يقول شيخ الاسلام ابن تيمية -بعد أن تكلم عن الذين استثناهم الله تعالى من الصعق- قال: (فإذا كان النبي ﷺ لم يجزم بكل من استثناه الله؛ لم يمكنا أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بقرب قيام الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يخبر به)(١).

وقد أدعى دعاوى فجة بلا بينة واضحة، ومن ذلك: قوله: (لقد ظهرت كل العلامات الصغرى وتحققت)(٢).

وهذا غير صحيح فهناك من العلامات الصغرى ما لم يحصل بعد ومنها: كثرة النساء وقلة الرجال حتى يكون للخمسين امرأة قيم واحد، وعود جزيرة العرب مروجاً وأنهارًا، وحسر الفرات عن جبل من ذهب، وخروج القحطاني، وظهور الخسف، والمسخ والقذف، وكلام السباع والجمادات حتى إن الرجل ليخبره فخذه بما أحدث أهله(٣).

وقد وضع الأشقر في كتابه القيامة الصغرى فصلاً بعنوان (العلامات التي لم تقع)(٤) يعني بذلك العلامات الصغرى، وذكر فيها تسعة أشراط منها: انتفاخ الأهلة، وإخراج الأرض كنوزها المخبوءة، ومحاصرة المسلمين إلى المدينة، وإحراز الجهجاه الملك، وفتنة الأحلاس، وفتنة الدهماء وفتنة الدهيماء.

وزد إلى ذلك اتخاذ المساجد طرقاً لا يُصلى فيها، والتسافد على قارعة الطريق كالحمير(٥)، فهذه ثلاث عشرة علامة من علامات الساعة لم تحصل بعد.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٣٦).
(٢) انظر كتاب: عمر أمة الإسلام، ص ٢٧.
(٣) انظر تفصيل أدلة هذه العلامات الست في: كتاب أشراط الساعة للوابل، طبعة دار ابن الجوزي.
(٤) ص ١٩٥.
(٥) انظر كتاب: فقد جاء أشراطها لمحمود عطية، ص ٢٦٤-٢٨١.



وقال: (ومن قال: مسألة الحساب لا تجوز أصلا. .. قلنا: لا ندري ما تقول ...)[١].

قلت: من قال إن مسألة الحساب لا تجوز أصلاً استند في ذلك إلى كثير من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء، فكيف تقول: (لا ندري ما تقول).

وقد حشى كتابه بالنقول عن أهل الكتاب والساسة وكتاب المقالات الصحفية، وهذا لا يغني ولا يسمن من جوع.

ثم إنه يبدو أنه لم يفهم حديث: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج...»[٢]، فإن المقصود بهذا إذا نقلوا من التوراة والإنجيل لا من آرائهم الشخصية[٣]، بينما المؤلف ينقل عنهم من آرائهم وكلامهم ويستأنس بقول رؤسائهم وكتابهم، وهذا في غاية من الضعف في الاستدلال، بل حتى لو نقلوا من التوراة والإنجيل فإننا مأمورون بأن لا نصدقهم ولا نكذبهم، فما بالك بالنقل عن آرائهم المحضة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولم يرد الإذن أو المنع من التحدث بما يقطع بصدقه)[٤]. هذا فيما يقطع بصدقه، فما بالك بغيره، وقد نقل المؤلف عن اليهود أنهم يعتقدون أن نزول المسيح هو في إبريل سنة ألف وتسعمائة وثمانٍ وتسعين[٥]، وقد مر هذا التاريخ ولم يحصل شيء.

ولعل أقوى حججه -أو أقلها ضعفاً- وعليها اعتماده الأول في الاستدلال هو حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنما أجلكم في أجل من

---

(١) انظر كتاب: عمر أمة الإسلام، ص ٨٠.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: ٣٢٧٤).

(٣) انظر: فتح الباري (٦/ ٥٧٥).

(٤) فتح الباري (٦/ ٥٧٦).

(٥) انظر كتاب عمر أمة الاسلام، ص ٦٢.



خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط، فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجر مرتين، فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال الله: هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: فإنه فضلي أعطيه من شئت»[١].

وهذا الحديث -كما هو ظاهر- إنما سيق لبيان فضل هذه الأمة على الأمم السابقة من حيث مضاعفة الأجر، حيث فسر النبي ﷺ هذا في آخر الحديث فقال: «الا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ألا لكم الأجر مرتين»، فالنبي ﷺ وضح الحديث وفسره وبين أن مقصوده من ضرب المثال أن هذه الأمة تأخذ الأجر مرتين، فعجب لمن يخالف تفسير النبي ﷺ ويدعي أن هذا هو مراد النبي ﷺ.

ثم إن السياق يمنع إرادة المدة ؛ لأنه لو كان الحديث يراد به بيان عمر الأمم لكان معناه أن عمر أمة اليهود ينتهي عند الظهر أي عند ظهور دين النصارى، وعمر أمة النصارى ينتهي عند العصر أي عند خروج الإسلام، وعمر أمة الإسلام ينتهي عند المغرب أي عند قيام الساعة.

ولا شك في بطلان هذا، لأن أهل الكتاب لا زالوا موجودين، فإذا بطل

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: ٣٢٧٢).



اللازم بطل الملزوم.

ثم لو سلمنا أن هذا المثل سيق لبيان عمر الأمة، فلا يصح أخذ الحكم منه، قال إمام الحرمين: (إن الأحكام لا تؤخذ من الأحاديث التي تأتي لضرب الأمثال)(١).

ثم لو سلمنا أن الأحكام تؤخذ من الأمثال، فإن هذا الحديث يدل على أن عمر أمة الإسلام قد انتهى منذ أكثر من ستمائة عام.

وبيان ذلك كما قال الحافظ ابن حجر: (واستدل به -أي الحديث- على أن بقاء هذه الأمة يزيد على الألف لأنه يقتضي أن مدة اليهود نظير مدتي النصارى والمسلمين، وقد اتفق أهل النقل على أن مدة اليهود إلى بعثة النبي ﷺ كانت أكثر من ألفي سنة، ومدة النصارى من ذلك ستمائة) (٢).

فبين بعثة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبعثة نبينا ﷺ ألفا عام، وبين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ونبينا ﷺ ستمائة عام. إذن بين موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ألف وأربعمائة سنة.

والحديث يبين أن عمر أمة اليهود (من موسى إلى عيسى) يساوي عمر أمة النصارى والمسلمين جميعاً (من عيسى إلى نهاية عمر أمة الإسلام)، كما قال الحافظ.

إذن: عمر أمة اليهود = عمر أمة النصارى + عمر أمة الإسلام

١٤٠٠ = ٦٠٠ + عمر الإسلام

إذن عمر أمة الإسلام = ١٤٠٠ – ٦٠٠ = ٨٠٠ سنة.

فعمر أمة الإسلام على هذا الحساب هو ثمانمائة عام، وعليه يكون قد قامت القيامة منذ أكثر من ستمائة سنة، وهذا باطل لمخالفة الواقع، فنحن في القرن الخامس عشر.

---

(١) فتح الباري (٤٨/ ٢).
(٢) فتح الباري (٤٤٩/ ٤).

وقد أقر المؤلف هذا الحساب[١]، فلم يجد بدًا من البحث عن ما يكمل له التاريخ الذي يريد، فوجد حديثًا أعطاه خمسمائة عام دفعة واحدة، وهو:

حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم»، قيل لسعد: وكم نصف ذلك اليوم؟ قال: خمس مائة سنة[٢].

والجواب على الحديث من أوجه:

الأول: أن الحديث بهذه الزيادة: (قيل لسعد: وكم نصف ذلك اليوم؟ قال: خمس مائة سنة) ضعيف.

الثاني: على التسليم بصحة الحديث، فليس معنى الحديث هو ما ذهب إليه المؤلف من أن المراد من ذلك هو تأخير قيام الساعة إلى خمسمائة. عام، فلم يوافقه على ذلك أحد من شراح الحديث، وإنما اختلفوا فيه على قولين:

الأول: أن هذا المقصود به يوم القيامة، وأن الله تعالى سوف يؤخر الأغنياء عن الفقراء في دخول الجنة مقدار خمسمائة عام.

الثاني: أنه إلى خمسمائة عام، من زمن النبي صلى الله عليه وسلم لن تقوم القيامة، فهذه القرون الخمسة من بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لن تقوم فيها الساعة.

وقد جمع صاحب عون المعبود أقوال العلماء وتفسيرهم للحديث جمعا شاملا فقال: (إني لأرجو): أي أؤمل (أن لا تعجز): بفتح المثناة الفوقية وكسر

---

(١) انظر كتاب عمر أمة الإسلام، ص ٤٩.

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، باب قيام الساعة، رقم: ٤٣٥٠) وهو منقطع، شريح بن عبيد لم يدرك سعدًا، وأخرجه أحمد (١٤٦٨)، وفي سنده أبو بكر ابن عبد الله وهو ضعيف اختلط، والحديث صحيح دون قوله: (قيل لسعد: وكم نصف يوم....)، فقد أخرجه الحاكم بسند على شرط مسلم دون الزيادة. (انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ١٩٧).



الجيم من عجز عن الشيء عجزاً كضرب ضرباً (أمتي) أي أغنياؤها عن الصبر على الوقوف للحساب (عند ربها) في الموقف (أن) بفتح الهمزة وسكون النون (يؤخرهم) أي بتأخيرهم عن لحاق فقراء أمتي السابقين إلى الجنة (نصف يوم) من أيام الآخرة. (قيل لسعد) ابن أبي وقاص (وكم نصف يوم) وفي بعض النسخ وكم نصف ذلك اليوم (قال) سعد (خمس مائة سنة) إنما فسر الراوي نصف اليوم بخمس مائة نظراً إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

أعلم أنه هكذا شرح هذا الحديث العلقمي وغيره من شراح الجامع الصغير فالحديث على هذا محمول على أمر القيامة.

وقال المناوي: وقيل: المعنى إني لأرجو أن يكون لأمتي عند الله مكانة يمهلهم من زماني هذا إلى انتهاء خمس مائة سنة بحيث لا يكون أقل من ذلك إلى قيام الساعة.

قد شرحه علي القاري في المرقاة شرح المشكاة، هكذا: (المعنى إني أرجو أن يكون لأمتي عند الله مكانة ومنزلة يمهلهم من زماني هذا إلى انتهاء خمس مائة سنة بحيث لا يكون أقل من ذلك إلى قيام الساعة، انتهى.

والحديث على هذا محمول على قرب قيام الساعة، وعلى هذا حمله أبو داود، ولذلك أورد في هذا الباب، وعلى هذا حمله صاحب المصابيح أيضاً، ولذلك أورده في باب قرب الساعة، واختاره الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ وزيف المعنى الأول، واختار الداودي المعنى الأول ورد على المعنى الثاني.

قال العلقمي في شرح الجامع الصغير: تمسك الطبري بهذا الحديث على أنه بقي من الدنيا بعد هجرة المصطفى نصف يوم وهو خمس مائه سنه، قال: وتقوم

الساعة ويعود الأمر إلى ما كان عليه قبل أن يكون شيء غير الباري ولم يبين وجهه. ورد عليه الداودي قال: وقت الساعة لا يعلمه إلاَّ الله. ويكفي في الرد عليه أن الأمر بخلاف قوله فقد مضت خمس مائة سنة وثلاث مائة، وحديث أبي داود ليس صريحاً في أنها لا تؤخر أكثر من ذلك، والله أعلم)[١].

فهذه أقوال العلماء ليس منهم أحد فهم ما فهمه صاحب الكتاب، وهذا منه تحريف لمعنى كلام رسول الله ﷺ.

ولو سلمنا له هذا الفهم وأنه هو المقصود بالحديث، وأنه يدل أن عمر أمة الإسلام سوف يزيد خمسمائة عام؟

إذن: عمر أمة الإسلام = ٨٠٠ + ٥٠٠ = ١٣٠٠ عام.

وعلى هذا فقد انتهت أمة الإسلام أيضا وقامت الساعة منذ أكثر من قرن، ولكن المؤلف استطاع أن يأتي بهذا القرن الناقص، فقال:

(عمر أمة اليهود = ٢٠٠٠ – ٦٠٠ = ١٤٠٠ سنة تزيد قليلا.

وذكر أهل النقل وكتب التاريخ العام أن هذه الزيادة تزيد عن المائة سنة قليلاً؟!!!.

إذن عمر أمة اليهود = ١٥٠٠ سنة تزيد قليلاً.

وحيث أن عمر أمة الإسلام = عمر أمة اليهود – عمر أمة النصارى.

إذن: عمر أمة الإسلام = ١٥٠٠ – ٦٠٠ = ٩٠٠؟؟؟!!! + ٥٠٠ (نصف يوم)

إذن: عمر أمة الإسلام = ١٤٠٠ سنة تزيد قليلاً)[٢].

---

(١) عون المعبود، لشمس الحق العظيم أبادي، ١١/ ٣٤٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٠.

(٢) انظر كتاب عمر أمة الإسلام، ص ٤٩.



والجواب على هذا هو:

أن قوله: (وذكر أهل النقل وكتب التاريخ العام أن هذه الزيادة تزيد عن المائة سنة قليلاً) دعوى باطلة فجة من غير بينة ولا حجة.

والدعاوى إن لم يقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء

فمن هم أهل النقل وكتب التاريخ الذين قالوا هذا الكلام؟ لم يذكر المؤلف مرجعه في هذا، ولو قالوها؛ من هم حتى يُحكم بقولهم على عمر أمة الإسلام تقديمًا أو تأخيراً وهو من أمور الغيب، ولو لم يقلها أحد فهل ننتظر أحدًا يقولها حتى نحدد عمر أمة الإسلام؟ هذا من اللعب.

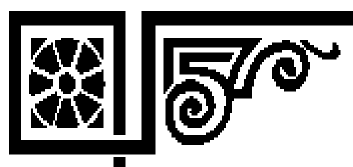
وحقيقة رأي المؤلف -هداه الله- أنه ترك المحكم وتعلق بالمتشابه، وقد حذر الله تعالى ورسوله ﷺ من هذا الفعل وفاعليه:

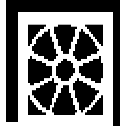
فقال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٧]. عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ** ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»(١)، والله أعلم وهو الهادي إلى سواء السبيل(٢).

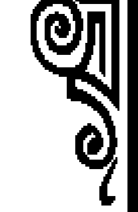
---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ رقم: ٤٢٧٣)، ومسلم: (كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه، رقم: ٢٦٦٥).

(٢) وقد رد الدكتور عبد الحميد هنداوي على هذا الكتاب في كتابه (الإفحام على من زعم نهاية عمر أمة الإسلام)، وهو على اسمه حيث رد عليه من عشرة أوجه مسكتة، وقد ذكرت في هذا المبحث ما لم يذكره في رسالته تلك، ولم أذكر ما قاله تجنبا للتكرار.



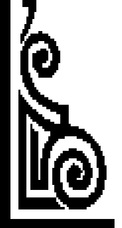
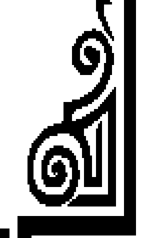
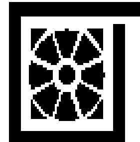


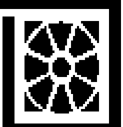


الفصل الثانى

النفخ في الصور

- المبحث الأول: ما هو الصور؟
- المبحث الثاني: عدد النفخات في الصور.
- المبحث الثالث: الآيات التي يقصد بها النفخة الأولى، والتي يقصد بها الثانية، والتي تحتمل الأمرين.

المبحث الأول

ما هو الصور؟

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: ٨٧].

وقد سماه الله تعالى أيضاً الناقور؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ [المدثر: ٨]. قال ابن عباس: (الناقور: الصور)[(١)].

فالصور والناقور اسمان لمسمى واحد، ولكن ما هو الصور؟

عرف النبي ﷺ الصور فقال كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ قال: ما الصور؟ قال: «الصور قرن ينفخ فيه»[(٢)].

وتعريف النبي ﷺ قاطع لكل قول خلافَ ذلك.

وقال مجاهد: (الصور كهيئة البوق)[(٣)].

وقد زعم بعضهم أن الصور جمع صورة، والمعنى أن الله ينفخ في صور الناس وأجسادهم، وهذا القول مردود بالشرع واللغة.

فأما الشرع فقد تقدم بيان النبي ﷺ لمعنى الصور بياناً شافيًا.

وأما اللغة فيقول ابن منظور:

(والصور: القرن، قال الراجز:

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، باب في ذكر البعث والصور، رقم: ٤٧٤٢) والترمذي (صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب ما جاء في شأن الصور، رقم: ٢٤٣٥)، وقال: حديث حسن، وصححه الأرناؤوط على تحقيق جامع الأصول (١٠/ ٤٢١).

(٣) فتح الباري (٣٧٤/ ١١).

لقد نطحناهم غداة الجمعين نطحا شديدًا، لا كنطح الصورين

وبه فسر المفسرون قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾؛ ونحوه.

وأما أبو علي فالصور هنا عنده جمع صورة. قال أبو الهيثم: اعترض قوم فأنكروا أن يكون الصور قرنًا كما أنكروا العرش والميزان والصراط، وادعوا أن الصور جمع الصورة، كما أن الصوف جمع الصوفة والثوم جمع الثومة، ورووا ذلك عن أبي عبيدة.

قال أبو الهيثم: وهذا خطأ فاحش وتحريف لكلمات الله ﷻ عن مواضعها، لأن الله ﷻ قال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾، ففتح الواو، قال: ولا نعلم أحداً من القراء قرأها فأحسن صُوْركم، وكذلك قال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ فمن قرأ: ونفخ في الصُوَر، أو قرأ: فأحسن صُوركم، فقد افترى الكذب وبدل كتاب الله، وكان أبو عبيدة صاحب أخبار وغريب ولم يكن له معرفة بالنحو)[1].

ومما يرد به عليه أيضاً أن إرجاع الأرواح يكون مرة واحدة، والآية تقول: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾، فهل معنى هذا أن الصُوَر ترجع لها الروح مرتين؟ لا شك في بطلان هذا.

هذا وقد سمى تعالى الصوت الذي يخرجه إسرافيل من الصور بأسماء هي:

١ – النفخة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة: ١٣].

٢ – الصيحة: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يس: ٤٩].

٣– الراجفة: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات: ٦، ٧].

(١) لسان العرب (٤/ ٤٧٥).



٤- الزجرة: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [النازعات: ١٣].

فإسرافيل ينفخ نفخة وزجرة -وهي النفخة بغضب- تحدث صيحة عظيمة ترجف لها الأرض والقلوب.

***



المبحث الثاني
عدد النفخات والخلاف في ذلك

اختلف العلماء في عدد النفخات على قولين:

القول الأول: أنها ثلاث نفخات:

* نفخة الفزع. * نفخة الصعق. * نفخة البعث.

وذلك أن الله نص على هذه الثلاث نفخات في كتابه؛ فقال: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: ٨٧]، وهذه نفخة الفزع.

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]، وهذه نفخة الصعق ونفخة البعث.

وقالوا: إن الفزع مغاير للصعق.

واستدلوا بحديث الصور الطويل، وفيه أن النفخات ثلاث[١].

ورجحه ابن العربي[٢]، وابن كثير[٣] وشيخه ابن تيمية[٤] والسفاريني[٥] وغيرهم.

---

(١) حديث الصور أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ٣٢٥، وهو آخر حديث في كتابه، وأخرجه غيره، وهو حديث ضعيف فيه نكارة، ضعفه الطبري وابن حجر والبيهقي والأشبيلي وغيرهم، وانظر تفصيل الكلام عليه في تحقيق كتاب: صفة الجنة لابن كثير، ص ١٤، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، فقد استوعب الكلام عليه.

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٧٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٧٧).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٢٦٠) و (١٦/ ٣٥).

(٥) لوامع الأنوار للسفاربني (٢/ ١٦١).



القول الثاني: أنهما نفختان: نفخة الصعق ونفخة البعث:

وقالوا: هذا هو ظاهر النصوص، كقوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٤٩-٥٢].

فقوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾ هذه هي النفخة الأولى.

وقو له: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾، هذه هي النفخة الثانية.

وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات: ٦، ٧].

(قال ابن عباس: هما النفختان الأولى والثانية، وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد)(١).

وفى السنة ما يدعم هذا القول.

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوما، قال: أبيت، قال: أربعون سنة، قال: أبيت، قال: أربعون شهرا، قال: أبيت، «ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عَجب ذنبه فيه يركب الخلق)(٢).

وهذا الحديث صريح بأنها نفختان.

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن من أفضل أيامكم يوم

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٦)، فتح الباري (١١/ ٣٧٤).

(٢) متفق عليه، البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ ...﴾، رقم: ٤٥٣٦)، ومسلم: (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، رقم ٢٩٥٥).



الجمعة ؛ فيه خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفيه قُبِض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فإن صلاتكم معروضة علي»، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ أي يقولون: قد بليت، قال: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»[1]، فذكر النفخة والصعقة، وهما اثنتان وأصرح منه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «بين النفختين أربعون ...» الحديث[2] وهو صريح بأنهما نفختان.

ومما يقوي هذا القول -أيضاً- الجانب اللغوي، فقد قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

والشاهد هو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾، فقد قدمنا أن كلمة ﴿أُخْرَىٰ﴾ هي مؤنث آخر، وهذه اللفظة لا تستعملها العرب إلا فيما ليس له إلاً اثنين من جنسه، فإذا قالوا: جاء رجل وجاء آخر، أو قالوا: جاءت امرأة وجاءت أخرى؛ فإنهم يريدون بذلك أنه لم يأت إلا اثنان أو اثنتان، وعليه فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ يدل أن عدد النفخات هو نفختان ولا تزيد على ذلك.

وأما قول أصحاب القول الأول من أن الفزع غير الصعق فهو بعيد، بل إن الناس عندما يسمعون النفخة الأولى فإنهم يفزعون أولاً ثم يصعقون.

---

(١) أخرجه النسائي (كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي يوم الجمعة، رقم: ١٣٧٤)، وأبو داود (كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم: ١٠٤٧)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة، رقم: ١٠٨٥)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض» رقم: ٤٨١٤.

قال ابن حجر: (ولا يلزم من مغايرة الصعق للفزع أن لا يحصلا معا من النفخة الأولى)[١]، وفي السنة ما يدل على أن النفخة يستمع إليها الناس من بعيد فيصغون لها الرؤوس، ثم تزداد قوتها فيفزعون -كما في الآية- ثم يصعقون.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين... - الحديث إلى أن قال: فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا[٢] ورفع ليتًا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال: فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل -نعمان الشاك- فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون...» [٣].

وسياق الآيتين يدل أنهما نفخة واحدة، ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ...﴾ [الزمر: ٦٨]، ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ...﴾ [النمل: ٨٧]، قال القرطبي: (والصحيح انهما نفختان فقط لثبوت الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في كل من الآيتين[٤]، والحديث الذي استدلوا به ضعيف ضعفه ابن حجر[٥] وغيره.

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٧٧).
(٢) الليت: صفحة العنق، وإصغاؤه إمالته، انظر: لسان العرب (٢/ ٨٧).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى، رقم: ٢٩٤٠).
(٤) نقله عنه ابن حجر في الفتح (٣٧٧/ ١١).
(٥) في فتح الباري (١١/ ٣٧٧).



ورجح هذا القول القرطبي[١]، والبغوي[٢]، والشوكاني[٣]، وابن حجر[٤] وغيرهم.

والراجح في نظري هو القول الثاني لسلامة استدلاله وقوته.

هذا وقد شذ ابن حزم وادعى أن النفخ يقع أربع مرات[٥]، وهذا القول أبعد من القول الأول، ولم يقل به أحد قبله ولا بعده فيما أعلم.

❊❊❊

---

(١) الجامع لأحكام القرطبي (٥/ ١٨٢).

(٢) معالم التنزيل (٧/ ١٣١).

(٣) فتح القدير (٤٥٨/ ٤).

(٤) فتح الباري (١١/ ٣٧٧).

(٥) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٧٧).

المبحث الثالث

الآيات التي يقصد بها النفخة الأولى، والتي يقصد بها الثانية، والتي تحتمل الأمرين

وهذا المبحث يفيد في تفسير الآيات وفهمها ؛ وفيه ثلاث مطالب:

أولاً: الآيات التي يقصد بها النفخة الأولى وهي:

* قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: ٨٧].
* وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].
* وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ [ص: ١٥].
* وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [النازعات: ١٣].
* وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾﴾ [النازعات: ٦].

ثانيا: الآيات التي يقصد بها النفخة الثانية وهي:

* قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الصافات:١٩]، قال ابن حجر: (وهي عبارة عن النفخة في الصور الثانية)[1].
* وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف: ٩٩].
* وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١].

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٧٦).



* ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣﴾ [يس: ٥٣].

* وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ [النبأ: ١٨].

* وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝١٠٢﴾ [طه: ١٠٢].

* وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١].

قال الشنقيطي: (أنها الثانية)[1].

* وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠﴾ [ق: ٢٠].

* قال الشوكاني: (وهذه هي النفخة الآخرة للبعث)[2].

* وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ۝٤٢﴾ [ق: ٤٢].

* وقوله جل جلاله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣﴾ [الحاقة: ١٣]، لقوله بعدها: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥﴾.

ثالثا: الآيات التي تحتمل الأمرين:

* قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ [سبأ: ٥١-٥٣].

* وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٧٣﴾ [الأنعام: ٧٣].

---

(١)

(٢)



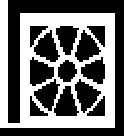
* وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾ [القمر: ٦].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الداعي هو إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)[١]، وعليه فتكون الدعوة هي النفخ بالصور. والله تعالى أعلم وأحكم.

***

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٧/ ٨٥).



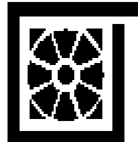


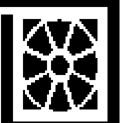


البعث والحشر وأهوال القيامة وأحوال الناس فيها

- المبحث الأول: المقصود بالبعث.
- المبحث الثاني: حشر الخلائق إلى الموقف العظيم.
- المبحث الثالث: مكان الحشر.
- المبحث الرابع: صفة الحشر.
- المبحث الخامس: أهوال ذلك اليوم.
- المبحث السادس: أحوال الناس يوم القيامة.





المبحث الأول

المقصود بالبعث

البعث لغة: الإرسال والنشر[١]، وأصل البعث إثارة الشيء[٢].

قال ابن جرير الطبري: (وأصل البعث إثارة الشيء من محله، ومنه قيل: فلان بعث راحلته، إذا أثارها من مبركها للسير)[٣].

وشرعاً: (إحياء الأموات يوم القيامة)[٤]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام: ٣٦] وذلك أن الله تعالى إذا أذن لنافخ الصور أن ينفخ النفخة الثانية وهي نفخة البعث؛ فتبدأ الأرض تهتز والقبور تبعثر فتقذف الأرض ما فيها من الموتى فتخرج الناس من هول ما يرون بعد نفخ الروح فيهم، يخرجون يجْرون لا يدرون اين يذهبون، وشبههم الله بالفراش المبثوث المنتشر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾﴾ [الانفطار: ٤]، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾ [العاديات: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾ [الزلزلة: ٢]، ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ [الانشقاق: ٣-٥].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج: ٤٣، ٤٤]، ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ (القارعة: ٤).

وبعث الناس قبل حشرهم، فهم يبعثون ثم يحشرون إلى أرض الحشر الأولى.

---

(١) انظر: لسان العرب (٢/ ١١٦).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٢٦٦).

(٣) جامع البيان لابن جرير الطبري (٢/ ٨٤).

(٤) انظر: لسان العرب (١١٧/ ٢)، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي مع شرحها للشيخ محمد العثيمين، ص ١١٥.



المبحث الثاني

حشر الخلائق إلى الموقف العظيم

الحشر لغة: بمعنى الحشد أي الجمع، إلا أن الحشر فيه معنى الجمع مع السوق(١).

ومن استعمالها اللغوي في القرآن قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه: ٥٩].

شرعاً: (جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم)(٢).

ومن استعماله بالحقيقة الشرعية قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [يونس: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧]، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: ٤٤].

وذلك أن الناس إذا خرجوا وبعثوا من قبورهم فإنهم يخرجون سراعاً لا يدرون أين يذهبون، فتحشرهم النار إلى أرض المحشر تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا.

وصفة حشر الناس إلى أرض المحشر مشكلة، فالآيات والأحاديث ظاهرها التعارض، ففي بعضها أن الذي يسوق الناس إلى أرض المحشر هي النار، وفي البعض الآخر أن الذين يسوقونهم هم الملائكة، وفي بعضها أنهم يمشون على الأرض، وفي بعضها أنهم يحملون على الدواب، وفي بعضها أنهم يحشرون على

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٦٦).

(٢) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي مع شرحها للشيخ محمد العثيمين، ص ١١٥.

وجوههم، وفي بعضها التمييز بين صفة الكفار والمؤمنين، وفي بعضها عدم التفريق بينهم في صفة الحشر، وإليك بعض هذه النصوص:

* قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥]، يعني راكبين الدواب.[١]

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان: ٣٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا»[٢].

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم محشورون رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم»[٣]، وغير ذلك من النصوص الكثيرة -وسيأتي ذكر بعضها-.

والذي يظهر لي -بعد طول تأمل- أن الحشر يطلق بلسان الشارع على ثلاثة أحوال:

١- حشر الناس الى أرض المحشر:

وهدا الحشر بعد نفخة البعث حيث يخرجون من القبور سراعاً، فتسوقهم

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٧).

(٢) متفق عليه، البخاري (كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، رقم: ٦١٥٧)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: ٢٨٦١).

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة بني إسرائيل، رقم: ٣١٤٣) وقال: حسن صحيح، وقال الحافظ في الفتح سنده قوي.



النار إلى أرض المحشر الأولى في الشام -كما سيأتي بياته-.

منه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير: ٤، ٥]. ومنه حديث أبي هريرة -السابق- عن النبي ﷺ: قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان علي بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهـم حيث أمسوا».

٢- حشر الناس إلى أرض الحساب:

فالأرض تذهب ويأخذها الرحمن سبحانه في قبضته ويطوي السماوات بيمينه، ويحشر الناس إلى أرض الحساب، حيث تبدل الأرض غير الأرض.

عن مجاهـد قال. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا، قال: أجل والله ما تدري، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾، قالت: قلت: فأين الناس يومئذ يا رسول الله ؟ قال: «على جسر جهنم»[1].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط»[2].

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولي رسول الله ﷺ قال: كنت قائما عند رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة الزمر، رقم: ٣٢٤١)، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وحسنه الأرنؤوط في جامع الأصول (١٠/ ٥٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم: ٢٧٩١).

فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: أنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي»، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: «أينفعك شيء إن حدثتك؟» قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال: «سل» فقال اليهودي: أين يكون الناس ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر..» الحديث(١).

٣ - حشر الناس إلى الجنة والنار:

بعد قضاء الحساب وتميز الكفار عن المؤمنين، يحشر الكفار إلى النار على وجوههم، ويحشر الأبرار على أقدامهم، ويحشر المقربون على الدواب النجائب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان: ٣٤].

عن قتادة حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»؟ قال قتادة: بلى وعزة ربنا(٢).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥] يعني راكبين الدواب(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، رقم: ٣١٥).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب الرقاق باب كيف الحشر، رقم: ٦١٥٨)، ومسلم (صفة القيامة والجنة والنار، باب يحشر الكافر على وجهه، رقم: ٢٨٠٦).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٧).



وعن بهز بن حكيم عن أبيه، عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم محشورون رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم»(١).

ثم قد وجدت الإمام القرطبي قسم هذا التقسيم(٢)، فالحمد لله على توفيقه.

ويشكل على هذا التقسيم الحديث الذي أخرجه النسائي عن أبي ذر قال: إن الصادق المصدوق ﷺ حدثني: (إن الناس يحشرون ثلاثة أفواج: فوج راكبين طاعمين كاسين، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم النار، وفوج يمشون ويسعون يلقي الله الآفة على الظهر فلا يبقى ظهر حتى إن الرجل لتكون له الحديقة يعطيها بذات القتب لا يقدر عليها)(٣).

فقوله: «وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم النار»، يدل على أن المقصود بهذا الحشر الحشر إلى أرض المحشر الأولى، فيكون الحشر على الوجه للكفار فيها لا عندما يؤمر بهم إلى النار؟

فالجواب: أن هذا غير صحيح دراية ورواية:

١- أما دراية فالملائكة لا يحشرون الناس إلى أرض المحشر الأولى بل التي تحشرهم هي النار، كما دلت عليه الأحاديث السابقة.

٢- وأما رواية فقوله: (وتحشرهم النار) هو خطأ، والصحيح كما في المسند «وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار»، حيث أخرجه أحمد عن يزيد: أخبرنا الوليد بن جميع القرشي حدثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة

---

(١) أخرجه الترمذي: (كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة بني إسرائيل، رقم: ٣١٤٣)، وقال: حسن صحيح، وقال الحافظ في الفتح: سنده قوي.

(٢) التذكرة للقرطبي (١/ ٣٠٧) باب الحشر ومعناه.

(٣) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، باب البعث، رقم: ٢٠٨٦) بسند حسنه الأرناؤوط في جامع الأصول (١٠/ ٤٢٨).



عن حذيفة ابن أسيد قال: قام أبو ذر فقال: يا بني غفار قولوا ولا تختلفوا، فإن الصادق المصدوق حدثني: «أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج: فوج راكبين طاعمين كاسين وفوج يمشون ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار»، فقال قائل منهم: هذان قد عرفتاهما فما بال الذين يمشون ويسعون؟ قال: «يلقي الله الآفة على الظهر حتى لا يبقى ظهر حتى إن الرجل ليكون له الحديقة المعجبة فيعطيها بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها».

وأخرجه النسائي عن عمرو بن على قال: حدثنا يحيى عن الوليد بن جميع قال: حدثنا أبو الطفيل عن حذيفة بن أسيد عن أبي ذر.. الحديث.

والحديث سنده ثقات وفيه ثلاثة من الصحابة، ولكن فيه الوليد بن جميع وقد اختلف العلماء فيه، ولخص الحافظ ابن حجر آراءهم بقوله: صدوق يهم[١].

وبين الإمام أحمد والوليد رجل واحد هو يزيد بن هارون .وهو ثقة، وبين النسائي والوليد رجلان هما عمرو بن علي ويحيى بن سعيد وهما ثقتان، ولكن هذا الإسناد نازل وإسناد الإمام أحمد أعلى فيكون هو المرجح عند الاختلاف.

٣- ضعف الحديث بعض العلماء منهم الشيخ الألباني[٢]، وعليه يسلم: هذا التقسيم ويسقط الإشكال، والحمد لله على كل حال.

❊❊❊

(١) انظر: تقريب التهذيب، ص ١٠٣٩.

(٢) في ضعيف الجامع الصغير، ص ٢٥٩، وضعيف سنن النسائي، ص ٧٢.

المبحث الثالث

مكان الحشر (أرض المحشر)

دل الكتاب والسنة أن أرض المحشر هي أرض الشام[١]، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: من شك في أن أرض المحشر ههنا يعني :الشام. فليقرأ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾، قال لهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اخرجوا»، قالوا: إلى اين؟ قال: «إلى أرض المحشر»[٢].

وعن سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «إنكم تحشرون إلى بيت المقدس ثم تجتمعون يوم القيامة»[٣].

وعن معاوية بن حيدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تحشرون ههنا» وأومى بيده إلى الشام[٤].

وعن ميمونة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مولاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: قلت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس؟ قال: «أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره»، قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال: «فتهدي له زيتا يسرج

---

(١) والشام الآن عبارة عن أربع دول: فلسطين وسوريا والأردن ولبنان، نسأل الله تعالى أن يجمع بلاد المسلمين.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (رقم: ٩٧٦٤) والبزار كما في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٢٠)، وقال الهيثمي فيه أبو سعد البقال والغالب عليه الضعف، وأخرجه البيهقي كما في البدور السافرة للسيوطي، ص ٩١، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٢).

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٢٠): أخرجه البزار والطبراني وإسناد الطبراني حسن، وحسنه أيضًا السيوطي كما في البدور السافرة ص ٩١.

(٤) أخرجه الحاكم والبيهقي كما في البدور السافرة، ص ٩١، وصححه الحاكم.

فيه فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه»[١].

وعن أسماء بنت يزيد أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا فرغ من خدمته آوى إلى المسجد فكان هو بيته يضطجع فيه، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ليلة فوجد أبا ذر نائما منجدلاً في المسجد، فنكته رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله حتى استوى جالسا، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أراك نائما؟»، قال أبو ذر: يا رسول الله فأين أنام هل لي من بيت غيره؟

فجلس إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: «كيف أنت إذا أخرجوك منه؟»، قال: إذن ألحق بالشام فإن الشام أرض الهجرة وأرض المحشر وأرض الأنبياء، فأكون رجلاً من أهلها. قال له: «كيف أنت إذا أخرجوك من الشام؟»، قال: إذن أرجع إليه فيكون هو بيتي ومنزلي، قال له: «كيف أنت إذا أخرجوك منه الثانية؟»، قال: إذن آخذ سيفي فأقاتل عني حتى أموت. قال: فكشر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثبته بيده قال: «أدلك على خير من ذلك؟»، قال: بلى بأبي انت وأمي يا نبي الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تنقاد لهم حيث قادوك، وتنساق لهم حيث ساقوك، حتى تلقاني وأنت على ذلك»[٢].

❊❊❊

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، رقم ١٤٠٧) وأحمد (٢٩٠٧٩) بسند صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٧٠٤١) وسنده صحيح.



المبحث الرابع

صفة الناس في المحشر

وهذا المبحث يتناول حال الناس فرادى، وحال الناس جميعًا:

-حال أفراد الناس:

ففد وصفهم الله وصفا دقيقا؛ فوصف وجوههم وأبصارهم وأبدانهم ونفسياتهم بل حتى قلوبهم، وغير ذلك من أحوالهـم كما ستراه.

الأبدان: يحشر الناس حفاة عراة غرلًا:

حفاة غير منتعلين، عراة غير لابسين، غرلًا غير مختونين، فكما أن الإنسان يولد حاف عار أغرل فكذلك يبعث:

* قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف: ٤٨].
* ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف: ٢٩].
* ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ٩٤].
* ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلا، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾،



وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناسًا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، إلى قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً»، فقالت عائشة: فكيف بالعورات؟ قال: «لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه»(٢).

- الوجوه: قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه: ١١١]، أي ذلت وخضعت (٣).

- الأبصار: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ [القمر: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾﴾ [القيامة: ٧] أي اضطربت وجالت العين من الخوف (٤)، وقال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ [النازعات: ٨]، أي مضطربة سريعة الخفقان (٥).

-أحوال الناس عمومًا:

- يعرضون صفًا أمام الله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف: ٤٨].

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري: البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾، رقم: ٣١٧١)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: ٢٨٦٠).

(٢) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، باب البعث، رقم: ٢٠٨٣) بسند صحيح.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص ٥٩٠.

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص ١١٩.

(٥) انظر: مفردات الفاظ القرآن للراغب، ص ٨٥٧.



- لا يتكلمون: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝١٠٨﴾ [طه: ١٠٨]، ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

إشكال: في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾ [القيامة: ١٠] يدل أنهم يتكلمون، فكيف يتكلمون ولا يتكلمون؟

الجواب:

١ - بحسب اختلاف الأوضاع، فيوم القيامة يوم طويل ففي موقف يتكلمون وفي آخر يصمتون.

٢ - أن الله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ [النبأ: ٣٨]، فإثبات الكلام من الخلق يوم القيامة تبع لإذن الله لهم، ونفيه في الحالة التي لم يؤذن فيها [١].

- ذهول الناس وخوفهم وهلعهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ١، ٢]، فإن كانت الأم المرضعة وهي أحرص ما يكون على ولدها تذهل عنه فغيرها من باب أولى، وإن كان الطفل الصغير الذي لم يذنب بعد يخاف حتى يشيب عارضاه فما بالك بغيره من الناس.

-تُنسى الأنساب، فكل إنسان مشغول بنفسه ويأتي وحيدًا:

* ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١].

---

(١) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص ٤٤٦.



* وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٣-٩٥].

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

- يجثون على الركب: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨].

- يعرضون على الله لا يخفى منهم شيء: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

وغير ذلك من صفات يوم القيامة.

***



المبحث الخامس

أهوال ذلك اليوم

من أهوال ذلك اليوم:

١ -دك الأرض ونسف الجبال:

أخبرنا الحق سبحانه وتعالى عن هذه الأرض وما عليها من الجبال الصم الراسية أنها تحمل يوم القيامة وتدك دكا ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الحاقة: ١٣، ١٥]، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾﴾ [الفجر: ٢١]، وعند ذلك تتحول هذه الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [المزمل: ١٤] أي تصبح ككثبان الرمل المتراكمة(١) بعد أن كانت حجارة صماء، والرمل المهيل هو الذي إذا أخذت منه شيئًا تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلًا، إذا حركت أسفله فانهال من أعلاه(٢).

وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾﴾ [الواقعة: ٤-٥]، ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا﴾ أي فتتت تفتيتا، والهباء الغبار الذي يسطع في شعاع الشمس، والمنبث الذي تذروه الرياح(٣).

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥- ١٠٧]، وقوله: ﴿فَيَذَرُهَا﴾ -يعني الأرض- ﴿قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾﴾ والقاع هو المنبسط من

(١) المفردات للراغب، ص ٧٠٣.

(٢) انظر: تفسير فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣١٦) بتصرف.

(٣) أنظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٢) بتصرف.



الأرض، والصفصف الأملس، وقوله: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾، أي لا ترى في الأرض واديًا ولا رابية ولا صدعًا ولا أكمة، ولا مكانًا منخفضا ولا مرتفعا [(١)].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾﴾ [المرسلات: ١٠] أي قُلِعَتْ من أماكنها.

وقال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ: ٢٠]، أي تذهب عن أماكنها وتزول، ومثله قوله تعالى: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطور: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التكوير: ٣].

وأما قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾، أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر، كما قال تعالى:

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل: ٨٨]، أي تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض، (قال القشيري: وهذا يوم القيامة) [(٢)].

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبُعد ما بين أطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر، وكذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمها، كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر)[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ [المعارج: ٩]، أي كالصوف [(٤)]، وفي

---

(١) انظر: تفسير القاسمي (٥/ ١١٨) بتصرف.

(٢) نقله عنه القرطبي وأقره عليه، انظر: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٣/١٦٠).

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٦/ ١٨٣).

(٤) انظر: تفسير الجلالين، ص ٧٠٢.



موضع آخر مثلها بالصوف المنفوش ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: ٥]، وكل ما حصل للجبال إنما هو جزء لما يحصل للأرض التي يتغير كل شيء فيها وتصبح بارزة لا مكان فيها لمن أراد أن يختبئ، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧﴾ [الكهف: ٤٧].

وقال سبحانه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة: ١] يعني زلزالها العظيم، وبين سبحانه هذه العظمة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ١، ٢].

٢ -تفجير البحار وتسجيرها:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ [الانفطار: ٣]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿فُجِّرَتْ﴾ فجر الله بعضها في بعض. وقال الحسن: ذهب ماؤها وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها. وقال الكلبي: مُلئت.

وقال تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ [الطور: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦]. قال ابن عباس: أوقدت فصارت نارًا تضطرم. وقال الحسن: يبست.

قال الشيخ حافظ الحكمي(١): (والمعنى المتحصل من أقوالهم رحمهم الله أنها يفجر بعضها في بعض فتمتلئ ثم تسجر فتصبح نارًا ثم يذهب ماؤها).

وكعادة المشككين -الذين يبحثون في الماء العكر وعن ثغرات في هذا الدين ليطعنوا فيه- أنكروا كون الماء ينقلب إلى نار.

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٢١٢)، وانظر الأقوال السابقة فيه أيضًا.



فالجواب: إنه قد ثبت في العلوم التجريبية في هذه الأزمان المتأخرة أن قلب الكرة الأرضية عبارة عن حمم نارية متراكمة ذات حرارة عالية جدًا، وأحيانًا تخرج على سطح الأرض بانفجار مهول فيما يسمى بالبراكين، وأحيانًا تخرج في البحر مكونة جزرًا بركانية.

ومن النظريات الحديثة أيضًا أن الماء يتكون من مادتين هما الأوكسجين والهيدروجين، وانفصال هاتين المادتين عن بعض يؤدي إلى انفجار عظيم.

أضف إلى ذلك ما تم اختراعه حديثًا وهو التفجير الذري حيث إن تفجير ذرة واحدة يؤدي إلى انفجار عظيم وهو ما يسمى بالقنبلة الذرية، فكم في البحر من ذرات؟

فإذا أمكن أن يتحول الماء إلى نار في الدنيا فكذلك الآخرة.

بل حتى لو لم يمكن ذلك فإن هذه من أمور الغيب التي أُمرنا أن نؤمن بها، والله تعالى على كل شيء قدير.

٣ -موران السماء وانفطارها:

وأما السماء العظيمة التي جعلها الله من أعظم آياته، فهي أعظم المخلوقات وأشدها وأكبرها وأوسعها وأعرضها، وليس فيها فروج، وليس لها عُمَد ترى، وسمكاتها مسيرة خمسمائة عام؛ ومع هذا كله فإنها تكون يوم القيامة كالوردة في ضعفها ولونها[1] ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾[2] [الرحمن: ٣٧]، فهي في أشد ما تكون من الوهن، قال تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحاقة: ١٦]، وذلك أنها تضطرب اضطرابًا مهولًا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ

(١) انظر: تفسير القاسمي (٦/ ٤٠٤)، والكشاف (٤/ ٤٨) بتصرف.
(٢) معنى الدهان سوف يأتي.



تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾﴾ [الطور: ٩].

(قال ابن عباس وقتادة: تتحرك تحريكًا. وعن ابن عباس: هو تشققها. وقال مجاهد: تدور دورًا. وقال الضحاك: استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض؛ وهذا اختيار ابن جرير إنه التحرك في استدارة. قال: وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنى بيت الأعشى فقال:

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مور السحابة لا ريث ولا عجل)[1]

ثم إنها تتشقق وتتفطر وتنفرج، قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾﴾ [الانشقاق: ١، ٢]، ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾﴾ [المزمل: ١٧، ١٨]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾﴾ [الانفطار: ١]، ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾﴾ [المرسلات: ٩]، ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرحمن: ٣٧]، يعني الدهن، فشبه السماء في تلونها بالدهن في اختلاف ألوانه وهو كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴿٨﴾﴾ [المعارج: ٨] وهو دردي الزيت[2].

ثم بعد تشققها تصبح كالأبواب المفتحة ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ: ١٩] عند إذن تنزل الملائكة لأجل الحساب، ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٦، ١٧]، ثم تقلع من مكانها ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾﴾ [التكوير: ١١] والكشط قلع عن شدة التزاق[3]، فتنتزع من مكانها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٠).
(٢) وهو عَكِر الزيت الذي يبقى في آخره، انظر السابق.
(٣) انظر: لسان العرب (٧/ ٣٨٧) بتصرف.

٤ -قبض الأرض وطي السماء:

ثم بعد ذلك يطوي الجليل السماء: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ويجعلها في يمينه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»(١)، قال ابن كثير رحمه الله: (وقوله: ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ قيل: المراد بالسجل الكتاب، وقيل: المراد بالسجل ههنا ملك من الملائكة. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾، تقال: السجل ملك فإذا صعد بالاستغفار قال: اكتبها نورًا. وهكذا رواه ابن جرير. وقال ابن أبي حاتم: وروي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أن السجل ملك. وقال السدي في هذه الآية: السجل ملك موكل بالصحف فإذا مات الإنسان رفع كتابه إلى السجل فطواه ورفعه إلى يوم القيامة.

وقيل المراد به اسم رجل صحابي كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي؛ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾، قال: السجل هو الرجل، قال نوح: وأخبرني يزيد بن كعب هو العوذي عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم. وهكذا رواه أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال: السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم. وهذا منكر جدًا لا يصح أصلًا، وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داود

---

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب التوحيد، باب قول الله (مَلِكِ النَّاسِ (٢)، رقم: ٦٩٤٧)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم: ٢٧٨٧).



وغيره لا يصح أيضًا، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وإن كان في سنن أبي داود، منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي، وقد أفردت لهذا الحديث جزءًا على حدة ولله الحمد.

وقد تصدى الإمام أبو جعفر ابن جرير للإنكار على هذا الحديث ورده أتم رد وقال: لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل، وكُتَّاب النبي ﷺ معروفون وليس فيهم أحد اسمه السجل. وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث، وأما من ذكره في أسماء الصحابة فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غير، والله أعلم.

والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة، قاله علي بن أبي طلحة والعوفي عنه، ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد، واختاره ابن جرير لأنه المعروف في اللغة، فعلى هذا يكون معنى الكلام يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب أي على الكتاب بمعنى المكتوب كقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾، أي على الجبين، وله نظائر في اللغة، والله أعلم.

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾، يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقًا جديدًا كما بدأهم هو القادر على إعادتهم)[1].

٥ -تكوير الشمس وخسف القمر وتناثر النجوم:

قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢﴾ [التكوير: ١، ٢].

(﴿كُوِّرَتۡ ١﴾، قال ابن عباس: أظلمت، وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت،

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٩٩) بتصرف.



وقال أبو صالح: ألقيت، قال ابن جرير: والصواب عندنا من القول في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة، وجمع الثياب بعضها على بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ﴾ جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها)[١].

وقال تعالى: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ [القيامة: ٨، ٩]، خسف: أظلم وذهب نوره وضوؤه [٢].

وقوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ فسَّره النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة»[٣]، يعني مجموعان مظلمان، وزاد البزار قوله: «مكوران في النار»[٤].

والنجوم والكواكب ينفرط عقدها فتنتثر ويذهب ضوؤها فتطمس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [التكوير: ٢]، يعني انتثرت[٥] وانفرط عقدها وتساقطت على أهل الأرض، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [الانفطار: ٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾﴾ [المرسلات: ٨] يعني ذهب ضوؤها.

٦ -تبديل الأرض:

تُبدل هذه الأرض وتتغير صفاتها ويكون عليها الحشر الأول ثم تذهب هذه الأرض تمامًا يوم يحشر الناس لمكان الحساب أمام الجسر، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ

---

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٢١٣).

(٢) المفردات للراغب، ص ٢٨٢.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدأ الخلق، باب صفة الشمس والقمر، رقم: ٣٠٨٢).

(٤) انظر: البدور السافرة للسيوطي، ص ٩٣.

(٥) المفردات للراغب، ص ٧٠٤.

ﵟٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨ﵞ [إبراهيم: ٤٨]؛ أي وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض، وهي هذه على غير الصفة المألوفة المعروفة كما جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء. عفراء كقرصة النقي ليس فيه معلم لأحد»[١]، ثم بعد ذلك تنتقل الخلائق إلى أرض الحساب.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﵟيَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُﵞ فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط»[٢].

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي »، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: «أينفعك شيء إن حدثتك؟»، قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال: «سل»، فقال اليهودي: أين يكون الناس ﵟيَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُﵞ؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر...» الحديث[٣].

وبهذا الجمع بين النصوص نوفق بين أقوال العلماء، فبعضهم يرى أن المقصود بتبديل الأرض تبديل صفاتها، والآخرون يرون أن التبديل لذات

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، رقم: ٦١٥٦)، ومسلم (صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم: ٢٧٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم: ٢٧٩١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، رقم: ٣١٥).

الأرض فتذهب وتفنى ويأت الله بغيرها، والصحيح أن تبديل الصفات في الحشر الأول إلى أرض المحشر عندما تنسف الجبال والمرتفعات وتسوى الأرض، فلا يبقى في تلك الأرض معلم لأحد، وأما ذهاب الأرض بالكلية ففي الحشر الثاني إلى أرض الحساب قبل جسر جهنم، والله تعالى أعلم.

٧ -سجود الخلائق لله سبحانه عند إتيانه للفصل بين العالمين، ونزول الملائكة:

بعد بعث الناس من قبورهم وحشرهم لأرض المحشر وحصول أهوال يوم القيامة وتبديل هذه الأرض وحشر الناس لأرض الحساب عند الجسر؛ تنزل الملائكة صفوفًا: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥]، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ [النبأ: ٣٨، ٣٩]. والمقصود بالروح جبريل عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [النحل: ٣٣]، ومن هذه الملائكة هنالك ثمانية أملاك تحمل عرش الرحمن سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧]، ويأتي رب العزة للفصل بين العباد ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، أي والحال أن الملائكة صفوفًا.

وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام: ٣٠].

وعندئذ تشرق الأرض بنور ربها ويؤتى بصحف الأعمال وبالشهود ويبدأ الحساب: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر: ٦٩، ٧٠].

***

المبحث السادس

أحوال الناس يوم القيامة

والناس في ذلك اليوم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

كما قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الواقعة: ٧، ١٠].

(أَزْوَاجاً) يعني أصنافًا وأجناسًا، وهؤلاء الأصناف هم:

١ -أصحاب الميمنة.

٢ -أصحاب المشأمة.

٣ -السابقون.

ويحتاج كل منها إلى بسط.

فيكون لدينا في هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

أحوال الكفار (أصحاب المشأمة)

وفيه مسائل:

١ -حال الكفار من ذل وهوان وحسرة وخزي:

وقد جلَّى الله تعالى هذا الأمر ووضحه في مواضع كثيرة، منها:

* قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ



هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧].

* وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل: ٢٧].

* وقوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الروم: ١٢، ١٣].

* وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يونس: ٥٤].

* وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج: ٤٣، ٤٤].

* وقوله سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ [الغاشية: ٢].

- وقد تجلت هذه الحسرات من كلامهم، كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم:

* ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر: ٨].

* ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء: ٩٧].

* ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه: ١٠٣، ١٠٤].

* ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟



مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٥٧﴾ [الروم: ٥٥ -٥٧].

* ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠﴾ [الصافات: ٢٠].

- ويتحسرون أن لم يؤمنوا:

* قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٥١ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٢ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ٥٤﴾ [سبأ: ٥١ -٥٤].

* ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾، فيرد عليهم ويقال: ﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩﴾ [الزمر: ٥٥ -٥٩].

* ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧﴾ [الأنعام: ٢٧].

* ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ [السجدة: ١٢].

* ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ



أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢ -٤٤].

* ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ -٢٩].

بل يتمنى أحدهم أن يكون بهيمة ولا يلاقي هذا العذاب؛ فقد أخرج الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «إذا كان يوم القيامة مُدت الأرض مدَّ الأديم وحشر الخلائق: الإنس والجن والدواب والوحوش، فإذا كان ذلك اليوم جعل القصاص بين الدواب حتى تقص الشاة الجماء من القرناء بنطحها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب، قال لها: كوني ترابًا. فتكون ترابًا، فيراها الكافر فيقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ: ٤٠]»[١].

-ومن علامة حسرتهم أنهم يتمنون أن يروا الذين أضلوهم ليقتلوهم وطئًا بالأقدام: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت: ٢٩].

-ويبرز الله النار لهم حتى تزداد حسرتهم: فيرونها من بعيد ثم يساقون إليها سوقًا عنيفًا وهم ينظرون إليها، ثم يعرضون على النار فتزداد حسراتهم حسرات فوق حسرات، ويتمنون النجاة من هذا العذاب بكل وسيلة حتى لو يفتدي بأقرب الناس له:

* ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٣].

* ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الكهف: ١٠٠].

---

(١) أخرجه الحاكم بسند صحيح، (انظر: تحقيق مختصر المستدرك لابن الملقن، تحقيق اللحيدان ٧/ ٣٥١٦).



* ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النازعات: ٣٦].

* ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾ [التكاثر: ٦، ٧].

* ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٩١-٩٣].

* ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الملك: ٢٧].

* ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤].

* ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٣، ٣٤].

* ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الطور: ١٣، ١٤]. ﴿يُدَعُّونَ﴾ أي يدفعون دفعًا شديدًا.

* ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

* ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣٤].

* ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ ﴾ [المعارج: ١٠ -١٤].



٢ -اسوداد وجوههم وتغيرها:

وهذه أولى فضائحهم:

* قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦].

* ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١].

* ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧].

* ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٦٠].

* ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: ٢٤ -٢٥].

باسرة: أي كالحة كاسفة عابسة، وقيل: أي تغير لونها [١]، والمعنى متقارب.

* ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٤٠ -٤٢]. والغبرة: الغبار والدخان، القترة: السواد [٢].

- إشكال: هل يحشرون سودًا أم زرقًا؟

* قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ [طه: ١٠٢].

قيل في هذا عدة أجوبة، وهي كالتالي:

١ - قيل إنهم سود الوجوه زرق العيون، وهذا الوجه لم يذكر ابن كثير غيره [٣]

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٣٣٦/ ٥).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٤٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٥).

٢ – وقيل عطاشًا قد ازرقت أعينهم من شدة العطش [١]، وهذا يرجع للقول الأول ولكن بزيادة ذكر السبب في كون أعينهم زرقا.

٣ – المراد بالزرقة ليس زرقة اللون، بل المقصود بالزرقة شخوص البصر من شدة الخوف[٢]، وهذا ليس بجيد؛ لأن شخوص البصر ليس خاصًا بالمجرمين بل كل أهل الموقف تشخص أبصارهم، والله سبحانه وتعالى في هذه الآية يبين حالاً خاصة بالكفرة المجرمين.

٤ – وقيل زرق الوجوه سود الأبدان، وهذا غاية ما يكون من البشاعة.

٥ – وقيل الزرقة الشديدة تقرب من السواد، فتارة يعبر عنها بالسواد وتارة بالزرقة [٣].

ورجح الشوكاني الأول [٤]، والقول الأخير أقربها عندي.

٣ –إحباط أعمال الكفار:

في ذلك اليوم يتمنى الجميع أن ترجح له أعماله وتنقذه من هذا البلاء العظيم، والحال في الكفار كذلك، فهم قد عملوا شيئًا من الصالحات، فيفجأون أنها تكون هباء منثورا لا قيمة لها لأنهم لم يقدموا شرط صحة هذه الأعمال وهو الإخلاص لله بالإسلام:

* قال تعالى: ﴿ **مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ** ﴿١٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٨].

---

(١) تفسير القرطبي (١١/ ١٦٢).
(٢) تفسير القرطبي (١١/ ١٦٢).
(٣) انظر الوجهين الأخيرين في تفسير القاسمي (٥/ ١١٧).
(٤) فتح القدير (٣/ ٣٨٦).



* ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور: ٣٩].

* وقال سبحانه: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣].

٤ -فضيحتهم أمام الخلائق:

إضافة لفضيحتهم باسوداد وجوههم، فإنهم يفضحون بلعنهم على رؤوس الأشهاد.

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: ١٨].

عن صفوان بن محرز قال: بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن -أو قال يا ابن عمر- سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُدنى المؤمن من ربه -وقال هشام يدنو المؤمن- حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه؟ تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف رب أعرف -مرتين- فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾»[1]، فلا يستر عليهم كما هو الحال في المؤمنين بل يفضحون.

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ويقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾، رقم: ٤٤٠٨)، ومسلم (كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم: ٢٧٦٨).



وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ [فصلت: ٤٤].

قيل - إنهم ينادون يوم القيامة من بعيد حتى يفضحون على رؤوس الخلائق، كما هو الحال في الآية السابقة.

وقد ذكر الله تعالى بعض هذا النداء، فمنه نداء قوم عاد، قال سبحانه: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ٦٠﴾ [هود: ٦٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله ومن عباده المؤمنين كلما ذكروا، وينادى عليهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾ الآية، قال السدي: ما بعث نبي بعد عاد إلَّا لعنوا على لسانه)[1].

ومنه أيضًا نداء المشركين، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ٥٢﴾ [الكهف: ٥٢].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مُخبرا عما يخاطب به المشركين يوم القيامة على رؤوس الأشهاد تقريعًا لهم وتوبيخًا: ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ﴾، أي في دار الدنيا، ادعوهم اليوم ينقذونكم مما أنتم فيه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٩٤﴾ وقوله: ﴿فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ كما قال: ﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ الآية)[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٩٠).



ومن فضيحتهم حشرهم عميان:

قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٢]، وقال جل جلاله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [طه: ١٢٤، ١٢٥].

ويشكل على هذا قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٤]. ولا يكون قارئًا حتى يكون مبصرًا.

وأصرح منه قوله سجانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [السجدة: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [مريم:٣٨]، أي ما أسمعهم وما أبصرهم، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق: ٢٢]، وغيرها من الآيات.

الجواب[1]:

قال بعض العلماء: إن المقصود عمى البصيرة، جمعًا بين الأدلة التي تثبت الرؤية والتي تثبت العمى لهم، ولكن سياق الآيات التي في طه يأبى ذلك لقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ وهو لم يكن بصيرا في كفره قط، بل قد تبين له حينئذ أنه كان في الدنيا في عمى عن الحق، فكيف يقول ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ وكيف يجاب بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾؟

بل هذا الجواب فيه تنبيه على أنه من عمى البصر وأنه جوزي من جنس عمله؛ فإنه لما أعرض عن الذكر الذي بعث الله به رسوله وعميت عنه بصيرته؛

(١) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٢٩ -١٣١) بتصرف وزيادة واختصار.

أعمى الله به بصره يوم القيامة وتركه في العذاب كما ترك الذكر في الدنيا فجازاه على عمى بصيرته عمى بصره في الآخرة، وعلى تركه الذكر تركه في العذاب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧].

قيل في هذه الآية أيضًا: إنهم عمي وبكم وصم عن الهدى لأنهم يتكلمون يومئذ ويسمعون ويبصرون.

ومن نصروا أنه العمى والبكم والصم المضاد للبصر والسمع والنطق جمعوا بين هذه الآيات والآيات المثبتة للسمع والبصر والتكلم لما يلي:

القول الأول: قالوا: هو عمى وصمم وبكم مقيد لا مطلق فهو عمى عن رؤية ما يسرهم وسماعه، وهو مروي عن ابن عباس.

القول الثاني: قالوا: هذه الحال حين تتوفاهم الملائكة يخرجون من الدنيا كذلك، فإذا قاموا من القبور إلى الموقف قاموا كذلك، ثم إنهم يسمعون ويبصرون فيما بعد، وهذا مروي عن الحسن.

ولكن هذا مخالف لقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥٢]، فقد أثبت الله تعالى لهم الكلام في قوله: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا﴾، وأثبت لهم البصر في قوله: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾.

القول الثالث: قالوا: هذا إنما يكون إذا دخلوا النار واستقروا فيها؛ سلبوا الأسماع والأبصار والنطق؛ حين يقول لهم الرب تبارك وتعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ فحينئذ ينقطع الرجاء وتبكم عقولهم، فيصبحون بأجمعهم عميًا وصمًا وبكمًا، وهذا منقول عن مقاتل.



الترجيح:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفصل الخطاب أن الحشر هو الضم والجمع، ويراد تارة الحشر إلى موقف القيامة لقول النبي ﷺ: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً»، وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧﴾، ويراد به الضم والجمع إلى دار المستقر [1]؛ فحشر المتقين جمعهم وضمهم إلى الجنة، وحشر الكافرين جمعهم وضمهم إلى النار، لأنه أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾، ثم قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ...﴾ وهذا الحشر الثاني.

وعلى هذا فهم ما بين الحشر الأول من القبور إلى الموقف والحشر الثاني يسمعون ويبصرون ويجادلون ويتكلمون، وعند الحشر الثاني يحشرون على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًا، ولكل موقف حال يليق به ويقتضيه عدل الرب وحكمته، فالقرآن يصدق بعضه بعضًا، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾[2].

٥ -تخاصم الكفرة في الموقف:

فهم يوم القيامة يتخاصمون ويتلاعنون ويتبرأ كل منهم من الآخر، بل ويكفر بعضهم ببعض، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٥﴾ [العنكبوت: ٢٥]، ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧].

---

(١) لم يذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا نوعين من أنواع الحشر، وقدمنا أن الصحيح هو أن الحشر ثلاث أنواع.

(٢) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٣٩ -١٣١) بتصرف.



وهم أنواع[١]:

(أ) تخاصم العابدين والمعبودين:

في ذلك اليوم الرهيب يجمع الله المشركين ثم يأمرهم أن ينادوا شركاءهم فينكروا أن يكون لهم شركاء؛ ﴿... وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾ [فصلت: ٤٧، ٤٨].

(وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾، أي يوم القيامة ينادي الله المشركين على رؤوس الخلائق أين شركائي الذين عبدتموهم معي ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أي أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ أي ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكًا[٢].

وذلك أنهم علموا أنه لا ينجو اليوم إلا الموحدون، فيؤكدون على عدم شركهم بالأقسام المغلظة، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣]. (قال ابن جرير: ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم اعتذارا عما سلف منهم الشرك بالله ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتاه رجل فقال: يا ابن عباس سمعت الله يقول: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ قال: أما قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فإنهم رأوا أنه لا يدخل الجنة إلَّا أهل الصلاة فقالوا: تعالوا لنجحد فيجحدون، فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثًا، فهل في قلبك الآن شيء؟ إنه ليس من القرآن شيء إلَّا وتزل فيه شيء ولكن لا تعلمون وجهه.

---

(١) انظر: القيامة الكبرى لعمر الأشقر ص ١٢٨؛ هذا التقسيم من الأشقر، والشرح مني.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٠٤)، والبغوي (٧/ ١٧٨).



وقال الضحاك عن ابن عباس: هذه في المنافقين. وفيه نظر، فإن هذه الآية مكية والمنافقون إنما كانوا بالمدينة والتي نزلت في المنافقين آية المجادلة؛ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ الآية [(١)].

فإذا ظهر كذبهم عندما خُتم على أفواههم وشهدت أيديهم وأرجلهم حشر الله المشركين مع شركائهم ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ...﴾ [يونس: ٢٨].

ثم يطلب الله تعالى من المشركين أن يدعوا شركاءهم وينادوهم: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: ٦٢].

فإذا رأى المشركون من كانوا يعبدون صرخوا: هؤلاء آلهتنا في الدنيا ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النحل: ٨٦].

فيسألهم الله تعالى -سؤال تقريرٍ وإقامةٍ للحجة لا استعلام -: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الفرقان: ١٧].

فيتبرأ الشركاء من عبادهم ويضللونهم ويكفرون بهم ويكذبونهم ويعادونهم.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان: ١٧ -١٩].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٢)، وفتح القدير ٢/ ١١٢).



وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النحل: ٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [القصص: ٦٢-٦٤].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٨-٢٩].

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

وأما الصالحون الأخيار -من الأنبياء وملائكة وبشر -الذين عُبدوا وهم لا يعلمون أو من غير رضاهم فإنهم ينزهون الله سبحانه من هذا الشرك ويتبرؤون من عبّادهم أيضًا بل هم أولى في ذلك.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ



فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سبأ: ٤٠ -٤٢].

فإذا رأى العابدون هذه العداوة وانقلاب الحال كفروا بشركائهم أيضا:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الروم: ١٢، ١٣].

(ب) تخاصم الأتباع مع القادة المضلين أصحاب الفكر المنحرف:

للشبهة سلطان على القلب يأسره ولها سطوة عليه تذله وتكسره، ومن هداية الله للعبد أن يوفقه لصاحب سنة، وأما إذا وقع على صاحب بدعة أو شبهة أو أفكار منحرفة ضالة وكان هذا الضال عليم اللسان فإنه قد يريه الحق باطلاً والباطل حقًا، فلا يفيق التابع من هذا السكر إلَّا يوم القيامة وعندها تحصل المخاصمة والمجادلة.

ومن رحمة الله في عباده أن بيَّن لهم في كتابه مآل هؤلاء وتخاصمهم حتى يتجنب العباد طريقهم، قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الصافات: ٢٧ -٣٢].



﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ ۝٢٨﴾، أي عن الخير، يعني أنهم كانوا يصدونهم عن الخير، فالأتباع يقولون لقادة الضلال أنتم الذين كنتم تزينون لنا الباطل وتغروننا بمخالفة الحق، ولكن قادة الكفر والضلال يرفضون هذا ويقولون لهم: أنتم تتحملون نتيجة أعمالكم، فقد اخترتم الكفر ولم يكن لنا من سلطان عليكم، بل إن طغيانكم واستكباركم هو الذي أوصلكم لهذه النهاية.

ثم يتبرأ المتَّبعون من أتباعهم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝١٦٦﴾ [البقرة: ١٦٦]، فإذا رأى الأتباع هذا تحسروا وتمنوا أن لم يتبعوهم؛ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٧].

(ج) تخاصم الضعفاء مع السادة والملوك:

إن كان للشبهة سلطان؛ فسلطان الملك والمنصب والمال من أعظم ما يقهر القلوب الضعيفة، فترى هؤلاء الضعفاء يتملقون السادة والملوك ويلعقون أيديهم بالتقبيل ويزينون لهم باطلهم بل ويعينونهم عليه.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٣٣﴾ [سبأ: ٣١-٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ



تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢١].

﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ الطغاة المكذبون، وأتباعهم من الضعفاء المستذلين ومعهم الشيطان، ثم الذين آمنوا بالرسل وعملوا الصالحات... برزوا ﴿جَمِيعًا﴾ مكشوفين، وهم مكشوفون لله دائمًا، ولكنهم الساعة يعلمون ويحسبون أنهم مكشوفون، لا يحجبهم حجاب، ولا يسترهم ستار، ولا يقيهم واق... برزوا وامتلأت الساحة ورفع الستار، وبدأ الحوار:

﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾؟.

والضعفاء هم الضعفاء، هم الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم على الله حين تنازلوا عن حريتهم الشخصية في التفكير والاعتقاد والاتجاه؛ وجعلوا أنفسهم تبعًا للمستكبرين والطغاة، ودانوا لغير الله من عبيده واختاروها على الدينونة لله.

والضعف ليس عذرًا، بل هو الجريمة، فما يريد الله لأحد أن يكون ضعيفًا، وهو يدعو الناس كلهم إلى حماه يعتزون به والعزة لله، وما يريد الله لأحد أن ينزل طائعًا عن نصيبه في الحرية التي هي ميزته ومناط تكريمه، أو أن ينزل كارهًا، والقوة المادية -كائنة ما كانت- لا تملك أن تستعبد إنسانًا يريد الحرية، ويتمسك بكرامته الآدمية، فقصارى ما تملكه تلك القوة أن تملك الجسد تؤذيه وتعذبه وتكبله وتحبسه، أما الضمير، أما الروح، أما العقل ؛ فلا يملك أحد حبسها ولا استذلالها، إلا أن يسلمها صاحبها للحبس والإذلال!

من ذا الذي يملك أن يجعل أولئك الضعفاء تبعًا للمستكبرين في العقيدة،

وفي التفكير، وفي السلوك؟ من ذا الذي يملك أن يجعل أولئك الضعفاء يدينون لغير الله، والله هو خالقهم ورازقهم وكافلهم دون سواه؟ لا أحد، لا أحد إلَّا أنفسهم الضعيفة، فهم ضعفاء لا لأنهم أقل قوة مادية من الطغاة، ولا لأنهم أقل جاهًا أو مالًا أو منصبًا أو مقامًا...كلا، إن هذه كلها أعراض خارجية لا تعد بذاتها ضعفًا يُلحق صفة الضعف بالضعفاء، إنما هم ضعفاء لأن الضعف في أرواحهم وفي قلوبهم وفي نخوتهم وفي اعتزازهم بأخص خصائص الإنسان!

إن المستضعفين كثرة، والطواغيت قلة، فمن ذا الذي يخضع الكثرة للقلة؟ ما الذي يخضعها؟ إنما يخضعها ضعف الروح، وسقوط الهمة، وقلة النخوة، والتنازل الداخلي عن الكرامة التي وهبها الله لبني الإنسان!

إن الطغاة لا يملكون أن يستذلوا الجماهير إلَّا برغبة هذه الجماهير، فهي دائمًا قادرة على الوقوف لهم لو أرادت، فالإرادة هي التي تنقص هذه الجماهير!

إن الذل لا ينشأ إلَّا عن قابلية للذل في نفوس الأذلاء، وهذه القابلية هي وحدها التي يعتمد عليها الطغاة!! والأذلاء هنا على مسرح الآخرة في ضعفهم وتبعيتهم للذين استكبروا يسألونهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾، وقد اتبعناكم فانتهينا إلى هذا المصير الأليم؟!

أم لعلهم وقد رأوا العذاب يهمون بتأديب المستكبرين على قيادتهم لهم هذه القيادة، وتعريضهم إياهم للعذاب؟

إن السياق في قولهم وعليه طابع الذلة على كل حال!

ويرد الذين استكبروا على ذلك السؤال:

(﴿قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾



وهو رد يبدو فيه البرم والضيق: ﴿قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ فعلام تلوموننا ونحن وإياكم في طريق واحد إلى مصير واحد؟ إننا لم نهتد ونضلكم؛ ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ لقدناكم إلى الهدى معنا، كما قدناكم حين ضللنا إلى الضلال، وهم ينسبون هداهم وضلالهم إلى الله، فيعترفون الساعة بقدرته وكانوا من قبل ينكرونه وينكرونها، ويستطيلون على الضعفاء استطالة من لا يحسب حسابًا لقدرة القهار الجبار، وإنما يتهربون من تبعة الضلال والإضلال برجوع الأمر لله، والله لا يأمر بالضلال كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾.

ثم هم يؤنبون الضعفاء من طرف خفي، فيعلنوا لهم بأن لا جدوى من الجزع كما أنه لا فائدة من الصبر، فقد حق العذاب ولا راد له من صبر أو جزع، وفات الأوان الذي كان الجزع فيه من العذاب يجدي فيرد الضالين إلى الهدى، وكأن الصبر فيه على الشدة يجدي فتدركهم رحمة الله، لقد انتهى كل شيء ولم يعد هناك مفر ولا محيص: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾، لقد قضي الأمر، وانتهى الجدل وسكت الحوار وسدل الستار (١).

(د) تخاصم الكافر وقرينه الشيطان:

قال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾ [ق: ٢٧، ٢٨].

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومجاهد وقتادة وغيرهم:

هو الشيطان الذي وكل به، ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أي يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامة كافرا يتبرأ منه شيطانه فيقول: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾، أي ما أضللته

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤/ ٢٠٩٥).

﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ٢٧﴾، أي بل كان هو في نفسه ضالاً قابلاً للباطل معانداً للحق)[1].

فإذا سمع الكافر هذا من قرينة تحسر وتندم قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ٣٨﴾ [الزخرف: ٣٦ -٣٨]. وفي قراءة: (جاءانا) على التثنية، يعني: الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة[2].

(هـ) تخاصم المرء مع أعضائه:

ويبلغ الأمر أشده والمخاصمة ذروتها عندما يخاصم المرء أعضاءه:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ٢٢﴾ [فصلت: ١٩ -٢٢].

وقد فسر النبي ﷺ هذا المعنى:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون مم أضحك؟»، قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا وبالكرام

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٦)، والقرطبي (١٧/ ١٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٩٠).



الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فيه فيقال: لأركانه انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بعدًا لَكُنَّ وسُحقًا فعنكنّ كنت أناضل»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟»، قالوا: لا، قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟، قالوا: لا، قال: «فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلَّا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال فيلقى العبد فيقول: أي فُل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت انك ملاقيَّ؟ فيقول: لا، فيقول فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول؟ بلى، أي رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له: مثل ذلك؟ فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت؟ ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ها هنا إذًا، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليَّ، فيُختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: لما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال: «ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟» قال فتية منهم: بلى يا رسول

(١) انفرد بإخراجه مسلم عن أصحاب الكتب التسعة في (كتاب الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٦٩).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٦٨).



الله، بينا نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «صدقت صدقت، كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»(١).

٦ -مقتهم لأنفسهم:

والمقت أشد البغض، فتصل كراهيتهم لأنفسهم في ذلك اليوم لأقصاها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [غافر: ١٠].

٧ -صفة حشر الكفار إلى النار:

-حشرهم وهم عطاش: قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦]، يعني عطاشا، تكاد تنقطع رقابهم من العطش، وفي قوله: (وَنَسُوقُ) إشعار بإهانتهم كأنهم نَعَم عطاش تساق إلى الماء (٢).

-حشرهم عميًا صمًّا بكمًا: قال تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧].

﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم: ٤٠١٠)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢ / ٣٦٨).
(٢) انظر: تفسير القاسمي (٥/ ٩١).



﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: ١٢٤، ١٢٥].

- يحشرون إلى جهنم على وجوههم: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان: ٣٤].

- حشرهم مع شياطينهم وهم جاثون على الركب: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم: ٦٨].

قال القرطبي: (أي ولنحشرن الشياطين قرناء لهم، قيل: يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة كما قال: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الصافات: ٢٢]، والواو في ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ يجوز أن تكون للعطف؟ وبمعنى مع، وهي بمعنى مع أوقع، والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم، يقرنون كل كافر مع شيطان في سلسلة)[1].

وذكر القرطبي احتمال أن يكون هذا الحشر للناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم، وهذا بعيد لأن سياق الآيات يدل على أن المراد هم الكفرة منكري البعث، ففي الآيات قبلها قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم: ٦٦، ٦٨].

وهذا الجثي مصاحب لهم في كل حال، ففي الموقف يوم يحشر الناس إلى أرض الحساب تجثو كل الأمم ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٧، ٢٨].

(١) تفسير القرطبي (١١/ ٨٨).



وفي النار كذلك: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

❊❊❊



المطلب الثاني

عصاة الموحدين

وهم المؤمنون الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فأتوا بشعائر الإسلام وأركانه ولكنهم وقعوا ببعض المعاصي، وقد ذكر الله تعالى عذاب أولئك العصاة، وهذا ما سنتعرض له في هذا المطلب، فيه مسائل:

١ - الذين لا يؤدون الزكاة:

الزكاة من فروض الإسلام الكبرى وهي حق المال، فمن لم يؤد زكاته عُذب به في ذلك اليوم العظيم، وقد أخبرت النصوص أن عذابهم على وجهين:

(أ) يمثل لصاحب المال مالُه ثعبانًا أقرع له زبيبتان، فيطوق عنقه ويأخذ بلهزمتي صاحبه:

قال تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾**﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وهذا الطوق عبارة عن ثعبان في رقابهم؛ كما فسرها بذلك النبي ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلَّا جعل الله يوم القيامة في عنقه شجاعًا -ثم قرأ علينا مصداقه من كتاب الله عز وجل -: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ**﴾ الآية -وقال مرة: قرأ رسول الله ﷺ مصداقه -: ﴿**سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ**﴾، ومن اقتطع مال أخيه المسلم بيمين لقي الله وهو عليه غضبان، -ثم قرأ رسول الله ﷺ

مصداقه من كتاب الله -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ﴾ الآية»[١].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مُثل له ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه -يعني بشدقيه -ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك»، -ثم تلا -: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ الآية [٢].

(ب) إن كان الممتَنَع عن تأدية زكاته ذهبًا أو فضة فإنها تصفح صفائح ثم تكوى بها جباهم وظهورهم وجنوبهم، فيحيط به الألم من كل مكان:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

وقد فسر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلَّا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب من سورة آل عمران، رقم: ٣٠١٢)، والنسائي (كتاب الزكاة، باب التغليظ في حبس الزكاة، رقم: ٢٤٤١)، وابن ماجه (كتاب الزكاة، باب ما جاء في منع الزكاة، رقم: ١٧٨٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح. وإسناده حسن لأجل محمد بن يحيى فإنه صدوق.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم: ١٣٣٨).



قيل: يا رسول الله، فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة بُطِح لها بقاعٍ قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحدًا، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.

قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئًا، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»(١).

وفي قوله: «فيرى سبيله إما إلى جنة وإما إلى نار»، دليل على أنه ليس بكافر، لأن الكافر ليس له سبيل إلا إلى النار -أعاذنا الله منها-، فهو من عصاة المؤمنين.

٢ -ذنوب لا يكلم الله أصحابها ولا يزكيهم:

وقد رتب الله تعالى على كثير من الذنوب هذا العقاب فمنها:

(أ) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة: ١٧٤، ١٧٥].

فمن كتم -من علماء هذه الأمة- شيئاً من العلم إرضاء لشخص أو تحقيقًا لمصلحة شخصية أو طلبًا لعرض دنيوي، كان مشابهًا لأحبار ورهبان اليهود

(١) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم:٩٨٧).



والنصارى في كتمهم صفات الرسول ﷺ، فكان جزاؤهم هذا الجزاء.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من سئل عن علم عَلِمَهُ ثم كتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار»(١).

(ب) قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٧].

ومن هؤلاء أيضا الذين ينقضون ما عاهدوا الله عليه ويشترون بأيمانهم ثمنًا قليلاً؛ فيحلفون الأيمان الكاذبة تحقيقا لكسب دنيوي تافه(٢).

وهي ليست خاصة باليهود كما توهم بعضهم، ويدل على ذلك أحاديث كثيرة منها:

ما أخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق، فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية(٣).

وأخرج البخاري أيضا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم هو عليها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان»، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية، فجاء الأشعث فقال: ما حدثكم أبو عبد الرحمن في أنزلت هذه الآية، كانت لي بئر

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، رقم: ٣٦٥٨)، وابن ماجه (المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، رقم: ٢٦١)، والترمذي (كتاب العلم عن رسول الله، باب ما جاء في كتمان العلم،٢٦٤٩)، وقال: حسن، وهو كذلك.

(٢) انظر: القيامة الكبرى للأشقر، ص ١٤٦.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، باب ما يكره من الحلف في البيع، رقم:١٩٨٢).



في أرض ابن عم لي، فقال لي: شهودك، قلت: ما لي شهود، فقال: فيمينه، قلت: يا رسول الله إذًا يحلف، فذكر النبي ﷺ هذا الحديث، فأنزل الله ذلك تصديقا له[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلَّا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت لها كذا وكذا، فصدقه رجل»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾[٢].

وأخرج البخاري عن ابن أبي مليكة: أن امرأتين كانتا تخرزان في بيت أو في الحجرة، فخرجت إحداهما وقد أُنفذ بإشفى في كفها، فادعت على الأخرى، فرفع أمرهما إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «لو يعطى الناس بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم»، ذكروها بالله واقرأوا عليها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾، فذكروها فاعترفت، فقال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «اليمين على المدعى عليه»[٣].

وأخرج النسائي الحديث الماضي ولكن بسياق أوضح، فأخرج عن ابن أبي مليكة قال: كانت جاريتان تخرزان بالطائف، فخرجت إحداهما ويدها تدمي فزعمت أن صاحبتها أصابتها، وأنكرت الأخرى، فكتبتُ إلى ابن عباس في ذلك، فكتب أن رسول الله ﷺ قضى أن اليمين على المدعى عليه، ولو أن الناس أعطوا

(١) أخرجه البخاري (كتاب المساقاة، باب الخصومة في البئر والقضاء فيها، رقم: ٢٢٢٩).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب المساقاة، باب إثم من منع ابن السبيل من الماء، رقم: ٢٢٣٠).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾، رقم: ٤٢٧٧).

بدعواهم لادعى ناس أموال ناس ودماءهم، فادْعُهـا واتل عليها هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ حتى ختم الآية، فدعوتها فتلوت عليها فاعترفت بذلك، فسرَّه[١].

٣ -الغلول:

الغلول هو الأخذ من الغنيمة دون علم أحد، وهو ذنب يخفي تحته الكثير من الطمع والأثرة، وقد توعد الله تبارك وتعالى الغال بالفضيحة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦١﴾ [آل عمران: ١٦١].

(أي يأتي به حاملاً له على ظهره ورقبته، معذبًا بحمله وثقله، ومرعوبًا بصوته، وموبخًا بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد[٢].

وقد فسر الرسول ﷺ هذا الإتيان للغلول يوم القيامة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره قال: «لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء على رقبته فرس له حمحمة، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا وقد أبلغتك، وعلى رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك شيئًا وقد أبلغتك، وعلى رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، أو على رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك»[٣].

---

(١) أخرجه النسائي (كتاب آداب القضاة، باب عظة الحاكم على اليمين، رقم: ٥٤٢٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٦٥/ ٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، باب الغلول وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ ...﴾ رقم: ٢٩٠٨).



واستعمل النبي ﷺ عبادة بن الصامت رضي الله عنه على الصدقة ثم قال له: «اتق الله يا أبا الوليد أن تأتي يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة لها ثؤاج»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا، فلم نغنم ذهبا ولا ورقًا، غنمنا المتاع والطعام والثياب، ثم انطلقنا الى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله، فَـرُمي بسهم فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئًا له الشهادة يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفس محمد بيده إن الشملة لتلتهب عليه نارًا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم»، قال: ففزع الناس، فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال: يا رسول الله أصبت يوم خيبر، فقال رسول الله ﷺ: «شراك من نار أو شراكان من نار»(٢).

وعن أبي حميد الساعدي قال: استعمل النبي ﷺ رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على صدقة، فجاء فقال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: «ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا، والذي نفس محمد بيده لا يأتي أحد منكم منها بشيء إلَّا جاء يوم القيامة على رقبته إن كان بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة يديه، ثم قال: «اللهم هل بلغت» ثلاثًا (٣).

---

(١) انظر الحديث مخرجًا في السلسلة الصحيحة للألباني (٢/ ٥٧٣).

(٢) متفق عليه، البخاري (كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم: ٣٩٩٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلَّا المؤمنون، رقم: ١١٥).

(٣) متفق عليه، البخاري (كتاب الأحكام، باب هدايا العمال، رقم: ٦٧٥٣)، ومسلم (كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، رقم: ١٨٣٣).

المطلب الثالث

الأتقياء الصالحون

وأما حال الأتقياء المقربين عند حشر الناس فهي مختلفة كل الاختلاف عن حال غيرهم، وقد ذكر الله تعالى بعضًا من صفاتهم، ويمكن أن نحصرها في النقاط التالية:

١ - لا يخافون ولا يحزنون ولا يفزعون إذا فزع الناس يوم الفزع الأكبر:

قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: ٦١].

ويقول الله تعالى لهم تطمينًا لقلوبهم: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزخرف: ٦٨، ٦٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ -٦٤].

أما البشرى في الحياة الدنيا فتطلق على أمرين: على تبشير الملائكة للمحتضر بالجنة -وتقدم دليل هذا-، وتطلق على الرؤيا الصالحة.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فقال: «ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤية الصالحة يراها المسلم أو ترى له، رقم: ٣٨٩٨)، والترمذي (كتاب الرؤيا عن رسول الله، باب قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ رقم: ٢٢٧٣) وقال: حسن. اهـ، وله شواهد كما سيأتي.



وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلَّا المبشرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: «أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلَّا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عَزَّ وَجَلَّ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم» (٢).

وأما البشرى في الآخرة فهي تَلَقِّي الملائكة لهم لتثبيت قلوبهم وتأمينهم من الفزع الأكبر، كما قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: ٨٩].

٢ - بياض وجوههم:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٧]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩].

﴿مُّسْفِرَةٌ﴾: قيل: مشرقة، وقيل: مضيئة، وقيل: مستنيرة، وكلها متقاربة في المعنى، والاشتقاق اللغوي يدل على ذلك (٣).

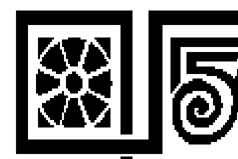
وفي السنَّة صفات أخرى كثيرة، والله اعلم.

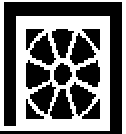
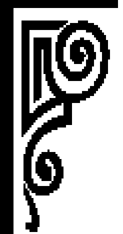
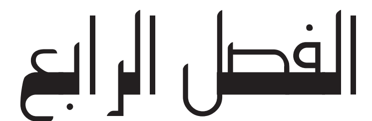
---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، باب المبشرات، رقم: ٦٥٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، رقم: ٤٧٩).

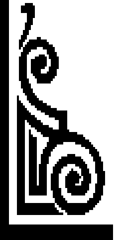
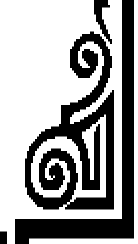
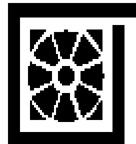
(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤/ ٣٦٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٨٢)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص ٤١٢.

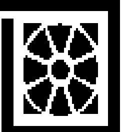


الشفاعة

- **المبحث الأول تعريف الشفاعة.**
- **المبحث الثاني: من يملك الشفاعة.**
- **المبحث الثالث: من الذي يشفع.**
- **المبحث الرابع: شروط الشفاعة.**
- **المبحث الخامس: الشفاعة المقبولة والشفاعة المرفوضة.**
- **المبحث السادس: أنواع الشفاعة المقبولة.**



المبحث الأول

تعريف الشفاعة

بعد أن يُحشر الناس إلى أرض المحشر حفاة عراة غرلًا، تدنو الشمس من الرؤوس مقدار ميل، ويغرقهم العرق أو يكاد، ويصبح الناس في عذاب وهم وغم وضيق لا يطاق، فعند ذلك يفزعون إلى الأنبياء والمرسلين حتى يشفعون عند الله تعالى ليبدأ الحساب.

لذلك تأتي الشفاعة بعد الحشر، ولكن مما يجدر التنبيه عليه أن الشفاعة أنواع، وأولى الشفاعات وجودًا حسب الترتيب الزمني لأحداث يوم القيامة هي الشفاعة العظمى لنبينا محمد ﷺ في أهل الموقف ليبدأ الحساب.

وأما الشفاعات الأخرى فهي متأخرة؛ فبعضها بعد الحساب، وبعضها بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وإنما جمعتها كلها في هذا المبحث لتوحد أدلتها غالبًا، ولحصر مسائلها في مكان واحد ومراعاة للاختصار.

الشفاعة لغة:

قال ابن فارس: (الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين)[(١)]

و(الشفع خلاف الوتر وهو الزوج، تقول: كان وترًا فشفعته شفعًا، وشفع لي يشفع شفاعة وتشفع: طلب، والشفيع: الشافع، والجمع شفعاء، واستشفع بفلان على فلان، وتشفع له إليه) [(٢)].

وسميت الشفاعة بذلك لأن المشفوع له يأتي بالشافع ليطلب له مصلحة،

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٠١).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٨/ ١٨٣).



فبعد أن كان واحدًا دخل معه الشافع فأصبحا شفعًا، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له[١].

اصطلاحًا:

أي: في الأمور الدنيوية والدينية.

قيل: (سؤال الخير للغير)[٢].

وقيل: (التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة)[٣].

وهذا التعريف أفضل لأنه يشمل جلب الخير ودفع الشر.

شرعًا:

قال ابن منظور: (هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم)[٤].

وهذا التعريف قاصر؛ لأن الشفاعة أنواع، وهذا تعريف نوع واحد منها، فالشفاعة نوعان:

١ - شفاعة خاصة بالنبي ﷺ وهي: الشفاعة العظمى في أهل الموقف عند الله ليقضي بينهم وليبدأ الحساب، وشفاعته في دخول أهل الجنة الجنة، وشفاعته في عمه أبي طالب..

٢ - الشفاعة العامة: التي يشفع فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون، فيمن استحق النار ألا يدخلها أو فيمن دخلها من الموحدين العاصين أن يخرج منها

---

(١) انظر: شرح العقيدة السفارينية (٢/ ٢٠٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي مع شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص١٢٨.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (٨/ ١٨٣).



فيمن دخل الجنة أن يرتقي فيها[1].

وسوف يأتي تفصيل هذا إن شاء الله.

❊❊❊

---

(١) انظر: الشفاعة عند أهل السنة، لناصر الجديع، ص ٣٨. ولمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي مع شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص ١٢٩.



المبحث الثاني

من يملك الشفاعة

الشفاعة لله وحده يأذن فيها لمن يشاء من عباده ممن رضي عنهم، ويحرمها من لا يرضى عنهم، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر: ٤٤]، فقوله تعالى: ﴿جَمِيعًاۖ﴾ يعني لا يملكها أحد غيره سبحانه، وقد صرح بهذا المفهوم في آية أخرى فقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

فقطع بهذا آمال المشركين الذين يرجون في آلهتهم الشفاعة والنفع، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ هذا الاستثناء محتمل أنه منقطع، والمعنى: لكن من شهد بالحق -وهو التوحيد- وهم يعلمون ما تضمنه هذا التوحيد من إفراد الله تعالى بالعبادة، فهؤلاء الموحدون يأذن الله لهم بالشفاعة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ -أي من الأصنام والأوثان- ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾، أي لا يقدرون على الشفاعة لهم ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ هذا استثناء منقطع، أي لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له. اهـ[1]. ولم يذكر ابن كثير احتمالًا آخرًا.

ولكن الظاهر أنه يحتمل احتمالًا آخرًا؛ وهو أنه استثناء متصل، والمعنى: أنه لا يملك أحد من الذين يُدعون من دون الله الشفاعة إلا من كان منهم موحدًا ولم يرض بأن يتخذ معبودًا من دون الله كعيسى بن مريم وغيره، فهؤلاء يأذن الله لهم بالشفاعة.

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٩).



وقد وجدت القرطبي ذكر ذلك، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ في موضع الخفض، وأراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ عيسى وعزيرًا والملائكة، والمعنى ولا يملك هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق وآمن على علم وبصيرة، قال سعيد بن جبير وغيره، قال: وشهادة الحق لا اله إلا الله.

وقيل: (من)، في محل رفع، أي ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة، يعني الآلهة في قول قتادة، أي لا يشفعون لعابديها إلا من شهد بالحق، يعني عزيرًا وعيسى والملائكة فإنهم يشهدون بالحق والوحدانية لله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ حقيقة ما شهدوا به.

قيل: إنها نزلت بسبب أن النضر بن الحارث ونفرًا من قريش قالوا: إن كان ما يقول محمد حقًا فنحن نتولى الملائكة وهم أحق بالشفاعة لنا منه، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾، أي اعتقدوا أن الملائكة أو الأصنام أو الجن أو الشياطين تشفع لهم ولا شفاعة لأحد يوم القيامة، ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني المؤمنين إذا أذن لهم، قال ابن عباس: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وقيل: أي لا يملك هؤلاء العابدون من دون الله أن يشفع لهم أحد إلَّا من شهد بالحق، فإن من شهد بالحق يُشفع له ولا يشفع لمشرك. و ﴿إِلَّا﴾، بمعنى لكن، أي لا ينال المشركون الشفاعة، لكن ينال الشفاعة من شهد بالحق؛ فهو استثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، لأن في جملة ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ الملائكة)[1].

وهذا هو العهد الذي أعطاه الله تعالى للموحدين في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ٨١).



﴿ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: ٨٧]. فالعهد هو التوحيد وشهادة أن لا إله إلَّا الله والقيام بحقها كما ذكر هذا كثير من المفسرين[١].

وهؤلاء المشركون لا شفيع لهم، قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ -أي المشركون- ﴿مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ١٨].

والموحدون لا يشفعون إلَّا لمن يرضى عنهم الرحمن: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨]، والله تعالى لا يرضى الشرك والكفر: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزمر: ٧].

بل حتى لو قدر أن شُفع لهم -فرضًا- فإنه لا تنفعهم هذه الشفاعة، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٤٦، ٤٧]، فلما قالوا هذا رد الله تعالى عليهم فقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

فعند ذلك يعترفون ويتحسرون أن ليس لهم شافع ولا نافع: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

***

(١) انظر: التسهيل لابن جزيء (٢/ ١٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥/ ٢٥٥) وغيرهما.

المبحث الثالث

من الذي يشفع

قد ذكر الله تعالى في كتابه ثلاثة ممن يشفعون، كما هو موضح في المطالب التالية:

المطلب الأول

الملائكة

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)﴾ [الأنبياء: ٢٦ -٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦)﴾ [النجم: ٢٦].

ودليله مع السنّة يأتي إن شاء الله.

المطلب الثاني

نبينا محمد ﷺ

نبينا محمد ﷺ يشفع الشفاعة العظمى وهو المقام المحمود الذي وعده الله إياه كما قال سبحانه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩)﴾ [الإسراء: ٧٩].

وعن ابن عمر رضي الله عنه يقول: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم

يبعثه الله المقام المحمود(١).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»(٢).

المطلب الثالث

ا لأنبياء والصالحون

قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

وهذه يدخل فيها بعض الأنبياء الذين عُبدوا من دون الله كعيسى ابن مريم، ويدخل فيها أيضًا بعض الصالحين الذين عبدوا من دون الله كعزير ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾، في موضع الخفض، وأراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ عيسى وعزيرًا والملائكة. اهـ)(٣).

وفي موضع آخر قال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني المؤمنين إذا أذن لهم)(٤).

والسنَّة في ذلك صريحة.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾، رقم: ٤٤٤١).

(٢) أخرجه الترمذي (صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب ما جاء في الشفاعة رقم: ٢٤٣٥)، وأبو داود (كتاب السنة، باب الشفاعة، رقم: ٤٧٣٩) وسند الترمذي صحيح.

(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ٨١).

(٤) انظر المصدر السابق.

ومن الأحاديث الجامعة في هذا: حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا خلص المؤمنون من النار، يوم القيامة وآمنوا، فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة له من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار، قال: يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار.

قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم، فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيخرجونهم فيقولون: ربنا أخرجنا من أمرتنا، ثم يقول: أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار، حتى يقول: من كان في قلبه مثقال ذرة».

قال أبو سعيد: فمن لم يصدق بهذا فليقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾.

قال: «فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا فلم يبق في النار أحد فيه خير.

قال: ثم يقول الله: شفعت الملائكة وشفع الأنبياء وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين قال: فيقبض قبضة من النار، أو قال قبضتين، ناس لم يعملوا لله خيرًا قط قد احترقوا حتى صاروا حممًا، قال: فيؤتى بهم إلى ماء يقال له ماء الحياة فيصب عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤ في اعناقهم الخاتم (عتقاء الله)، قال: فيقال لهم: ادخلوا الجنة فما تمنيتم أو رأيتم من شيء فهو لكم، وعندي أفضل من هذا، قال: فيقولون: ربنا وما أفضل من ذلك، قال: فيقول: رضائي عليكم فلا أسخط عليكم أبدًا»[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد (رقم: ١١٤٨٨)، وسنده صحيح، وله شواهد كثيرة في الصحيحين وغيرها.



المبحث الرابع
شروط الشفاعة

شروط الشفاعة ثلاثة [(١)]، وهي ظاهرة في الكتاب والسنَّة، وهي كالتالي:

١ - رضى الله عن الشافع:

* قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

٢ - رضى الله عن المشفوع له:

* قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٣ - إذن الله بالشفاعة:

* قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

هذا وقد جمع الله تعالى هذه الشروط الثلاثة في قوله تعالى:

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٤١) ومعارج القبول للحكمي (٢/ ٢٩٥)، وشرح لمعة الاعتقاد، ص ١٣٠.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦].

فقوله: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾، هذا شرط الإذن.

وقوله: ﴿وَيَرۡضَىٰٓ﴾، فلم يذكر متعلق الفعل (يرضى)، فهل يرضى عن الشافع أم عن المشفوع؟

والقاعدة تقول: (حذف المتعلق يفيد العموم)(١).

إذن فالآية تدل على المعنيين، فتشمل الرضى عن الشافع وعن المشفوع. وهو المطلوب.

***

---

(١) قواعد التفسير لخالد السبت (٢/ ٥٧٩)، وانظر: شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد بن صالح، ص ١٣٠.



المبحث الخامس
الشفاعة المقبولة والشفاعة المرفوضة

قد ذكر الله تعالى شفاعات في كتابه يقبلها، وشفاعات لا يقبلها، فما هي الشفاعة المقبولة وما هي الشفاعة المرفوضة؟

أما الشفاعة المقبولة فهي التي توفرت فيها الشروط السابقة، وهي أنواع كثيرة سوف نفردها في المبحث القادم.

وأما الشفاعة المرفوضة أو المنفية فهي التي يختل فيها أحد الشروط السابقة، لذلك ينفيها الله تعالى ويبطلها، وهذا يرد على الإشكال التالي:

وهو: أن هناك آيات تنفي الشفاعة كقوله سبحانه: ﴿... مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ...﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وآيات تثبتها كما في الآيات السابقة، فكيف تجمع بين إثباتها ونفيها؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما شفاعته ﷺ ودعاؤه للمؤمنين فهي نافعة في الدنيا والدين باتفاق المسلمين، وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين، وقد قيل: إن بعض أهل البدعة ينكرها.

وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم، وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية، وقال هؤلاء: من يدخل النار لا يخرج منها لا شفاعة ولا غيرها، وعند هؤلاء ما ثم إلَّا من يدخل الجنة فلا يدخل النار، ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب.



وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأئمة كالأربعة وغيرهم، فيقرون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أن الله يخرج من النار قومًا بعد أن يعذبهم الله ما شاء أن يعذبهم، يخرجهم بشفاعة محمد ﷺ، ويخرج آخرين بشفاعة غيره، ويخرج قومًا بلا شفاعة.

واحتج هؤلاء المنكرون للشفاعة بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾ [البقرة: ٤٨]، وبقوله: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وبقوله: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وبقوله: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾ [غافر: ١٨]، وبقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٤٨].

وجواب أهل السنَّة: أن هذا يراد به شيئان:

أحدهما: أنها لا تنفع المشركين، كما قال تعالى في نعتهم: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٤٢-٤٨].

فهؤلاء نفى عنهم نفع شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفارًا.

والثاني: أنه يراد بذلك نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك، ومن شابههم من أهل البدع؛ من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع لحاجته إليه رغبة ورهبة، وكما يعامل المخلوق المخلوق بالمعاوضة.



فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين، ويصورون تماثيلهم فيستشفعون بها ويقولون: هؤلاء خواص الله، فنحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا، كما يتوسل إلى الملوك بخواصهم لكونهم أقرب إلى الملوك من غيرهم، فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك، وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره فيحتاج إلى إجابة شفاعته رغبة ورهبة. فأنكر الله هذه الشفاعة فقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

* وقال: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨].

* وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

* وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

* وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام: ٥١].

* وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة: ٤].



* وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

* وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤].

* وقال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٣-٤٥].

* وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٨، ١٠٩].

* وقال صاحب يس: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [يس: ٢٢-٢٥].

فهذه الشفاعة التي اثبتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين حتى صوروا تماثيلهم، وقالوا: استشفاعنا بتماثيلهم استشفاع بهم، وكذلك قصدوا قبورهم وقالوا: نحن نستشفع بهم بعد مماتهم ليشفعوا لنا إلى الله، وصوَّروا تماثيلهم فعبدوهم كذلك، وهذه الشفاعة أبطلها الله ورسوله وذم المشركين عليها وكفرهم بها.

قال الله تعالى عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ [نوح: ٢٣، ٢٤].



وقال ابن عباس وغيره: هؤلاء قوم صالحون كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم. وهذا مشهور في كتب التفسير والحديث وغيرها كالبخاري وغيره، وهذه أبطلها النبي ﷺ وحسم مادتها وسد ذريعتها، حتى لعن من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلي فيها، وإن كان المصلي فيها لا يستشفع بهم، ونهى عن الصلاة إلى القبور وأرسل علي ابن ابي طالب فأمره ألَّا يدع قبرًا مُشرفا إلَّا سواه، ولا تمثالًا إلَّا طمسه ومحاه، ولعن المصورين. وعن أبي الهياج الأسدي: (قال لي علي بن ابي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ: ألا تدع تمثالًا إلَّا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلَّا سويته). وفي لفظ: (ولا صورة الَّا طمستها)، أخرجه مسلم)[1].

❋❋❋

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٤٨ -١٥٢).

المبحث السادس
أنواع االشفاعة المقبولة

وكل هذه الأنواع تدور حول هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٩].

١ -الشفاعة في أهل الموقف لبدأ الحساب:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود) (١).

وهذا الحديث مختصر، وفصله الحديث التالي:

عن أبي هريرة قال: أُتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي ويَنفُذهم البصر وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم.

فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم؟ إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾، رقم: ٤٤٤١).



مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ.

فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض؟ اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: ان ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى ﷺ فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضَّلك الله برسالته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول موسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى ﷺ.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلَّمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم، وروح منه؟ فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنبًا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ.

فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تُشفع. فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»(١).

يعني أن من لا حساب عليه من أمة محمد يدخل الجنة مباشرة ولا يمر بما يمر به الناس من أهوال، ثم بعد هذه الشفاعة يبدأ الحساب، وهذه الشفاعة خاصة بنبينا محمد ﷺ.

٢ -الشفاعة في المؤمنين الذين دخلوا النار أن يخرجوا منها:

(عن يزيد الفقير قال: كنت فد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم -جالس إلى سارية- عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون، والله يقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾، و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾، فما هذا الذي تقولون؟

قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام يعنى الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال:

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدًا شَكُورًا ۝٣﴾ رقم: ٤٤٣٥، ومسلم (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٩٤). وهذه رواية مسلم.

وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك، قال: غير أنه قد زعم أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس، فرجعنا، قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟! فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد)[1].

وعن قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا.

فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء، لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا؟ قال: فيقول: لست هناكم، قال: ويذكر خطيئته التي أصاب؛ أكله من الشجرة وقد نُهي عنها، ولكن ائتوا نوحًا أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض.

فيأتون نوحًا فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب؛ سؤاله ربه بغير علم، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن.

قال: فيأتون إبراهيم فيقول: إني لست هناكم، ويذكر ثلاث كلمات كذبهن، ولكن ائتوا موسى عبدًا أتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيًّا.

قال: فيأتون موسى فيقول: إني لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، قتله النفس، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته.

قال: فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمدًا ﷺ عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

فيأتوني فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدًا ما

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٩١).



شاء الله أن يدعني، فيقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط. قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرج فأدخلهم الجنة.

قال قتادة: وسمعته أيضًا يقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثانية فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد وقل يُسمع واشفع وسل تُعط. قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال: ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرج فأدخلهم الجنة.

قال قتادة: وسمعته يقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه. قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال: ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرج فأدخلهم الجنة.

قال قتادة: وقد سمعته يقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن، أي وجب عليه الخلود.

قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾، قال: وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ»[1].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾، رقم: ٧٠٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي (صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب ما جاء في الشفاعة، رقم: ٢٤٣٥)، وأبو داود (كتاب السنَّة، باب الشفاعة، رقم: ٤٧٣٩)، وسند الترمذي صحيح.

٣ -الشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها:

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلَّا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

قال: فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إني أذنبت ذنبًا أهبطت منه إلى الأرض ولكن ائتوا نوحا، فيأتون نوحا فيقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات، ثم قال رسول الله ﷺ: ما منها كذبة إلَّا ما حل بها عن دين الله، ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى، فيقول: إني قد قتلت نفسًا ولكن ائتوا عيسى، فيأتون عيسى فيقول: إني عبدت من دون الله، ولكن ائتوا محمدًا، قال: فيأتونني فأنطلق معهم، قال ابن جدعان: قال أنس فكأني انظر إلى رسول الله ﷺ. قال: فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها، فيقال: من هذا، فيقال: محمد، فيفتحون لي ويرحبون بي، فيقولون: مرحبًا. فأخر ساجدًا فيلهمني الله من الثناء والحمد، فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»[2].

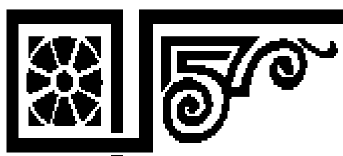
(١) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب ومن سور بني إسرائيل، رقم: ٣١٤٨)، وقال: حديث حسن، وحسنه الأرنؤوط في جامع الأصول (١٠/ ٤٨٧).

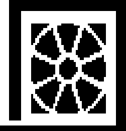
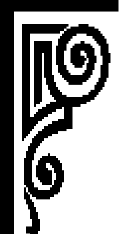
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب في قول النبي: أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»، رقم: ١٩٧).

وعن أبي هريرة وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تُزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون. يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلَّا خطيئة أبيكم آدم، لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله. قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلًا من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليمًا. فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه. فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك. فيأتون محمدًا ﷺ، فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالًا، فيمر أولكم كالبرق. قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلَّا زحفًا، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة لأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج ومكدوس في النار»، والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفًا[١].

***

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٩٥).



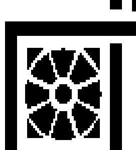



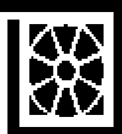
الفصل الخامس

الحســـاب

- المبحث الأول: إيتاء العباد كتبهم.
- المبحث الثاني: هل يسأل الكفار؟ ولماذا؟
- المبحث الثالث: الأمور التي يسأل عنها العبد.
- المبحث الرابع: القواعد التي يحاسب العباد على أساسها.
- المبحث الخامس: أنواع الحساب.
- المبحث السادس: إقامة الشهود على الناس.
- المبحث السابع: الاقتصاص للمظلوم من الظالم حتى البهائم.
- المبحث الثامن: إقامة الميزان ووزن الأعمال.







المبحث الأول

إيتاء العباد كُتُبَهم

لإقامة الحجة على الناس؛ وكّل الله مع كل إنسان ملائكة يكتبون عليه كل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]، والكتّاب هم الملائكة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ -١٢].

وإيتاء الكتب قبل بدأ الحساب؛ لذلك بدأنا به، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧، ٨].

فذكر إيتاءهم الكتب أولا ثم عقب بحرف الفاء -الذي يقتضي الترتيب والتعقيب- فذكر الحساب.

ويُخرج لكل إنسان كتاب مفتوح: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ [التكوير: ١٠]. فيقرأه -وإن كان أميًا-؛ لإقامة الحجة عليه.

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٣ -١٥].

وهذا الكتاب يأخذه المؤمن بيمينه من أمامه، وأما الكافر فيأخذه بشماله من خلف ظهره، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا



مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ١٩ -٣٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧ -١٢].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [الإسراء: ٧١]، والإمام هو الكتاب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾، قال: «يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستون ذراعًا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فيقول: أبشروا لكل رجل منكم مثل هذا، قال: وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستون ذراعًا على صورة آدم فيلبس تاجًا: فيراه أصحابه فيقولون: اللهم اخزه، فيقول: أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا»[1].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا، أظلمك كتبتي الحافظون، فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، رقم: ٣١٣٦)، وقال: حديث حسن غريب.



أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»(١).

وهذا الكتاب في غاية من الدقة فلا يترك صغيرًا ولا كبيرًا إلا كتبه، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

***

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، رقم: ٤٣٠٠)، الترمذي (كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، رقم: ٢٦٣٩)، وسند الترمذي ضعيف فيه ابن لهيعة ولكن إسناد ابن ماجه صحيح، صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٤٨٤)، رقم: (٣٤٦٩)، وفي صحيح الترمذي: (٢/ ٣٣٣)، رقم: (٢١٢٧).



المبحث الثاني

هل يسأل الكفار؟ ولماذا؟

ذكر الله تعالى في آيات كثيرة أن الكفار يسألون كقوله تعالى:

* ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحجر: ٩٢].
* وقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥﴾ [الصافات: ٢٤، ٢٥].
* وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١٢ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝١٣﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].
* وفي موضع آخر يقول أنهم لا يُسألون: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩﴾ [الرحمن: ٣٩].

فما الجواب على هذا الإشكال؟

ولا يقال أن بعضهم يسأل وبعضهم لا يسأل؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾.

وهذه المسألة اختلف العلماء فيها: هل يحاسب الكفار ويسألون؟ أم يأمر بهم إلى النار من غير سؤال، لأن أعمالهم باطلة حابطة فلا فائدة من السؤال والحساب؟ وإذا كانوا يحاسبون ويسألون فما فائدة حسابهم وسؤالهم؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم، فممن قال إنهم لا يحاسبون: أبو بكر عبد العزيز، وأبو الحسن التميمي، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم. وممن قال إنهم يحاسبون: أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد،

وأبو سليمان الدمشقي، وأبو طالب)(١).

والصحيح أن الكفار محاسبون مسؤولون كما أن أعمالهم توزن، وقد دلت على ذلك نصوص كثيرة:

* كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل: ٨٣، ٨٥].

* وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: ٦٢].

* وقوله: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [القصص: ٦٤ -٦٦].

* وقوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٣ -١٠٥].

ولا شك أن هذه النصوص في الكفار والمشركين، وهي صريحة في أنهم يُسألون ويحاسبون.

أما لماذا يحاسبون وتوزن أعمالهم مع أنها حابطة مردودة؟ فلأمور(٢):

(الأول: إقامة الحجة عليهم، وإظهار عدل الله فيهم، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، وهو صاحب العدل المطلق، ولذلك يسألهم ويحاسبهم، ويطلعهم

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٣٠٥).

(٢) انظر: القيامة الكبرى لعمر الأشقر، ص ١٩٧ وما بعدها بتصرف.



على سجلاتهم التي حوت أعمالهم، ويظهر الميزان عظم سيئاتهم وشناعة أفعالهم: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

يقول القرطبي: (والباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسأل الخلق في الدنيا والآخرة تقريرًا، لإقامة الحجة وإظهارًا للحكمة).

الثاني: أن الله يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم.

يقول شيخ الإسلام: (يراد بالحساب عرض أعمال الكفار عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات.

فإن أريد بالحساب المعنى الأول، فلا ريب أنهم محاسبون بهذا الاعتبار.

وإن أريد به المعنى الثاني فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر)[1].

وهذا التأنيب والتقريع والتوبيخ ظاهر من نصوص كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

وقوله: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٣٠٥).

وقوله: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

وقوله: ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

قال ابن كثير: (وأما الكفار فتوزن أعمالهم، وإن لم تكن لهم حسنات تنفعهم يقابل بها كفرهم، لإظهار شقائهم وفضيحتهم على رؤوس الخلائق).

الثالث: أن الكفار مكلفون بأصول الشريعة كما هم مكلفون بفروعها، فيسألون عما قصروا فيه من الحق، يقول القرطبي: (وفي القرآن ما يدل على أنهم مخاطبون بها -أي فروع الشريعة- مسؤولون عنها، محاسبون بها، مجزيون على الإخلال بها. يقول الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ فتوعدهم على منعهم الزكاة، وأخبر عن المجرمين أنهم يقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾.

فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان والبعث وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأنهم مسؤولون عنها، مجزيون بها).

الرابع: أن الكفار يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم، ويحلون في النار بمقدار هذه الذنوب، فالنار دركات بعضها تحت بعض، كما أن بالجنة درجات بعضها فوق بعض، وكلما كان المرء أشد كفرًا وضلالا كان أشد عذابا، وبعض الكفرة يكون في الدرك الأسفل، ومنهم المنافقون: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (عقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن كان له حسنات خففت عنه العذاب، كما أن أبا طالب



أخف عذابا من أبي لهب... فكان الحساب لبيان مراتب العذاب، لا لأجل دخولهم الجنة)[١].

وذكر القرطبي في وزن أعمال العباد وجهين:

(الأول: أنه يوضع في إحدى الكفتين كفره وسيئاته، ولا يجد الكافر حسنة توضع في الكفة الأخرى، فترجح كفة السيئات لكون كفة الحسنات فارغة.

والثاني: أن حسنات الكفار من صلة رحم، وصدقة، ومواساة للناس توضع في كفة الحسنات، ولكن السيئات ترجح بسبب كفره وشركه.

والوجه الأول هو الصحيح لأن الشرك يحبط العمل، ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾.

وفي الحديث: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه».

ولأنه قد صح أن الرسول ﷺ أخبر أن الكافر يطعم بحسنته في الدنيا فيوافي يوم القيامة وليس له حسنة، ففي صحيح مسلم، ومسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يعطى بها في الدنيا -وفي رواية: يثاب عليها الرزق في الدنيا- ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بها بحسنات ما عمل بها في الدنيا، فإذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها».

فإن قيل: قررتم فيما سبق أن الكفار يسألون ويجادلون ويتكلمون ويعتذرون، فكيف تفعل بالنصوص الدالة على خلاف ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾، وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾، وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ونحو ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٣٠٥).

من النصوص[١].

فنقول: ليس بين هذه النصوص وتلك تعارض، وقد وفق أهل العلم بينهما بوجوه عدة:

الأول: أن الكفار لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما سؤال تقريع وتوبيخ، لم عملتم كذا وكذا؟ وكذا يقال في تكليمهم واعتذارهم، أي لا يكلمهم الله بما يحبونه، بل يكلمهم كلام تقريع وتوبيخ.

الثاني: أنهم لا يسألون سؤال استفهام، لأنه تعالى عالم بكل أعمالهم، وإنما يسألون سؤال تقرير، فيقال لهم: لم فعلتم كذا؟ قال الحسن وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم، لأن الله حفظها عليهم، وكتبتها عليهم الملائكة.

فهم لا يسألون سؤال استخبار واستعلام، بل سؤال تقرير وإلزام.

الثالث: أنهم يسألون في يوم القيامة في موطن دون موطن، قال القرطبي: (القيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك).

وقال السفاريني: (وقيل يسألون في موطن دون موطن، رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، فللناس يوم القيامة حالات، والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات، ومن ثم قال الإمام أحمد في أجوبته القرآنية: أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون، ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون، فذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا ...﴾ الآية، فإذا أذن لهم في الكلام تكلموا، واختصموا، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾ عند الحساب وإعطاء

(١) الفرق بين هذا الإشكال، والإشكال السابق الذي ورد ص ٣٣٠: أن الأول في سبب السؤال (لماذا يسألون ويحاسبون). والثاني في الجمع بين الآيات التي تثبت الحساب والتي تنفيه.



المظالم، ثم يقال لهم بعد ذلك: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾ يعني في الدنيا، فإن العذاب مع هذا القول كائن).

الرابع: قال القرطبي: (إن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾، سؤال التعريف، لتمييز المؤمنين من الكافرين، أي أن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحدا يوم القيامة أن يقال: ما دينك؟ وما كنت تصنع في الدنيا؟ حتى يتبين لهم بإخباره عن نفسه أنه كان مؤمنا أو كافرا، لكن المؤمنين يكونون ناضري الوجوه منشرحي الصدر، ويكون المشركون سود الوجوه زرقا مكروبين، فهم إذا كلفوا سوق المجرمين إلى النار، وتميزهم في الموقف، كفتهم مناظرهم عن تعريف أديانهم...)[1].

إشكال: كذب الكفار بالجواب: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام: ٢٣، ٢٤].

يشكل مع قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤٢].

وقوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠]؟

الجواب: قد أجاب على هذا الإشكال حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه: «فعن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي. قال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾، [وقال]: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

---

(١) القيامة الكبرى لعمر الأشقر، ص ١٩٧ -٢٠٢، بتصرف.

﴿بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾!!

[وقال]: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿دَحَاهَا ﴿٣٠﴾﴾ فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى [قوله]: ﴿طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾، فذكر في هذه خلق الأرض قبل [خلق] السماء.

وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾، ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ فكأنه كان ثم مضى؟!!

فقال ابن عباس: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، [وقوله]: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فقال المشركون: تعالوا نقول: (لم نكن مشركين)، فختم على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عُرف أن الله لا يكتم حديثًا، وعنده ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾.

وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿دَحَاهَا﴾، وقوله: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلقت السموات في يومين.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ سمَّى نفسه ذلك، وذلك قوله، أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئًا إلَّا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلا

من عند الله»(١).

وأجاب على الإشكال أيضا حديث أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟» قالوا: لا. قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟»، قالوا: لا، قال: «فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبد فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ، فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني، فيقول: أي فُل، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع، فيقول ها هنا إذًا، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك. ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي، فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه»(٢). فهو وإن كذب إلا أن أعضاءه تفضحه.

***

(١) أخرجه البخاري معلقا (كتاب تفسير القرآن، باب سورة حم السجدة (فصلت)، وقال الحافظ ابن حجر كما في الفتح (٨/ ٤١٨): وصله الطبري وابن أبي حاتم بإسناد على شرط البخاري في الصحة.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٦٨).

المبحث الثالث

الأمور التي يسأل عنها العبد

العبد يسأل يوم القيامة عن كل شيء فعله، كما قال تعالى: ﴿... وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النحل: ٩٣]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]. أي عما يفعلون، و(ما) في الآيات السابقة بمعنى الذي والاسم الموصول من ألفاظ العموم.

ولكن هناك بعض الأعمال نص الله تعالى على أنه يسأل عنها ليزداد الخوف منها، وهي كالتالي:

١ -الدين ونصرته والقرآن والعمل به: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤]. ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الصافات: ٢٤، ٢٥].

٢ -الكفر والشرك: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: ٥٦]، ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: ٢٧]، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الشعراء: ٩٢، ٩٣].

٣ -كذبهم في حق الملائكة: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

٤ -النعيم الذي أنعم عليه في الدنيا: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ٨]. عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعني العبد من النعيم أن يقال له: ألم نصح لك جسمك ونرويك من



الماء البارد»[(١)].

٥ -العهود والمواثيق: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ۝٣٤﴾ [الإسراء: ٣٤]، ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥﴾ [الأحزاب: ١٥]، أي مسؤول عنه.

٦ -إضلال المضلين للناس: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝١٣﴾ [العنكبوت: ١٣].

٧ -العلم والسمع والبصر والفؤاد: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال قتادة: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله.

ومضمون ما ذكروه أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم بالظن الذي هو التوهم والخيال، كما قال تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾، وفي الحديث: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»، وفي سنن أبي داود: «بئس مطية الرجل زعموا»، وفي الحديث الآخر: «إن أفرى الفرى أن يري الرجل عينيه ما لم تريا»، وفي الصحيح: «من تحلم حلما كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بفاعل»، وقوله: ﴿كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾، أي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾، أي سيسأل العبد عنها يوم القيامة وتسأل عنه عما عمل فيها)[(٢)].

وأما قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ألهاكم التكاثر، رقم: ٣٣٥٨) وصححه محقق مشكاة المصابيح (٢/ ٦٨٦)، ورقمه: ٥١٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩).



﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤]، فقد نسخت كما ثبت في السنَّة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق؛ الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: (سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)، بل قولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾، فقالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾.

فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾، قال: نعم، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾، قال: نعم[1].

***

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه لا يكلف إلا ما يطاق، رقم: ١٢٥).



المبحث الرابع
القواعد التي يحاسب العباد على أساسها

هناك الكثير من القواعد التي يحاسب الله تعالى عليها العباد، وهذا من كمال عدل الله تعالى فضله، وقد ذكر الله تعالى هذه القواعد مفرقة في كتابه، وها هي مجموعة[١]:

١ -عدل الله التام:

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن رجلا قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم؟ قال: «يُحْسَبُ ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتُص لهم منك الفضل».

قال: فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾»، فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء شيئا خيرا من مفارقتهم، أشهدكم أنهم أحرار كلهم[٢].

---

(١) انظر: القيامة الكبرى للأشقر، ص ٢٠٣، بتصرف وزيادة وبسط.

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الأنبياء، رقم: ٣١٦٥)، بسند حسنه الأرنؤوط في جامع الأصول (١٠/ ٤٥٧).

وقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس: ٥٤]. وقوله تعالى: ﴿شَيْـًٔا﴾ نكره في سياق النفي فتنفي العموم، فلا يوجد هناك أي نوع من ظلم، فالله تعالى لا يظلم أحدًا شيئًا وإن كان كافرًا.

ولا يشكل على هذا قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد: ١٨]، وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ٢١]. فإن المقصود بالسوء هو الشدة والعسر في التدقيق، وأنهم يحاسبونه على الصغير والكبير والجليل والحقير لا أنهم يظلمون.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: (أي لا يقبل لهم حسنة ولا يتجاوز لهم عن سيئة. وقال فرقد السبخي: قال لي إبراهيم النخعي: يا فرقد، أتدري ما سوء الحساب؟ قلت: لا، قال: أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يفقد منه شيء)[1].

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١]، والشاهد قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، وهذه الآية وردت في كتاب الله في أحد عشر موضعًا.

ويدل عليه أيضا قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وقوله جل جلاله: ﴿...وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤].

وقوله: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٢٠١).

مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩].

وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [النحل: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يس: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم: ٣٩-٤١]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

٢- لا يؤاخذ أحد بجريرة غيره:

فلا يتحمل أحد ذنب أحد، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم: ٣٦، ٤١].

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ... ﴾ [فاطر: ١٨].

وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل: ٢٤، ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

فهؤلاء في الحقيقة لم يؤاخذوا بذنوب غيرهم بل بذنوبهم وفعلهم، فإن جزاء من دعى الناس إلى ضلالة أن يأخذ إثم من دعاه، لأنه لولا دعوته لهم لما ضلوا هذا الضلال، فإضلاله لهم من فعله وكسبه فيعاقب عليه.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»(١).

٣ -اطلاع العباد على ما قدموه من أعمال:

قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾** ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وهذا إنما يكون بإعطائهم الكتب التي سجلت عليهم.

قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ

(١) أخرجه مسلم (كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعى إلى هدى وضلال، رقم: ٢٦٧٤).



هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

٤ -مضاعفة الحسنات دون السيئات:

وهذا من فضل الله تعالى وكمال عدله، فالحسنة يضاعفها إلى عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة فضلا من الله وتكرما، وأما السيئة فلا تكتب إلا بمثلها عدلا منه سبحانه.

قال تعالى: ﴿**مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ** ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عَزَّ وَجَلَّ عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة»(١).

٥ -تبديل السيئات حسنات:

وتبلغ رحمة الله وفضله على المؤمنين أن يبدل الله سيئاتهم حسنات، كما قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠].

عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة،

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة وسيئة، رقم: ٦١٢٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة تكتب، رقم: ١٣١).



وآخر أهل النار خروجا من النار، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»[1].

٦ -إقامة الشهود على الناس:

وسوف يأتي تفصيله في مبحث مستقل إن شاء الله.

٧ - إقامة الميزان ووزن الأعمال:

وسوف يأتي تفصيل أحكام الميزان.

❋❋❋

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٩٠).



المبحث الخامس
أنواع الحساب

الناس يختلفون في الأعمال، لذلك اختلفوا في الحساب؛ والجزاء من جنس العمل، فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا، ومنهم من يحاسب حسابا عسيرًا، وكل شيء عنده بمقدار ولا يظلم ربك أحدا.

والحساب له أربعة أنواع:

١ - قوم لا يحاسبون بل يدخلون الجنة بغير حساب ولا مناقشة:

وذلك يكون بعد شفاعة النبي ﷺ في أهل الموقف ليبدأ القضاء والحساب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ يوما بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بما ذاك، يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم.

فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته؛ نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح...» الحديث، وفيه: «فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا

ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يُقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تُشفع. فأرفع رأسي، فأقول: يا رب أمتي أمتي... فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»(١).

وعن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ قلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت، قال: فماذا صنعت؟ فقلت: استرقيت، قال: فما حملك على ذلك، قلت: حديث حدثناه الشعبي، فقال: وما حدثكم الشعبي؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن حصيب الأسلمي أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة، فقال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «عُرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي شواد عظيم، فظننت أنهم أمتي: فقيل لي هذا موسى ﷺ وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»،

ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذي تخوضون فيه؟» فأخبروه، فقال: «هم

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾، رقم: ٤٤٣٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٩٤).



الذين لا سترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»، فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم»، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة»(١).

ويحتمل الدلالة على هذا المعنى من القرآن قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: ٤٠]، يحتمل أن الباء في قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تتعلق بـ ﴿يُرْزَقُونَ﴾، فيكون المعنى أنهم يرزقون في الجنة رزقا كثيرا من غير تقدير ولا عد ولا حساب، بل كل ما يريدون يأخذونه.

ويحتمل أن تتعلق الباء بـ ﴿يَدْخُلُونَ﴾، فيكون المعنى أنهم يدخلون الجنة بغير حساب، وجملة ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا﴾ معترضة، وعلى هذا التقدير يكون في الآية شاهد ويدل على هذا المعنى الحديث السابق.

وأما على التقدير الأول فلا شاهد فيها، ولم أجد من نبه عليه.

٢ -قوم من المؤمنين يحاسبون حسابا يسيرا مستورا وهو ما يسمى بالعرض:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: ٧-٩].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من نوقش الحساب عُذب»، قالت: قلت: أليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾؟ قال: «ذلك العرض»(٢).

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، رقم: ٦١٧٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، رقم: ٢٢٠).

(٢) متفق عليه، البخاري (كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، رقم: ٦١٧١)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، رقم: ٢٨٧٦).

وكان من دعاء النبي ﷺ كما أخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قال: سمعت النبي ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حسابا يسيرا»، فلما انصرف قلت: يا نبي الله ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه، إنه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك، وكل ما يصيب المؤمن يكفر الله عز وجل به عنه حتى الشوكة تشوكه»[(١)].

وصفة هذا العرض جاءت مفسرة في أحاديث منها حديث صفوان بن محرز قال: بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أو قال: يا ابن عمر، سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف، مرتين، فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار فينادي على رؤوس الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾»[(٢)].

٣ - عصاة الموحدين

وهؤلاء. قد يطول حسابهم وقد يقصر بحسب كثرة الذنوب وقلتها، وقد جاء في السنة أنواع كثيرة منهم، وقد ذكر الله تعالى في كتابه من هذا النوع المرائين:

فعن عقبة بن مسلم أن شُفياً الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (رقم: ٢٣٦٩٥)، وقال الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٢٩). إسناده صحيح.

(٢) متفق عليه، (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾، رقم: ٤٤٠٨)، ومسلم (التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم: ٢٧٦٨).



برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس، فلما سكت وخلا قلت له: أنشدك بحق وبحق لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ وعلمته؟

فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ عقلته وعلمته، ثم نشغ أبو هريرة نشغة فمكث قليلاً ثم أفاق فقال: لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ثم نشغ أبو هربرة نشغة أخرى ثم أفاق فمسح وجهه فقال: لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى ثم أفاق ومسح وجهه، فقال: أفعل لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة ثم مال خاراً على وجهه فأسندته عليّ طويلاً ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضى بينهم وكل أمة جاثية، فأولى من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال إن فلاناً قارئ، فقد قيل ذاك.

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد، فقد قيل ذاك.



ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله فيقول الله له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله تعالى له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذاك.

ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة».

وقال الوليد أبو عثمان: فأخبرني عقبة بن مسلم أن شفياً هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا، قال أبو عثمان: وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيافاً لمعاوية فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبى هريرة فقال معاوية: قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدًا حتى ظننا أنه هالك وقلنا: قد جاءنا هذا الرجل بشر، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال: صدق الله ورسوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.[1]

٤- من يحاسب حساباً عسيراً:

وهذا الحساب شديد لدرجة أنه بحد ذاته عذاب:

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «من نوقش الحساب عذب» قالت: قلت: أليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾؟ قال: «ذلك العرض»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب الزهد باب ما جاء في الرياء والسمعة، رقم: ٢٣٨٢)، وقال: حسن غريب، وأصل الحديث مختصراً في مسلم: (كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، رقم ١٩٠٥)، والآية من سورة هود (١٥، ١٦).

(٢) متفق عليه، البخاري (كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، رقم: ٦١٧١)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، رقم: ٢٨٧٦).



وقد وصف الله تعالى يوم الحساب بأنه يوم عسير على الكافرين فقال: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٦].

بل قالوا هذا عن أنفسهم: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [القمر: ٨]. وقال تعالى واصفاً ذلك الحساب: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ ﴾ (الطلاق: ٨).

وإنما كان هذا الحساب شديدًا لأنه لا يدع شاردة ولا وأردة إلاَّ أتى بها ﴿... أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [المجادلة: ٦].

فقد ذكر الله تعالى عنهم أنهم يقولون عندما يرون دقة هذا الحساب: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩]

ولأنه أمام أهل المحشر، ففيه من هتك الأستار وكشف العوار والفضيحة على رؤوس الخلائق والتوبيخ أمام الأولين والآخرين ما الله به عليم؛ وهذا فيه من العذاب النفسي ما قد يفوق بعض أنواع العذاب البدني.

وعن صفوان بن محرز قال؟ قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول: في النجوى؟ فال: سمعته يقول: «يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ حتى يضع عليه كتفه فيقرره بذنوبه فيقول: هل تعرف فيقول أي رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله»، وفي لفظ البخاري: «وأما الكفار والمنافقون فيقولى الأشهاد:



﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾[1].

وكون هذا الحساب شديدًا وعسيرًا ودقيقاً ليس معناه أن الكافر فيه يُظلم، بل إن الله هو أعدل العادلين ولا يظلم عنده أحد، ولا يشكل على هذا وصف الحساب بالسوء كما قدمنا.

***

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾، رقم: ٤٤٠٨)، ومسلم (التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم: ٢٧٦٨).



المبحث السادس

إقامة الشهود على الناس

الله تعالى مطلع على عباده وهو أعلم بأسرارهم وما يخفى من أعمالهم وما يكون من نجوى أحد إلا هو معهم، وهو سبحانه أقرب إلينا من حبل الوريد، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب، ويعلم دبيب النملة السوداء على الصخراء الصماء في الليلة الظلماء.

فهو سبحانه لا يحتاج إلى من يخبره عن عباده أو يشهد عليهم بما فعلوه، إلا أنه سبحانه من كمال عدله وإعذاراً للعالمين أقام عليهم الشهود، ونوع تلك الشهود وكثرها حتى تنقطع الحجج وتخرس الأفواه وتقر الجموع بعدل الله المطلق.

وهؤلاء الشهود كثر كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩].

وبالتتبع تبين لي أنهم ثمانية، وهم كالتالي:

١ – شهود الملائكه:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: ٢١].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾، أي ملك بسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله. هذا هو الظاهر من الآية الكريمة. وهو اختيار ابن جرير).[(١)]

وقال بعضهم أن الشهيد هو الأعمال، وقيل: بل هو الإنسان نفسه، كما نقل هذا ابن كثير في الموضع السابق.

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ٢٦﴾ [ق: ٢٣-٢٦].

(يقول تعالى مخبرًا عن الملك الموكل بعمل ابن آدم أنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾، أي معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان. وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق يقول: هذا ابن آدم الذي وكلتني به قد أحضرته، وقد اختار ابن جرير أن يعم السائق والشهيد وله اتجاه وقوة فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليقة بالعدل، فيقول: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤﴾.

وقد أختلف النحاة في قوله: (ألقيا) فقال بعضهم: هي لغة لبعض العرب يخاطبون .المفرد بالتثنية كما روي عن الحجاج أنه كمان يقول: يا حرسي اضربا عنقه، ومما أنشد ابن جرير على هذا قول الشاعر:

فإن تزجراني يا ابن عفاف أنزجر وإن تتركانى أحـم عرضـاً ممنعا

وقيل: بل هي نون التأكيد سهلت إلى الألف، وهذا بعيد لأن هذا إنما يكون في الوقف، والظاهر أنها مخاطبة السائق والشهيد فالسائق أحضره إلى عرضة الحساب فلما أدى الشهيد ما عليه أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم وبئس

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٢٥).



المصير ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾، أي كثير الكفر والتكذيب بالحق، عنيد معارض للحق معارض له بالباطل مع علمه بذلك. اهـ.[(١)].

إذن فهذا يرجح أن الشهيد هو أحد الملائكة، لأن الذين يؤمرون بأخذ الكافر إلى النار إنما هم الملائكة وهذا الشهيد بعد أن شهد على الكفار أمر بأخذه إلى النار فدل أنه ملك. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

فهؤلاء الملائكة الكرام الكاتبون هم الذين يشهدون ويدل عليه الحديث التالي: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك، فقال: «هل تدرون مم أضحك؟» قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم، قال: يقول: بلى، قال فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلاَّ شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال. فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقى: قال فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعدًا لكنّ وسحقاً فعنكنَّ كنت أُناضل»[(٢)].

٢- شهود الرسل عليهم السلام:

فيشهد كل رسول على أمته وأنه قد بلغهم وبين لهم وأزال عنهم الشبه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٧].

يعني إذا جاء الرسول يوم القيامة قضي بينهم، وسماه الله تعالى شهيدًا كما في

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٦٩).



قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [النحل: ٨٤]، ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [القصص: ٧٥]، ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (النحل: ٨٩).

أي نبعث لهم في الدنيا -وهو الرسول- من يكون شهيداً عليهم يوم القيامة.

- إشكال: ألا يحتمل أن المعنى: نبعث عليهم شهيدًا يوم القيامة لا الدنيا؟

جواب: لا يحتمل، لقوله: ﴿نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ﴾ ولم يقل: (نبعث من كل أمة).

٣- وتشهد أمة محمد ﷺ على الخلق:

بعد أن تشهد الرسل على أقوامهم، لا تجد هذه الأمم مهرباً إلا بتكذيب رسلها، فيقومون وينكرون ما جاءت به الرسل ويكذبونهم -كما كانوا يكذبونهم في الدنيا- ويقولون: ما جاءنا من نبي، فتقوم أمة محمد -الأمة الوسط- فتشهد الرسل:

قال تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الحج: ٧٨).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا،



ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ والوسط العدل»[1].

وفى رواية أبن ماجه عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك وأقل، فيقال له: هل بلغت قومك؟، فيقول: نعم، فيدعى قومه؟ فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتدعى أمة محمد، فيقال: هل بلغ هذا، فيقولون: نعم، فيقول: وما علمكم بذلك، فيقولون أخبرنا نبيناً بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، قال: فذلكم قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2].

والسبب في ذكري رواية ابن ماجه بعد ذكر رواية البخاري أن رواية البخاري لم يذكر فيها إلاّ نوح، بينما رواية ابن ماجه عممت هذا على جميع الرسل والأنبياء، فحسن ذكرها بعد ذلك.

٤- شهود نبينا محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ [الحج: ٧٨].

تدل هذه الآية أن رسولنا ﷺ يشهد على أمته يوم القيامة وهذا ظاهر، ويدل عليه أيضا عموم النصوص السابقة التي تدل على أن كل رسول يشهد على أمته ومنهم نبينا ﷺ.

ولكن هل يشهد على الأمم السابقة مع شهادته على أمته؟

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ رقم: ٣١٦١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد، رقم: ٤٢٨٤)، وأصله في الصحيح.

لعل مما يقوي هذا الرأي قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩].

فاسم الإشارة ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ يحتمل عوده على المعهود الذهني وهم القوم الذين بعث إليهم، ويحتمل عوده على المعهود الذكري الذي سبق ذكره قبل قليل وهم الأمم السابقة حيث قال: ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾.

ويؤيد هذا أن أمة محمد ﷺ تشهد على الأمم السابقة، فنبينا أولى، لا سيما وأنها إنما شهدت بناء على ما أخذت من رسولها عليه الصلاة والسلام.

فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك وأقل، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فتدعى أمة محمد، فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، قال: فذلكم قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾»[1].

وقوله في الحديث: «فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته» يدل عليه صراحة.

٥- وتشهد الأرض:

بعد أن يشهد جميع من سبق يفاجأ الكافر أنه ليس فقط الأحياء يشهدون عليه بل حتى الجمادات التي لم يكن يخطر بباله أن تشهد.

(١) تقدم تخريجه ص ٣٣٩.



فمن جمله من يشهد عليه من الجمادات الأرض التي فعل المعصية عليها: قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ (الزلزلة: ٤، ٥).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾، قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها»[1].

٦- شهود الجوارح - الألسن والأيدي والأرجل والجلود والأسماع والأبصار:

هذه الجوارح الخرساء التي لا تعقل ولا تدرك ينطقها الله تعالى بقدرته فتشهد على صاحبها بما جنت يداه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: ١٩-٢٢].

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اجتمع عند البيت ثلاثة نفر، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ

(١) أخرجه أحمد (٨٦٥٠) والترمذي في موضعين، (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في العرض، رقم: ٢٤٢٩، وفي كتاب تفسير القرآن، باب سورة إذا زلزلت، رقم: ٣٣٥٣) قال: في كتاب القيامة: حسن غريب، وقال في كتاب تفسير القرآن: حسن صحيح غريب.

أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ...﴾ الآية[١].

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضحك، فقال: «هل تدرون مم أضحك؟»، قال: قلنا: الله ورسوله أعلمن قال: «من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى. قال فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه، انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلي بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعدًا لكنَّ وسحقا فعنكنَّ كنتُ أناضل»[٢]

٧- أعظم شهيد وأجل شهيد:

بعد أن تشهد الأحياء والجمادات وتنتهي هذه الشهادات، تأتي الشهادة قاصمة الظهر التي لا يستطاع لها تكذيب ولا هروب، وذلك عندما يشهد أجل شهيد وأعظم شهيد وهو الله العزيز الحميد جل جلاله، وتقدست أسماؤه.

قال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت: ٥٣، ٥٤].

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾، رقم ٤٥٣٨)، ومسلم (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم: ٢٧٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٦٩).



وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

وقال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ [الأحزاب: ٥٥].

٨- شهودهم على أنفسهم:

إذا رأى العبد الحق وتبين له أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية ورأى كل ما عمله مكتوبا في صحيفته وقامت عليه الشهود ورأي أنه لا برهان له ولا حجة، أقر واعترف بما جنى واقترف، قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ (الأنعام: ١٣٠).

***

المبحث السابع
الاقتصاص من الظالم للمظلوم حتى البهائم

في ذلك اليوم يقتص للناس بعضهم من بعض فالحساب شامل لظلم العبد نفسه وظلمه لغيره من الناس، وما أعظم خيبة الذي وقع في ظلم الناس، لأن القصاص يومئذ لا يكون بالمال ولا السجن ولا غير ذلك من العقوبات الدنيوية، بل يكون بالحسنات والسيئات، قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه: ١١١]. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه قدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»(٢).

ومن كمال عدل الله تعالى في ذلك اليوم أنه يقتص للبهائم بعضها من بعض.

أخرج الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الخلائق: الإنس والجن والدواب والوحوش، فإذا كان ذلك اليوم جعل القصاص بين الدواب حتى تقتص الشاة

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغضب، باب من كانت له مظلمة عند رجل فحللها له، رقم: ٢٣١٧).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم: ٢٥٨١).



الجماء من القرناء بنطحتها فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب، قال لها: كوني تراباً. فتكون تراباً، فيراها الكافر فيقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠﴾ [النبأ: ٤٠][(١)].

***

(١) أخرجه الحاكم بإسناد صحيح، (انظر: تحقيق مختصر المستدرك لابن الملقن، تحقيق اللحيدان، (٧/ ٣٥١٦).

المبحث الثامن
إقامة الميزان ووزن الأعمال

المطلب الأول
تعريف الميزان

لغة: (الواو والزاي والنون بناء يدل على تعديل واستقامة، والزنة قدر وزن الشيء، وهذا يوازن ذلك أي هو محاذية، ووزين الرأي أي معتدله، وهو راجح الوزن إذا نسبوه إلى رجاحة الرأي وشد العقل)[١].

والميزان: أصله مِوْزَان فقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها فأصبحت ميزان. (والميزان المقدار، وقام ميزان النهار أي النصف، والميزان العدل)[٢]، (والميزان ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً)[٣].

شرعاً: (وهو ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد)[٤].

وهو ميزان حقيقي توزن به الأعمال وله لسان وكفتان لا يعلم قدره إلا الله[٥].

وهو ميزان دقيق لا يزيد ولا ينقص ﴿**وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧**﴾ [الأنبياء: ٤٧].

***

(١) معجم مقاييس اللغة (٦/ ١٠٧) بتصرف.
(٢) لسان العرب (١٣/ ٤٤٨) بتصرف.
(٣) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي مع شرح الشيخ ابن عثيمين، ص ١٢٠.
(٤) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي مع شرح الشيخ ابن عثيمين، ص ١٢٠.
(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٦٨٤)، القيامة الكبرى للأشقر، ص ٢٤٧.



المطلب الثاني
مذهب أهل السنة والجماعة في الميزان

قال تعالى: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

(قال أبو إسحق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، أن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة، لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين.

وقال ابن فورك: أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها، وقال وقد روى بعض المتكلمين عن ابن عباس أن الله تعالى يقلب الأعراض أجساما فيزنها انتهى.

وقد ذهب بعض السلف إلى أن الميزان بمعنى العدل والقضاء، فأسند الطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ قال: إنما هو مثل، كما يجوز وزن الأعمال كذلك يجوز الحق، ومن طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال: الموازين العدل، والراجح ما ذهب إليه الجمهور[١].

وأخرج أبو القاسم اللالكائي في السنة عن سلمان قال: «يوضع الميزان وله

---

(١) الترجيح للحافظ ابن حجر.



كفتان لو وضع في إحداهما السماوات والأرض ومن فيهن لوسعته. ومن طريق عبد الملك بن أبي سليمان: ذكر الميزان عند الحسن، فقال: له لسان وكفتان»[١].

وهذا الأثر روي مرفوعا بسند صحيح كما سيأتي قريبا.

وقال الحافظ ابن حجر: (حكي حنبل بن إسحاق في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال ردًا على من أنكر الميزان ما معناه، قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ وذكر النبي ﷺ الميزان يوم القيامة فمن رد على النبي ﷺ فقد رد على الله عَزَّ وَجَلَّ).[٢]

***

(١) فتح الباري (١٣/ ٥٤٨)، وانظر: البدور السافرة للسيوطي، ص ٣٣٠، وشرح الطحاوية (٢/ ٦١٠) ومعارج القبول لحافظ حكمي (٢/ ٢٢٨)، ولوامع الأنوار الهيئة (٢/ ١٨٤) والقيامة الكبرى للأشقر، ص ٢٥١، والتذكرة للقرطبي (٢/ ١٢)، حيث إن جميعهم على هذا الرأي.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٥٤٨).



المطلب الثالث

كم عدد الموازين؟

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال الله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

(واختلف في ذكره هنا بلفظ الجمع هل يراد أن لكل شخص ميزانا أو لكل عمل ميزان فيكون الجمع حقيقة؟ أو ليس هناك إلا ميزان واحد والجمع باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص؟ ويدل على تعدد الأعمال قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ويحتمل أن يكون الجمع للتفخيم كما في قوله عالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾، مع أنه لم يرسل إليهم إلا واحد. والذي يترجح أنه ميزان واحد ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا) [(١)]، والميزان عظيم جدًا كما يدل عليه الحديث الذي أخرج الحاكم عن سلمان عن النبي ﷺ قال: «يوضع الميزان يوم القيامة. فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن هذا؟ فيقول: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[(٢)].

ورجحه ابن عطية والسفاريني حيث قال – عندما ذكر القول بتعدد الموازين: (أورد هذا ابن عطية، وقال: الناس على خلافه، وإما لكل واحد وزن مختص به

(١) فتح الباري (١٣/ ٥٤٨).

(٢) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٢/ ٦٥٦).



والميزان واحد. وقال بعضهم: إنما جمع الموازين فى الآية الكريمة لكثرة من توزن أعمالهم. وهو حسن)[1].

❊❊❊

(١) لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٨٦).



المطلب الرابع

ما الذي يوزن؟

اختلف العلماء في الذي يوضع في الميزان إلى أربعة أقوال(١):

١ - العامل:

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥]. والضمير في (لهم) يعود على الكفار، فدل أنهم هم الموزونون.

واستدلوا أيضاً بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال اقرءوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾»(٢).

ولكن الذي يظهر أن هذه الآية ليست صريحة في وضع العامل في الميزان بل هي تنفي أن يوضع له ميزان أصلاً، والظاهر أن المقصود بالآية عدم المبالاة بهم وعدم تقديرهم مع الذل الذي يحصل لهم، فهم لا يؤبه بهم ولا يحسب لهم أي حساب ولا ميزان، وهو أسلوب دارج في كل الناس، يقال: فلان لا يقيم وزنا لفلان، أي لا يوفره ولا يأبه به، ثم وجدت أن ابن منظور في لسان العرب فسر هذه الآية بقريب مما تقدم حيث قال: «وقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا

---

(١) انظر: البدور السافرة للسيوطي، ص ٣٣٠، وشرح الطحاوية (٢/ ٦١٠)، وفتح الباري (١٣/ ٥٤٨) ومعارج القبول لحافظ حكمي (٢/ ٢٢٨)، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٤) والقيامة الكبرى للأشقر، ص ٢٥١، والتذكرة للقرطبي (٢/ ١٢) وكتب التفسير.

(٢) متفق عليه البخاري (كتاب التفسير، باب قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ...﴾، رقم ٤٤٥٢)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم: ٢٧٨٥).



﴿١٠٥﴾، قال أبو العباس: قال ابن الأعرابي: العرب تقول: ما لفلان عندي وزن، أي قدر، لخسته)[١].

ولعل الذي ينهض لهم الاستدلال به هو الحديث التالي:

عن زر بن حبيش عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يجتني سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»[٢] حيث نسب الثقل لقدميه.

٢- صحائف الأعمال:

واستدلوا بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: اتنكر من هذا شيئاً، أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر، فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة بها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيقول: احضر وزنك، فيقول. يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم، فال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء»[٣].

---

(١) لسان العرب (١٢/ ٤٤٧).

(٢) انفرد بإخراجه الإمام أحمد (٣٩٨١) وسنده حسن.

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله الا الله، رقم: ٢٦٣٩)، واللفظ له، وابن ماجه (كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، رقم: ٤٣٠٠)، وسنده صحيح.



ورجحه ابن عبد البر وابن عطية والسيوطي والقرطبي والطيبي والشيخ مرعي والسفاريني، وقال: (وذهب إليه جمهور المفسرين)[١].

٣- الأعمال :

إن التي توزن هي الأعمال:

قال الحافظ ابن حجر: (قال الطيبي: قيل: إنما توزن الصحف، وأما الأعمال فإنها اعراض فلا توصف بثقل ولا خفة، والحق عند أهل السنة أن أعمال حينئذ تجسد أو تجعل في أجسام فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة وأعمال المسيئين في صورة قبيحة ثم توزن. ورجح القرطبي أن الذي يوزن الصحائف التى تكتب فيها الأعمال ونقل عن ابن عمر، قال: توزن صحائف الأعمال، قال: فإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيرتفع الإشكال، ويقويه حديث البطاقة الذي أخرجه الترمذي وحسنه الحاكم وصححه وفيه: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة فى كفة، انتهى.

والصحيح أن الأعمال هي التي توزن، وقد أخرج أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان عن أبى الدرداء عن النبي ﷺ قال: «ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من خلق حسن»، وفي حديث جابر رفعه: «توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار، قيل: فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: أولئك أصحاب الأعراف»، أخرجه خيثمة في فوائده، وعند ابن المبارك في الزهد عن ابن مسعود نحوه موقوفا. اهـ)[٢].

(١) العقيدة السفارينية (٢/ ١٨٧)، وقد ذكر فيه الأسماء السابقة.
(٢) فتح الباري (١٣/ ٥٤٨).



ويدل عليه أيضاً حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»(١).

وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس بغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال النبي ﷺ: «من احتبس فرسا في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقا بوعده فإن شبعه وربه وبوله في ميزانه يوم القيامة»(٣)

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقي رسول الله ﷺ أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «يا أبا ذر، ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر وأثقل في ا لميزان من غيرهما؟» قال: بلى يا رسول الله قال: عليك بحسن الخلق وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلها»(٤).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ أنه قال: «خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما رجل مسلم إلا دخل الجنة، هما يسير ومن يعمل بهما قليل، تسبح الله عشراً وتحمد الله عشرا وتكبر الله عشراً في دبر كل صلاة، فذلك مائة

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، رقم: ٦٠٤٣)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: ٢٦٩٤).

(٢) أخرجه مسلم _كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم: ٢٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرسا في سبيل الله، رقم: ٢٦٩٨).

(٤) انظر: البدور السافرة للسيوطي، ص ٣٢٣، وعزاه للبزار والطبراني وأبي يعلي وابن أبي الدنيا والبيهقي، وقال السيوطي: حسن، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات.

وخمسون باللسان وألف وخمس مائة في الميزان وتسبح ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين، وتكبر أربعاً وثلاثين، -عطاء لا يدري أيتهن أربع وثلاثون- إذا أخذ مضجعه فذلك مائة باللسان وألف في الميزان فأيكم يعمل في اليوم ألفين وخمس مائة سيئة؟ قالوا: يا رسول الله كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل؟ قال: «يأتي أحدكم الشيطان إذا فرغ من صلاته فيذكره حاجة كذا وكذا فيقوم ولا يقولها، فإذا اضطجع يأتيه الشيطان في نومه قبل أن يقولها» فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدهن في يده[(١)].

وعن أبي سلام رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: «بخ بخ، خمس ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والداه، وقال: بخ بخ لخمس: من لقي الله مستيقنا بهن دخل الجنة: يؤمن بالله واليوم الآخر، وبالجنة والنار، والبعث بعد الموت، والحساب»[(٢)]. والأحاديث في هذا المعنى مستفيضة، ورجحة الحافظ ابن حجر كما تقدم.

٤- الجميع:

يذهب أصحاب هذا الرأي إلى القول بأن كل من العمل والعامل وصحيفة عمله؛ كل هؤلاء يوزنون، مستدلين بحديث فرد، وهو ما أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة فيوضع ما أحصى عليه فتمايل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار، قال: فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول: لا تعجلوا لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات، باب ما جاء في التسبيح والتكبير والتحميد عند القيام، رقم ٣٤٠٨)، وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٣٣٥) وسنده صحيح.

الرجل في كفة حتى يميل به الميزان»[١].

وقالوا: إن هذا القول يجمع بين الأقوال كلها.

قال الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن)[٢]، ورجحه من المعاصرين الشيخ عمر الأشقر[٣].

ولكن كما قيل ثبت العرش ثم انقش، فهذا الحديث الذي استدلوا به ضعيف لا يحتج به.

الراجح: القول بأن صحائف الأعمال هي التي توزن، وأما الأقوال الأخرى فقد (جمع بعض العلماء بين هذه النصوص أن الوزن حقيقة للصحائف وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال، وأما وزن العامل فالمراد قدره وحرمته، وإنما نسب إليه الميزان لأنه هو الذي قام بالعمل، وهذا جمع حسن، والله أعلم)[٤].

وعلى هذا القول يرتفع إشكال من قال أن الأعمال أعراض فكيف توزن.

❊❊❊

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٧٠٢٦) والحديث ضعيف، فيه ابن لهيعة (انظر: تحقيق شرح العقيدة الطحاوية للأرنؤوط (٢/ ٦١٠).

(٢) معارج القبول لحافظ حكمي (٢/ ٢٢٨).

(٣) القيامة الكبرى ص ٢٥٥.

(٤) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي، مع شرح الشيخ ابن عثمين، ص ١٢١.



المطلب الخامس

هل الوزن لجميع الناس؟

ذكر هذه المسألة ابن حجر وقال: (ظاهره التعميم، لكن خص منه طائفتان، فمن الكفار من لا ذنب له إلاَّ الكفر، ولم يعمل حسنة فإنه يقع في النار من غير حساب ولا ميزان، ومن المؤمنين من لا سيئة له، وله حسنات كثيرة زائدة على محض الإيمان، فهذا يدخل الجنة بغير حساب كما في قصة السبعين ألفا، ومن شاء الله أن يلحقه بهم وهم الذين يمرون على الصراط كالبرق الخاطف وكالريح وكأجاويد الخيل، ومن عدا هذين من الكفار والمؤمنين يحاسبون وتعرض أعمالهم على الموازين، ويدل على محاسبة الكفار ووزن أعمال قوله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ إلى قوله - ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

ونقل القرطبي عن بعض العلماء أنه قال: الكافر لا ثواب له وعمله مقابل بالعذاب فلا حسنة له توزن في موازين القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار، واستدل بقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾، وبحديث أبي هريرة وهو في الصحيح في الكافر: «لا يزن عند الله جناح بعوضة»، وتعقب أنه مجاز عن حفاوة قدره ولا يلزم منه عدم الوزن.

وحكي القرطبي في وصفه وزن عمل الكافر وجهين أحدهما: أن كفره يوضع في الكفة ولا يجد له حسنة يعضها في الأخرى فتطيش التي لا شيء فيها، قال: وهذا ظاهر الآية لأنه وصف الميزان بالخفة لا الموزون.

ثانيهما: قد يقع منه العتق والبر والصلة وسائر أنواع الخير المالية مما لو فعلها

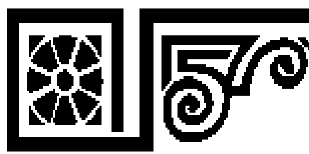
المسلم لكانت حسنات، فمن كانت له حسنات جمعت ووضعت، غير أن الكفر إذا قابلها رجح بها.

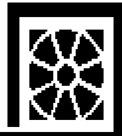
قلت: ويحتمل أن يجازي بها عما يقع منه من ظلم العباد مثلاً، فإن استوت عذب بكفره مثلاً فقط، وإلاّ زيد عذابه بكفره أو خفف عنه كما في قصة أبي طالب)[١].

وهو كلام متين.

❊❊❊

(١) فتح الباري (١٣/ ٥٤٨)



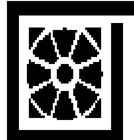


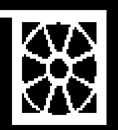



الحوض والصراط

- المبحث الأول: ما هو الحوض وما اسمه؟
- المبحث الثانى: ما هو الصراط ؟
- المبحث الثالث: هل يرد الكفار على الصراط؟
- المبحث الرابع: الورود على الصراط.
- المبحث الخامس: ضرب السور بين المؤمنين والمنافقين.
- المبحث السادس: الصراط وموقف المؤمنين منه.





المبحث الأول

ما هو الحوض وما اسمه؟

الحوض لغة: الجمع، يقال حاض الماء يحوضه إذا جمع، ويطلق على مجتمع الماء[١].

شرعاً: هو حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ[٢]. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر: ١]، والكوثر نهر النبي ﷺ.

فعن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها، قال: سالتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ قالت: (نهر أعطية نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف أنيته كعدد النجوم)[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ أن النبي ﷺ قال: «هو نهر في الجنة» قال أنس: قال النبي ﷺ: «رأيت نهراً في الجنة حافتاة قباب اللؤلؤ، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله»[٤].

واستمداد ماء الحوض من نهر الكوثر كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إكفاءة ثم رفع رأسه متبسمًا فقنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي آنفاً سورة»، فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ

---

(١) لسان العرب (٧/ ١٤١) بتصرف.

(٢) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي مع شرح الشيخ ابن عثيمين، ص ١٢٣.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، رقم: ٤٦٨١).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، رقم: ٤٦٨٠)، والترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب «من سورة الكوثر»، رقم: ٣٣٥٩) واللفظ له.



ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿٣﴾﴾، ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عَزَّوَجَلَّ عليه خير كثير، عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك»[(١)].

فقوله: (عليه حوض) يدل أن الحوض يتفرع من النهر، ويدل الحديث -أيضاً- أن الحوض موجود في عرصات يوم القيامة قبل دخول الجنة لقوله: (فيختلج العبد منهم...) وهذا لا يكون في الجنة، لأنهم في الجنة لا يمنعون من شيء يشتهونه.

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غاب عنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما فلم يخرج حتى ظننا أنه لن يخرج فلما خرج سجد سجدة فظننا أن نفسه قد قبضت فيها، فلما رفع رأسه قال: «إن ربي تَبَارَكَ وَتَعَالَى استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم؟، فقلت: ما شئت أي رب هم خلقك وعبادك، فاستشارني الثانية فقلت له كذلك، فقال: لا أحزنك في أمتك يا محمد، وبشرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب، ثم أرسل إليَّ، فقال: أدع تجب وسل تعط، فقلت لرسوله: أو معطي ربي سؤلي، فقال: ما أرسلنى إليك إلا ليعطيك ولقد أعطاني ربى عَزَّوَجَلَّ ولا فخر وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حياً صحيحاً وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب، وأعطاني الكوثر هو نهر من الجنة يسيل في حوضي، وأعطاني العز والنصر، والرعب يسعى بين يدي أمتي شهراً، وأعطاني أني أول الأنبياء أدخل الجنة وطيب لي ولأمتي الغنيمة،وأحلل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا من حرج[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة، رقم: ٤٠٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٨٢٥) وحسنه بعض العلماء، انظر: النهاية لابن كثير (٢/ ٢٤٤).



وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب يه ميزايان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل»[1].

ولعل هذان الميزان هما اللذان يصبان من نهر الكوثر في الحوض، فأمر الحوض إذن ثابت لا يجوز إنكاره.

عن عبد السلام بن أبي حازم أبو طالوت قال: شهدت أبا برزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دخل علي عبيد الله بن زياد فحدثني فلان سماه مسلم يعني ابن إبراهيم، وكان في السماط، لما رآه عبيد الله قال: إن محمديكم هذا الدحداح (يعني القصير) ففهمها الشيخ، فقال: ما كنت أحسب أني أبقى في قوم يعيروني بصحبة محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له عبيد الله: إن صحبة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لك زين غير شين، قال: إنما بعثت إليك لأسألك عن الحوض، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر فيه شيئا؟ فقال له أبو برزة: (نعم لا مرة ولا ثنتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً، فمن كذب به فلا سقاه الله منه، ثم خرج مغضباً)[2].

❊❊❊

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، باب إثبات الحوض، رقم: ٢٣٠٠).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، باب الحوض، رقم: ٤٧٤٩)، وأحمد (١٩٢٨٠) بسند صححه الأرنؤوط في جامع الأصول (١٠/ ٤٦٦).



المبحث الثاني

ما هو الصراط؟

الصراط لغة: (الصراط والسراط والزراط، الطريق) [١].

والصراط أصله السراط انقلبت سينه مع الطاء صادًا لقرب مخرجها[٢]، والسرط والزرط الابتلاع[٣]، وسمي الطريق صراطًا لابتلاعه من يمشي فيه.

وشرعاً: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة[٤].

***

(١) لسان العرب (٧/ ٣٤٠) وانظر: مختار الصحاح للرازي، ص ٣٦١، القاهرة، دار الحديث.

(٢) لسان العرب (٧/ ٣٤٠).

(٣) لسان العرب (٧/ ٣٠٦).

(٤) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي مع شرح الشيخ ابن عثيمين، ص ١٢٦.

المبحث الثالث

هل يَرِدُ الكفار على الصراط؟

قال الشيخ عمر الأشقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (دلت الأحاديث على أن الأمم الكافرة تتبع ما كانت تعبد من آلهة باطلة، فتسير تلك الآلهة بالعابدين حتى تهوى في النار، ثم يبقى بعد ذلك المؤمنون وفيهم المنافقون، وعصاة المؤمنين، وهؤلاء هم الذين ينصب لهم الصراط.

ولم أر في كتب أهل العلم من تنبه إلى ما قررناه من أن الصراط إنما يكون للمؤمنين دون غيرهم من الكفرة المشركين والملحدين غير ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه قال في كتابه التخويف من النار: (واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون، فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط)، وقد ساق بعض الأحاديث التي سقناها، ومنها حديث أبي سعيد الخدري الذي في الصحيحين -وسيأتي بعد قليل- ثم قال: (فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله كالمسيح والعزيز من أهل الكتاب فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط، إلا أن عباد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فترد النار مع معبودها أولاً، وقد دل القرآن على هذا المعنى في قوله تعالى في شأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨].

وأما من عبد المسيح والعزيز من أهل الكتاب، فإنهم يتخلفون مع أهل الملل المنتسبين إلى الأنبياء، ثم يردون النار بعد ذلك.



وقد ورد في حديث آخر أن من كان يعبد المسيح يمثل له شيطان المسيح فيتبعونه، وكذلك من كان يعبد العزيز، وفي حديث الصور أنه يمثل لهم ملك على صورة المسيح، وملك على صورة العزيز، ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده في الظاهر سواء كان صادقاً أو منافقاً من هذه الأمة وغيرها، ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم عن السجود، وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم للمؤمنين)[1].

وهذا القول وجيه، ومن الأدلة عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال ﷺ: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر اذا كان صحوا؟»، قلنا: لا، قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما». ثم قال: «ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتي بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله، فيقال: أشربوا، فيتساقطون في جنهم.

ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: أشربوا، فيتساقطون في جهنم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟

فيقولون: فارقناهم، ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديا ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير

(١) القيامة الكبرى للأشقر، ص ٢٧٥، وانظر: التخويف من النار لابن رجب، ص ١٨٨.

صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا؟ فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحدًا، ثم يؤتي بالجسر فيجعل بين ظهري جنهم».

قلنا: يا رسول الله وما الجسر، قال: «مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، فتاح مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جنهم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً..» الحديث[(١)].

فقد ذكر في هذا الحديث أن الكفار يتساقطون في جنهم ثم بعد ذلك يؤتي بالجسر وهو الصراط فيجعل على متن جنهم أي أن الصراط لم يكن موجودًا أصلا إلا بعد سقوط الكفار في النار ولم يبق إلا المسلمون.

ولكن بقي إشكال -لم يجب عليه ابن رجب ولا الأشقر- وهو قوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤﴾ [المؤمنون: ٧٤].

فظاهر الآية أن الكفار يعبرون الصراط ثم يسقطون عنه وينكبون.

الجواب من أوجه:

١- المنع: نمنع أن يكون المراد بالصراط في هذه الآية هو الصراط المنصوب على متن جنهم بل المقصود به هو الطريق الحق الموصل للجنة، فهم عنه مائلون، كما أن أهل الحق عليه مستقيمون لأنهم يدعون دائما ويقولون: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢﴾، رقم: ٧٠٠٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم: ١٨٣) واللفظ للبخاري.

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، وهذا هو قول المفسرين.

قال البغوي -في تفسيرها-: (أي عن دين الحق لعادلون مائلون)[(١)]. والسياق يقوي هذا المعنى وأنه المراد من الآية، فإن الله تعالى ذكر في الآية السابقة أن النبي ﷺ يدعوهم إلى الصراط، وهؤلاء الكفرة مائلون عنه.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ (المؤمنون: ٧٣، ٧٤)، والنبي ﷺ لا يدعوهم إلى الصراط المنصوب على جنهم، فدل أن المراد بالصراط هنا هو الطريق المستقيم الحق وهو الدين، فـ (ال) في قوله (الصراط) للمعهود الذكري السابق وهو قوله: (صراط مستقيم) قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والمراد بالصراط الذي هم ناكبون عنه، الصراط الموصل للجنة المذكور في قوله قبله: (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم)[(٢)]. ويؤكد هذا أيضاً أن معنى ناكبون في اللغة: مائلون، والنكب العدل عن الشيء والميل عنه[(٣)]، وليس معناه ساقطون.

٢- التسليم: لو سلمنا أن المراد بالآية هو الصراط المنصوب على جهنم، فإن هذا من العام المخصوص، فإن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ عام يشمل الكفار والمنافقين، فخص النص -من السنة النبوية- الكفار من هذا الحكم، فهم لا يمرون على الصراط بل يسقطون مباشرة في النار، وبقي الحكم في المنافقين، فهم الذين يمرون على الصراط ويسقطون وهو المراد.

❊❊❊

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٥/ ٤٢٤)، وانظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٩١) وغيره من كتب التفسير.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٥/ ٨٠٧).

(٣) انظر: مفردات القرآن للراغب، ص ٨٢٢، ولسان العرب (١/ ٧٧٠)، ومختار الصحاح، ص ٦٧٨، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٧٤).

المبحث الرابع

الورود على الصراط

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

اختلف العلماء في معنى الورود على أقوال كثيرة أقواها قولان :

القول الأول: الورود هو الدخول:

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وقول السلف، أما الكتاب فقوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

فقوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي...﴾، يدل أن معنى الورود الدخول حيث أن النجاة تكون بعد وقوع المكروه والدخول فيه.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨]،أي فأدخلهم النار.

وقوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٩]، أي ما دخلوها.

ويؤيد هذا القول حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلاَّ تحلة القسم» قال أبو عبد الله -يعني البخاري- ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.(١)

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، رقم: ١١٩٣).



فان كان الاستثناء متصلاً، فالمعنى أنه لا يلج النار إلا ولوجاً يُحل القسم.

(وروى عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار أخبرني من سمع ابن عباس أنه قال: الورود الدخول[١].

وروى أحمد والنسائي والحاكم من حديث جابر مرفوعًا: «الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلاً دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً»[٢].

وروى الترمذي وابن أبي حاتم من طريق السدي، .سمعت مُرة يحدث عن عبد الله بن مسعود قال: يردونها أو يلجونها[٣]، ثم يصدرون عنها بأعمالهم)[٤].

فهذان الصحابيان وهما ابن عباس وابن مسعود يقولان إن معنى الورود الدخول، وهما من أعلم الصحابة في التفسير، بل ورد مرفوعًا كما قي حديث جابر السابق.

القول الثاني: الورود هو المرور:

من المعلوم أن أعظم من يفسر كتاب الله هو رسول الله ﷺ، وقد أخبرنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن المؤمنين يمرون على النار ولا يدخلونها.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت، لا يدخلها

(١) وهذا الأثر منقطع لا يُدرى من هو الذي سمع منه عمرو بن دينار.

(٢) هذا الحديث ضعيف فيه أبو سمينة وهو مقبول، أخرجه أحمد، (١٤١١١)، ولم أجده في سنن النسائى إلا أن يكون في سننه الكبرى.

(٣) رواية الترمذي كما في سننه: (يردونها ويصدرون عنها)، (كتاب تفسير القرآن، باب «من سورة مريم»، رقم: ٣١٥٩) وليس فيها لفظ (يلجونها)، وأخرج الحديث الدارمي أيضاً وروايته كرواية الترمذي، والحديث على رواية الترمذي والدارمى لا شاهد فيه، وعلى كل حال فهو لا يصح مرفوعا والأصح وقفه، وقول الصحابي، لا يكون حجة إذا خولف من صحابي آخر.

(٤) فتح الباري (١١/ ١٤٨).

فإنه شهد بدراً والحديبية»[١].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها»، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾»[٢].

وفي رواية ابن ماجه -وفيها زيادة: «من شهد بدراً والحديبية»-: عن جابر عن أم مبشر، عن حفصة قالت: قال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لأرجو ألا يدخل النار أحد إن شاء الله تعالى ممن شهد بدراً والحديبية»، قالت: قلت: يا رسول الله أليس قد قال الله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾، قال: «ألم تسمعيه يقول: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾»[٣].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها»، قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعًا كما صرح به في الحديث الذي قبله حديث حاطب، وإنما قال: إن شاء الله؛ للتبرك، لا للشك. وأما قول حفصة: (بلى)، وانتهار النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها، فقالت: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وقد قال: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾» فيه دليل للمناظرة والاعتراض والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة، لا أنها أرادت رَدَّ مقالتِه، والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط، وهو

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب، رقم: ٢٤٩٥).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان، رقم: ٢٤٩٦).
(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، باب ذكر البعث، رقم: ٤٢٨١) بسند صحيح.

جسر منصوب على جهنم، فيقع فيها أهلها، وينجو الآخرون)[(١)].

ويدل كذلك على أن المراد بالورود المرور حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلاً خطيئة أبيكم آدم، لست بصاحب ذلك، أذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء اعمدوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقول: لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى صلى الله عليه وسلم: لست لصاحب ذلك، فيأتون محمدًا صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق»[(٢)]، قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق، قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أُمرت به، فمخدوش ناج ومكدوس فى النار، والذى نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً»[(٣)].

فقوله: «كمر البرق» يدل أنه إنما يمر على النار ولا يدخل فيها كما هو ظاهر، فهذا نص صريح صحيح أنهم يمرون ولا يدخلون.

---

(١) شرح مسلم للنوري (١٦/ ٥٨).

(٢) والبرق هو الضوء المنبعث من السحاب، وإنما شبه سرعتهم به لأننا في هذه الدنيا لا نعلم شيئاً أسرع من الضوء، وهذا فيه إشارة إلى أن الضوء أسرع الموجودات فيكون فيه من الإعجاز العلمي.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٩٥).

ويدل عليه أيضًا حديث الـ «سبعون الفاً يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب»[(١)]، يدل حلى أن معنى الورود هو المرور، لأن من دخل النار يعذب وهم يدخلون الجنة بغير عذاب، فدل أنهم لا يدخلون النار.

وأما قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨]، وقوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٩]، وأن معناهما الدخول.

فالجواب أن لفظ الورود لفظ مشترك يطلق على الدخول وعلى المرور، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ...﴾ [القصص: ٢٣]، أن موسى لم يدخل في الماء وإنما مر عليه فقط.

قال ابن منظور: (وفي اللغة: ورد بلد كذا وماء كذا إذا أشرف عليه؛ دخله أو لم يدخله)[(٢)].

وعليه فلا يستقيم الاستدلال بهذه الآيات على الآية التي هي محل النزاع، بل يحتاج الأمر إلى مرجح آخر من قرينة في السياق أو حديث مفسر.

وقد ذكروا قرينة في السياق وحديثاً مفسرًا كما سبق، فالجواب عليها كالتالي:

أما القرينة: وهي (أن النجاة تكون بعد وقوع المكروه والدخول فيه، ولا يقال لمن لم يدخل فى المكروه أنه نجى منه).

فندع الإمام ابن أبي العز الحنفي يجيب عليها، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أختلف المفسرون في المراد بالورود، والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، ففي الصحيح أنه ﷺ قال: «لا يدخل النار إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا

---

(١) منفق عليه، وقد تقدم تخريجه.

(٢) لسان العرب (٣/ ٤٥٦).



تحتها»، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، فقال النبي ﷺ: «قد قال الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ٧٢ ﴾[1].

أشار إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا يستلزم حصوله، بل يستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه العدو ولم يتمكنوا منه يقال: نجاة الله منهم، لهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود: ٥٨]، ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا ﴾ [هود: ٦٦]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: ٩٤]، ولم يكن العذاب أصابهم ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله له من أسباب النجاة، لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الواردين النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثياً)[2].

وأما حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم»، قال أبو عبد الله -يعني البخارى- ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[3]. فندع الحافظ ابن حجر يجيب عليها، فقد قال في شرح هذا الحديث.

(قوله: «إلا تحلة القسم»، أي ما ينحل به القسم وهو اليمين، وقال الخطابي: حللت القسم تحلة أى أبررتها. قال الخطابي: معناه، يدخل النار ليعاقب بها ولكنه يدخلها مجتازاً ولا يكون ذلك الجواز إلا قدر ما يحلل به الرجل يمينه.

ويدل على ذلك ما وقع عند عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في آخر هذا الحديث «إلاً تحلة القسم» يعني الورود.

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان، رقم: ٢٤٩٦).

(٢) شرح الطحاوية لاين أبي العز الحنفى، (٢/ ٦٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز فضل من مات له ولد فاحتسب، رقم: ١١٩٣).

وفي سنن سعيد بن منصور، عن سفيان بن عيينة في آخره: ثم قرأ سفيان ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، ومن طريق زمعة بن صالح عن الزهري في آخره: قيل: وما تحلة القسم؟ قال: قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾.

وكذا حكاه عبد الملك بن حبيب عن مالك في تفسير هذا الحديث.

وورد نحوه مع طريق أخرى في هذا الحديث رواه الطبراني من حديث عبدالرحمن بن بشر الأنصاري مرفوعا: «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم يرد النار إلا عابر سبيل»[(١)]، يعني الجواز على الصراط، وجاء مثله من حديث آخر أخرجه الطبراني من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعًا: «من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعاً لم ير النار بعينه إلاً تحلة القسم، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[(٢)]»[(٣)].

ويمكن أن نلخص كلام الخطابي وابن حجر، أن الحديث، لا يقصد به الدخول، فالاستثناء منقطع، وهو قوله: (إلا تحلة القسم)، أي لكن تحلة القسم، فيكون معنى الحديث أنه لا يموت ثلاثة أولاد لأحد المسلمين فيدخل النار ولكن يبقى الورود الذي أقسم الله به فهذا لا بد منه، وعلى هذا فلا يكون في الحديث دلالة.

وأما أنه تفسير ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد قدمنا أن هذه الآثار ضعيفة، ولو صحت، فإن قول الصحابي لا يكون حجة إذا خالف قول صحابي آخر، فما بالك إذا خالف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! وأما الحديث المرفوع فهو ضعيف جدًا.

---

(١) مجمع الزوائد (٣/ ٨٧)،، وقال الهيثمي: رجاله موثقون خلا شيخ الطبراني لم أجد من ترجم له.

(٢) أخرج الحديث الإمام أحمد (١٥١٨٥)، وهو ضعيف جدًا فيه ابن لهيعة وهو ضعيف إلَّا من روى عنه قبل احتراق كتبه وهذا ليس منها، وفيه زبان وهو ضعيف أيضاً، وفيه يحيى بن غيلان وهو صدوق إلاً إن روى عنه زبان، وهذا منه، فالحديث سنده ظلمات بعضها فوق بعض.

(٣) فتح الباري (١١/ ١٤٨).

والراجح في نظري هو القول الثاني لصراحة الأدلة فيه، وللإجابة على أدلة القول الأول، ورجحه كثير من العلماء.

فقد نقل ابن منظور عن أبى إسحق أنه قال: (والحجة القاطعة عندي في هذا ما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]، قال: فهذا والله أعلم دليل أن أهل الحسنى لا يدخلون النار»[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر: (وهذان القولان أصح ما ورد في ذلك ولا تنافي بينهما، لأن من عبر بالدخول تجوز به عن المرور، ووجهه أن المار عليها فوق الصراط فى معنى من دخلها لكن تختلف أحوال المارة باختلاف أعمالهم فأعلاها درجة من يمر كلمح البرق، ويؤيد صحة هذا التأويل ما رواه مسلم من حديث أم مبشر: (إن حفصة قالت للنبى ﷺ لما قال: «لا يدخل أحد شهد الحديبية النار» أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، فقال لها: أليس الله تعالى يقول ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ الآية، وفي هذا بيان ضعف قول من قال: الورود مختص بالكفار، ومن قال: معنى الورود الدنو منها، ومن قال: معناه الإشراف عليها، ومن قال: معنى ورودها ما يصيب المومن فى الدنيا من الحمى)[(٢)].

وقال الشيخ عمر الأشقر: (والحق أن الورود على النار ورودان، ورود الكفار أهل النار، فهذا الورود دخول لا شك في ذلك، وورود الموحدين، أى مرورهم على الصراط)[(٣)].

ومما يجدر التنبيه عليه أنه ليس كل المؤمنين يمرون على الصراط ولا يقعون،

---

(١) لسان العرب (٣/ ٤٥٧).

(٢) فتح الباري (١١/ ١٤٨).

(٣) القيامة الكبرى للأشقر، ص ٢٧٨.

بل بعضهم يمر ولا يقع، وبعضهم يمر على الصراط ثم يقع في النار ويدخلها وهم بعض أهل كبائر الذنوب، فقد ثبت في الأحاديث أن المؤمنين المقربين عندما يدخلون الجنة يشفعون لأهل الكبائر حتى يخرجهم الله تعالى من النار.

عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا خلص المؤمنون من النار يوم القيامة وأمنوا، فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة له من المؤمنين لربهم في أخوانهم الذين أدخلوا النار، قال: يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار؟ قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم، فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيخرجونهم فيقولون: ربنا أخرجنا من أمرتنا. ثم يقول: أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار، حتى يقول من كان في قلبه مثقال ذرة». قال أبو سعيد فمن لم يصدق بهذا فليقرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

إذن فهذا يقيد به كلام الشيخ عمر الأشقر، فليس كل المؤمنين لا يدخلون النار، والله أعلم.

***

(١) أخرجه الإمام أحمد (رقم: ١١٤٨٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٢) وصححه ووافقه الذهبي.



المبحث الخامس
ضرب السور بين المومنين والمنافقين

عندما يقضى الله بين العباد يأمر كل أمة أن تتبع معبودها فتتساقط الأمم في النار ولا تبقى إلاً هذه الأمة وفيها منافقوها، فيتجلى لهم الجبار جل جلاله يضحك ويعطى كل واحد منهم نوراً فيتبعون ربهم تعالى، ثم يقفون عند الصراط ثم يتجلى لهم ا لجبار مرة أخرى، فيكشف رب العزة عن ساق، وعندها يفتضح المنافقون ويتميزون، لأنه حينئذ يسجد المؤمنون فيذهب المنافقون ليسجدوا فيرجع ظهرهم طبقاً واحداً فلا يستطيعون السجود، فينطفي نور المنافقين فيطلبون النور من المؤمنين فيقولون لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، فإذا رجع المنافقون ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب باطنه من جهة المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره من قبل المنافقين فيه العذاب، فيقف الأنبياء على حافتي الصراط وهم يقولون: اللهم سلم سلم حتى ينجو المؤمنون كلهم، ويتساقط المنافقون.

وإليك الشواهد من الآيات والأحاديث على ما تقدم مكتفيا بذكر المقطع والشاهد الذي يدل على ما ذكرته، وقد رتبتها حسب الترتيب الزمني لوقوعها(١)، وسوف أذكر بعدها الأحاديث كاملة ومخرجة:

«يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها...».

---

(١) وإنما ذكرتها على هذه الطريقة حتى تفهم الأحاديث فهما كاملًا، لأن أغلب الأحاديث تذكر مختصرة، ولا تذكر جميع الأحداث في سياق واحد، وبعض الأحاديث تتجاوز ذكر بعض الأحداث، فبجمع الأحاديث على هذه الطريقة يتم فهم الأحداث كاملة مرتبة.



«فيدعى بالأمم وبأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا عَزَّ وَجَلَّ بعد ذلك فيقول ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا عَزَّ وَجَلَّ، فيقول: أنا ربكم، فيقولون :حتى ننظر إليه، قال: فيتجلى لهم عَزَّ وَجَلَّ وهو يضحك ويعطي كل إنسان منهم منافق ومؤمن نوراً وتغشاه ظلمة ثم يتبعونه معهم المنافقون...».

فيقفون عند الصراط ويحبسون وقد أصبحوا «في ظلمة دون الجسر لا يرون رب العالمين فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس، فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحدًا....».

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣].

«ثم يطفأ نور المنافقين وينجو المؤمنين...».

ثم كما قال تعالى: ﴿... يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٣، ١٤].

«ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال:



فانها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم المؤمن بقي بعمله ومنهم المجازى حتى يُنَجَّى...».

«ثم يؤتي بالجسر فيجعل بين ظهري جنهم، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جنهم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً...».

«وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالا فيمر أولكم كالبرق» قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط، يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلاَّ زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج ومكدوس في النار....».

وإليك الأحاديث بكاملها:

* عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قلنا: يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة؟ قال ﷺ: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟ قلنا: لا، قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلاَّ كما تضارون في رؤيتهما».

ثم قال: «ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتي



بجهنم تعرض كأنها سراب. فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيزاً ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم. ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: أشربوا، فيتساقطون في جهنم. حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم وإنا سمعنا منادياً ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما تنتظر ربنا.

قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحداً.

ثم يؤتي بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مد حضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق كالريح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً..» الحديث[1]، هذا لفظ البخاري.

وأما لفظ مسلم:

* فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن ناسا في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا:

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسر القرآن باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾، رقم ٤٣٠٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم: ١٨٣).

يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم، قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب، وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد. فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلاّ من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغير أهل الكتاب.

فيُدعي اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون، قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار.

ثم يُدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم الا تردون؟ فيحشرون إلى جنهم كأنها سراب بحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار.

حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها(١)، قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا. مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه

(١) يعني في غير الصورة رأوها أول مرة، كما فسرتها الأحاديث الأخرى.



بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه. ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا.

ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم. قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح والطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جنهم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار...» الحديث[١].

* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن ناسا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم وسلم، وفي

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم وتقدم تخريجه.



جنهم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن بقي بعمله ومنهم المجازي حتى ينجَّى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة...» الحديث(١).

* وعن أبي الزبير أنه سأل جابراً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الورود قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس، فيدعي بالأمم وبأوثانها وما كانت نعبد» الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا عَزَّ وَجَلَّ بعد ذلك فيقول: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا عَزَّ وَجَلَّ، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليه، قال: فيتجلى لهم عَزَّ وَجَلَّ وهو يضحك، ويعطي كل إنسان منهم منافق ومؤمن نوراً، وتغشاه ظلمة، ثم يتبعونه معهم المنافقون على جسر جهنم فيه كلاليب وحسك يأخذون من شاء ثم يطفأ نور المنافقين وينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يحاسبون، ثم الذي يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم ذلك حتى تحل الشفاعة، فيشفعون حتى يخرج من قال لا إله إلا الله ممن في قلبه ميزان شعيرة فيجعل بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يهريقون عليهم من الماء حتى

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ رقم: ٧٠٠٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم: ١٨٢).



ينبتون نبات الشيء في السيل ويذهب حرقهم، ثم يسأل الله ﷻ حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها»[١].

* وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار يوم القيامة وأمنوا، فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة له من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار.

قال: يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار، قال: فيقول: أذهبوا فأخرجوا من عرفتم، فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيخرجونهم فيقولون: ربنا أخرجنا من أمرتنا، ثم يقول: أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول: من كان في قلبه مثال ذرة».

قال أبو سعيد: فمن لم يصدق بهذا فليقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾.

«قال: فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا فلم يبق في النار أحد فيه خير.

قال ثم يقول الله: شفعت الملائكة وشفع الأنبياء وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين، قال: فيقبض قبضة من النار أو قال قبضتين، ناس لم يعملوا لله خيراً قط قد احترقوا حتى صاروا حُمماً، قال: فيؤتي بهم إلى ماء يقال له ماء الحياة، فيصب عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤ، في أعناقهم الخاتم عتقاء الله.

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم: ١٩١)، وأحمد (١٤٣١١)، واللفظ له.



قال: فيقال لهم: أدخلوا الجنة فما تمنيتم أو رأيتم من شيء فهو لكم، عندي أفضل من هذا، قال فيقولون: ربنا وما أفضل من ذلك؟ فيقول: رضائي عليكم فلا أسخط عليكم أبداً»[١].

هذه الأحاديث فيها فوائد كثيرة منها:

١- أن الرب تبارك وتعالى يرى في عرصات يوم القيامة، ويرى أيضاً في الجنة كما سيأتي.

٢- إن الذين يرونه هم المؤمنون والمنافقون فقط، وأما الكفار فلا يرونه أبداً -كما زعم بعض العلماء-.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات يوم القيامة، بل والكفار أيضاً كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة)[٢]، وهذا غير صحيح فليس في الصحيحين ما يدل على ذلك.

وهذا ليس فيه تكريم للمنافقين، بل هو في الحقيقة زيادة عذاب لهم، لأنهم إذا دخلوا النار عرفوا قدر من حرموا رؤيته فتزداد حسراتهم.

٣- إن الله تعالى يرى في الموقف ثلاث مرات، المرة الأولى عندما يتبعونه بعد ذهاب جميع الأمم، والمرة الثانية عندما يقفون عند الصراط فيتجلى لهم في صورة غير صورته الأولى، والمرة الثالثة عندما يرفعون رؤوسهم من السجود للجبار فيرونه على صورته الأولى، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (رقم ١١٤٨٨) وسنده صحيح.

(٢) حادي الأرواح ص ٣٢٩.



قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٣، ١٤].

قال ابن كثير: (عن أبي أمامة قال: «يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾.

وقال العوفي والضحاك وغيرهما عن ابن عباس: «بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾، فإنا كنا معكم في الدنيا، قال المؤمنون: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور».

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده، وأما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً، فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾، وقال المؤمنون: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾، فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً.

قال تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾.

قال الحسن وقتادة: هو حائط بين الجنة والنار، وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم: هو الذي قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾، وهكذا روي عن مجاهد

رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغير واحد وهو الصحيح، ﴿ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ ﴾، أي الجنة وما فيها، ﴿ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ ﴾، أي النار.

وإنما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا أنتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة)[1].

***

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٩).



المبحث السادس
الصراط وموقف المؤمنين منه

إذا وقف العباد على الصراط أعطي لهم الله تعالى النور ليجتازوا به الصراط لأنهم في ظلام دامس دون الجسر فيحتاجون إلى نور.

كما قال رسول الله ﷺ عندما سأله اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر»[(١)]، والنار سوداء مظلمة فلا يمكن مجاوزتها إلا بنور من الله، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢].

يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم كما قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة[(٢)].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: ٨].

قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما: ليس أحد إلاَّ يعطي نوراً يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، رقم: ٣١٥).

(٢) قال الشيخ الألباني: (أثر صحيح، وأخرجه الحاكم والبيهقي)، انظر: تخريج شرح الطحاوية، ص ٤٧٠.



نورهم كما طفئ نور المنافقين فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾[(١)].

(وقوله: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾، يعني على الصراط.

وقوله: ﴿وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ قال الضحاك: أي وبأيمانهم كتبهم كما قال: ﴿فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾.

وقوله: ﴿بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، أي يقال لهم: بشراكم اليوم جنات، أي لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، أي ماكثين فيها أبداً ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾)[(٢)].

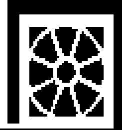
أي أن أهل الإيمان بعد أن يتجاوزوا الصراط يبشرون بالجنان ليهدأ روعهم ويذهب الفزع الذي حصل خوفا من النار وخوفا من انطفاء نورهم، فيبشرونهم بهذه البشرى التي تسرى عنهم.

***

(١) أخرج هذا الأثر البيهقي عن ابن مسعود كما في البدور السافرة، ص ٣٣٤، وأخرجه الحاكم عن ابن عباس كما في مختصر المستدرك لابن الملقن (٢/ ٩٦٠) تحقيق اللحيدان.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٨)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ١٥٨).





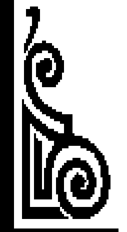


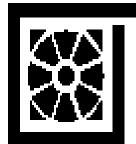
الباب الثالث

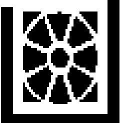
الجنـــة والنــــار

(الجزاء)

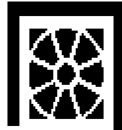
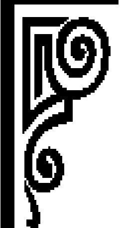
- الفصل الأول: مقدمات.
- الفصل الثاني: النار.
- الفصل الثالث: الجنة.





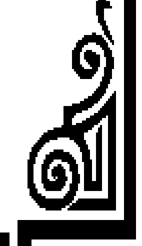
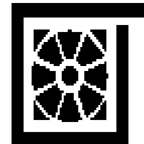


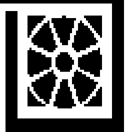




الفصل الأول

مقدمات

- المبحث الأول: خلود الجنة والنار.
- المبحث الثاني: الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن.
- المبحث الثالث: مكان الجنة والنار.
- المبحث الرابع: أصحاب الأعراف.

المبحث الأول

خلود الجنة والنار

الجنة والنار خالدتان أبداً لا تفنيان سرمدًا، وعلى هذا مضى الجيل الأول من الصحابة والتابعين، ولقد تنوعت النصوص في الدلالة على أبدية الجنة والنار:

وهنا ملاحظة قبل أن نسوق الأدلة، وهي أن الآيات إنما تدل على خلود أهل الجنة والنار، وهذا يستلزم خلود الجنة والنار ولازم الحق حق.

أما الجنة:

فقد دل على خلودها الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧ ﴾ [النساء: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢ ﴾ [النساء: ١٢٢][1].

ونفي الله تعالى عنهم الخروج منها والموت فيها تأكيداً لمعنى أبدية الخلود، فقال تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨ ﴾ [الحجر: ٤٨].

وقال: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ ﴾ [الدخان: ٥٦].

وقال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨ ﴾ [هود: ١٠٨]، يعني غير مقطوع.

---

(١) وانظر أيضاً: (المائدة: ١٩٩، التوبة: ٢٢ و ١٠٠، التغابن: ٩، الطلاق: ١١، البينة: ٨) وغيرها.



وفي هذا من الآيات الكثيرة.

أما السنة: فكثير، منها:

حديث الأغر: أنه حدثه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ينادي مناد -يعني أهل الجنة- أن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وأن لكم أن تصحو فلا تسقموا أبداً، وأن لكم أن تشبُّوا ولا تهرموا أبداً، وأن لكم أن تنعموا ولا تيأسوا أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتي بالموت كهيئة كبش أملح» فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩﴾[2].

وغيرها من الأحاديث.

أما الإجماع: فنقله كثير من الأئمة، منهم ابن القيم في حادي الأرواح[3]، والقرطبي كما في التذكرة[4]، ونقله ابن حجر عنه مقراً له كما في الفتح[5]، والسفاريني

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، رقم: ٢٨٣٧).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾، رقم: ٤٤٥٣)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون الجنة يدخلها الضعفاء، رقم: ٣٨٤٩).

(٣) ص ٣٨٣.

(٤) (٢/ ٢١١).

(٥) (١١/ ٤٢٩).

كما في عقيدته(١)، وغيرهم.

وأما خلود النار:

فالآيات تدل صراحة على ذلك:

* قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩].

* قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥]، وغير ذلك من الآيات المتكاثرة.

وأما السنة: فمن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردي فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جنهم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»(٢)، وقال ﷺ: «إن المرد إلى الله، إلى جنة أو نار، خلود بلا موت، وإقامة بلا ظعن»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم

---

(١) (٣/ ٢٣٤).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث، رقم ٥٤٤٥)، ومسلم (كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم: ١٠٩).

(٣) انظر: صحيح الجامع الصغير (١/ ٣٩٣)، رقم: (٨٤٨).



قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[1].

وفي رواية الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، قال «يؤتي بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة فيشرئبون، ويقال: يا أهل النار، فيشرئبون، فيقال: هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت، فيضجع فيذبح، فلولا أن الله قضي لأهل الجنة الحياة فيها والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله قضي لأهل النار الحياة فيها والبقاء لماتوا ترحاً»[2].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (ووقع عند ابن ماجه وفي صحيح ابن حبان من وجه آخر عن أبي هريرة: «فيوقف على الصراط فيقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون فرحين مستبشرين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه»، وفي آخره: «ثم يقال للفريقين كلاهما: خلود فيما تجدون لا موت فيه أبداً».

وفي رواية الترمذي: «فيقال لأهل الجنة وأهل النار هل تعرفون هذا؟ فيقولون: قد عرفناه هو الموت الذي وكل بنا، فيضجع فيذبح ذبحاً على السور».

قال القرطبي: وفي هذه الأحاديث التصريح بأن خلود أهل النار فيها لا إلى غاية أمد وإقامتهم فيها على الدوام بلا موت ولا حياة نافعة ولا راحة، كما

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ)، رقم: ٤٤٥٣) ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء رقم: ٣٨٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب من سورة مريم، رقم: ٣١٥٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

قال تعالى: ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا﴾، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾، قال: فمن زعم أنهم يخرجون منها وأنها تبقى خالية أو أنها تفني وتزول، فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول وأجمع عليه أهل السنة.

قلت[١]: جمع بعض المتأخرين[٢] في هذه المسألة سبعة أقوال: أحدها: هذا الذي نقل فيه الإجماع، والثاني يعذبون فيها إلى أن تنقلب طبيعتهم فتصير نارية حتى يتلذذوا بها لموافقة طبعهم، وهذا قول بعض من ينسب إلى التصوف من الزنادقة[٣]، والثالث: يدخلها قوم ويخلفهم آخرون كما جاء في القرآن عن اليهود وقد كذبهم الله تعالى بقوله. ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾، والرابع: يخرجون منها وتستمر هي على حالها ليس فيها أحد، الخامس: تفنى لأنها حادثة وكل حادث يفنى وهو قول الجهمية، والسادس: تفنى حركات أهلها ويصيرون جماداً لا يحسون بألم، وهو قول أبي الهذيل العلاف من المعتزلة، والسابع: يزول عذابها ويخرج أهلها منها، جاء ذلك عن بعض الصحابة، أخرجه عبد بن حميد في تفسيره من رواية الحسن عن عمر قوله وهو منقطع، ولفظه: (لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه)، وعن ابن مسعود: (ليأتين عليها زمان ليس فيها أحد). قال عبيد الله بن معاذ راويه: كان أصحابنا يقولون: يعني به الموحدين، قلت: وهذا الأثر عن عمر لو ثبت حمل على الموحدين، وقد

---

(١) القائل: هو الحافظ ابن حجر.

(٢) يريد بقوله: (بعض المتأخرين) الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد ذكر هذه الأقوال السبعة في كتابه حادي الأرواح ومال إلى ا لأخير منها، ص ٣٩٠، ولكنه رجع عن هذا القول كما هو نصه في كتابه الوابل الصيب، وقد نقلها شارح الطحاوية وزاد عليها قولا ثامنا وهو أن من دخلها –من كافر أو صاحب كبيرة– لا يخرج منها أبداً، وهو قول المعتزلة والخوارج (انظر: شرح الطحاوية ٢/ ٦٢٤).

(٣) وهو قول ابن عربي، (انظر: شرح الطحاوية ٢/ ٦٢٥).



مال بعض المتأخرين إلى هذا القول السابع ونصره بعدة أوجة من جهة النظر، وهو مذهب رديء مردود على قائله، وقد أطنب السبكي الكبير في بيان وهائه فأجاد)[(١)].

ويمكن أن نجمل أدلة أبدية النار بست طرق[(٢)]:

١- إجماع الصحابة والتابعين على ذلك.

٢- أن القران دل على ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم وأنه لا يفتر عنهم وأنه لا يزيدهم إلا عذابا وأنهم خالدين فيها أبداً وما هم بخارجين من النار، وأن الله حرم الجنة على الكافرين وأنهم لا يدخلون الحنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، وإن عذابها كان غراماً أي مقيماً لازماً، وهذا يفيد القطع بدوام النار واستمرار عذابها.

٣- أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار وأن هذا الحكم خاص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

٤- أن الرسول ﷺ وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٢٩) بتصرف، وهذا الكتاب هو الاعتبار ببقاء الجنة والنار لتقي الدين السبكي الشافعي، وقال: صديق حسن خان في يقظة أولى الاعتبار، ص ٤٢: (ألف العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي رسالة سماها (توفيق الفريقين على خلود أهل الدارين) وفي الباب رسالة للسيد الإمام محمد بن إسماعيل الأمير، ورسالة للقاضي العلامة المجتهد محمد بن علي الشوكاني، حاصلهما بقاء الجنة والنار وخلود أهلهما فيهما). أهـ، ولا يزال العلماء يكتبون في هذا الموضوع رادين على من زعم فناءهما.

(٢) انظر: حادي الأرواح لابن القيم، ص ٣٩٩.



٥- أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا يفنيان بل هما دائمتان، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

٦- أن العقل يقضي بخلود الكفار في النار، فالله تعالى أنكر على من زعم أنه يسوي بين الأبرار والفجار في المحيا والممات، وأنكر على من زعم أنه خلق خلقه عبثاً وأنهم إليه لا يرجعون، وأنه يتركهم سدي أي لا يثيبهم ولا يعاقبهم، وذلك يقدح في حكمته وكماله وأنهم نسبوه إلى ما لا يليق به، وهذه النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها لما رأت العذاب، فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها، بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولاً كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨].

فهذه ستة طرق للدلالة على أبدية النار على سبيل الإجمال.

ولكن يرد هنا إشكال: قد يقول قائل: إن المراد بالخلود هو طول المكث لا أبديته، والناس تسمي أبناءها خالداً تفاؤلاً بطول بقائه، وهم يوقنون أنه ميت لا محالة، وتقول العرب: فلان خلد الله ملكه، يعني أطال الله ملكه، ولكن إلى أمد لا إلى الأبد، والرجل الذي أسن ولم يشب تقول عنه العرب: مخلد[(١)]؟.

الجواب:

الأصل في معنى الخلود هو دوام البقاء وأبديته، قال في اللسان: (الخلد دوام البقاء في دار لا يخرج منها)[(٢)].

وإنما يطلق الخلود على طول البقاء لا أبديته بقرينة، كما هو الحال في الأمثلة التي ذكرت في الإشكال، وقد جاءت بعض النصوص فيها قرن خلود النار بالأبد

(١) كما في لسان العرب (٣/ ١٦٤).

(٢) لسان العرب (٣/ ١٦٤).



لدفع هذا التوهم، وهي بالتتبع ثلاثة مواضع في كتاب الله:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥].

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣].

وزاد هذا المعنى وضوحا الآيات التي تنفي خروجهم من النار وتبين أن عذابهم مقيم وثابت، وأن العذاب لا يفتر عنهم وأنهم لا يموتون فيها:

* ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧].

* ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية: ٣٥].

* ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥].

* ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١١، ١٣]، والسنة مما تزيد هذا المعنى وتجليه كما تقدم.

إشكال آخر:

في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ



فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧]، فالاستثناء يدل أنهم غير خالدين فيها لأن ما بعد (إلا) يخالف ما قبلها، ونظيره قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النبأ: ٢٣]، أي أنهم لا يلبثون فيها أبداً بل أحقاباً، ثم تنتهي هذه الأحقاب؟!!

(والجواب عن هذا من أوجه:

أحدها: أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾، معناه: إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين.

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها، وهم أهل الكبائر من الموحدين.

ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة، والضحاك، وأبي سنان، وخالد بن معدان، واختاره ابن جرير. وغاية ما في هذا القول إطلاق (ما) وإرادة (من)، ونظيره في القرآن: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾.

الثاني: أن المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم، واستقرارهم في مصيرهم؛ قاله ابن جرير أيضاً.

الوجه الثالث: أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فيه إجمال، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبدًا، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات، فالظاهر مقدم على المجمل، كما يقرر في الأصول..

ومنها: أن ﴿إِلَّا﴾، في سورة هود بمعنى: (سوى) ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السماوات والأرض.



وقال بعض العلماء[١]: إن الاستثناء على ظاهره، وإنه يأتي على النار زمان ليس فيها أحد.

وقال ابن مسعود: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون أحقاباً. وعن ابن عباس: أنها تأكلهم بأمر الله.

قال مُقيده عفا الله عنه[٢]: الذي يظهر لي -والله تعالى أعلم-: أن هذه النار التي لا يبقى فيها أحد، يتعين حملها على الطبقة التي كان فيها عصاة المسلمين، كما جزم به البغوي في تفسيره، لأنه يحصل به الجمع بين الأدلة، وإعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما، وقد أطبق العلماء على وجوب الجمع اذا أمكن، أما ما يقوله كثير من العلماء من الصحابة ومن بعدهم، من أن النار تفنى وينقطع العذاب عن أهلها، فالآيات القرآنية تقتضي عدم صحته.

وإيضاحه: أن المقام لا يخلو من إحدى خمس حالات بالتقسيم الصحيح، وغيرها راجع إليها:

الأولى: أن يقال بفناء النار، وأن استراحتهم من العذاب بسبب فنائها.

الثانية: أن يقال: إنهم ماتوا وهي باقية.

الثالثة: أن يقال: إنهم أخرجوا منها وهي باقية.

الرابعة: أن يقال: إنهم باقون فيها إلاَّ أن العذاب يخف عليهم.

وذهاب العذاب رأساً، واستحالته لذةً لم نذكرهما من الأقسام؛ لأنا نقيم البرهان على نفي تخفيف العذاب، ونفي تخفيفه يلزمه نفي ذهابه واستحالته لذة فاكتفينا به، لدلالة نفيه على نفيهما.

---

(١) يقصد به ما ورد عن عمر وابن مسعود، وقد تقدم من كلام الحافظ أين حجر ضعف هذه الآثار.

(٢) وهو العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ فالنقل كله عنه.



وكل هذه الأقسام الأربعة يدل القرآن على بطلانها:

أما فناؤها: فقد نص تعالى على عدمه بقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾، وقد قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في خلود أهل الجنة وخلود أهل النار، وبين عدم الانقطاع في خلود أهل الجنة بقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾، وبقوله: ﴿مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾، وقوله: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾، وبين عدم الانقطاع في خلود أهل النار بقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾، فمن يقول: أن للنار خبوة ليس بعدها زيادة سعير، رد عليه بهذه الآية الكريمة، ومعلوم أن ﴿كُلَّمَا﴾ تقتضي التكرار بتكرار الفعل الذي بعدها، ونظيرها قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾. الآية.

وأما موتهم: فقد نص تعالى على عدمه بقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾، وقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، وقد بين ﷺ في الحديث الصحيح، أن الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح، وإذا ذبح الموت حصل اليقين بأنه لا موت، كما قال ﷺ: «ويقال: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت».

وأما إخراجهم منها: فنص تعالى على عدمه بقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾، وبقوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾، وبقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾.

وأما تخفيف العذاب عنهم: فنص تعالى على عدمه بقوله: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ وقوله: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾، وقوله: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾، وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾، وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ



عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾، وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾، ولا يخفي أن ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾، وقوله: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ كلاهما فعل في سياق النفي، فحرف النفي ينفي المصدر الكامن في الفعل، فهو في معنى: لا تخفيف للعذاب عنهم، ولا تفتير له. والقول بفنائها يلزمه تخفيف العذاب وتفتيره المنفيان في هذه الآيات، بل يلزمه ذهابها رأساً كما أنه يلزمه نفي ملازمة العذاب المنصوص عليه بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾، وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾، وإقامته المنصوص عليها بقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾.

فظاهر هذه الآيات عدم فناء النار المصرح به في قوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾.

وما احتج به بعض العلماء من أنه لو فرض أن الله أخبر بعدم فنائها، أن ذلك لا يمنع فناءها، لأنه وعيد، وإخلاف الوعيد من الحسن لا من القبيح، وأن الله تعالى ذكر أنه لا يخلف وعده، ولم يذكر أنه لا يخلف وعيده، وأن الشاعر قال:

وإني وإن أوعدته أو وعدته　　　لمخلف إبعادي ومنجز موعدي

فالظاهر عدم صحته، لأمرين:

الأول: أنه يلزم جواز ألا يدخل النار كافر، لأن الخبر بذلك وعيد، وإخلافه على هذا القول لا بأس به.

الثاني: أنه تعالى صرح بحق وعيده على من كذب رسله، حيث قال: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾.

وقد تقرر في مسلك النص من مسالك العلة، أن الفاء من حروف التعليل، كقولهم: سها فسجد، أي سجد لعلة سهوه. وسرق فقطعت يده، أي لعلة سرقته. فقوله: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾، أي وجب وقوع الوعد عليهم لعلة



تكذيب الرسل، ونظيرها قوله تعالى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾.

ومن الأدلة الصريحة في ذلك تصريحه تعالى بأن قوله لا يبدل فيما أوعد به أهل النار، حيث قال: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾.

ويستأنس لذلك بظاهر قوله تعالى: ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾، إلى قوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾﴾، فالظاهر أن الوعيد الذي يجوز إخلافه وعيد عصاة المؤمنين، لأن الله بين ذلك بقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

فإذا تبين بهذه النصوص بطلان جميع هذه الأقسام، تعين القسم الخامس الذي هو خلودهم فيها أبداً بلا انقطاع ولا تخفيف، بالتقسيم والسبر الصحيح. ولا غرابة في ذلك، لأن خبثهم الطبيعي دائم لا يزول، فكان جزاؤهم دائماً لا يزول، والدليل على أن خبثهم لا يزول، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ...﴾ الآية، فقوله: ﴿خَيْرًا﴾ نكره في سياق الشرط فهي تعم، فلو كان فيهم خير ما، في وقت ما، لعلمه الله، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ وعودهم بعد معاينة العذاب، لا يستغرب بعده عودهم بعد مباشرة العذاب، لأن رؤية العذاب عياناً كالوقوع فيه؛ لا سيما وقد قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾، وقال: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ...﴾ الآية.

وهذا جواب إشكال، وهو: أن آية ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ هي فيمن رأى العذاب، فهذا لو رد إلى الحياة لرجع إلى ما كان عليه، وأما من ذاق العذاب فهذا لا يمكن أن يرجع أبداً.



وعذاب الكفار للإهانة والانتقام، لا للتطهير والتمحيص، كما أشار له تعالى بقوله: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾، وبقوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ والعلم عند الله تعالى)[1].

***

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، للشيخ الشنقيطي، ص ٩٣-٩٧.

المبحث الثاني
الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن

والجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن لقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وفي النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]، والإعداد التهيئة(١)، وقد اتفق أهل السنة على هذا(٢).

وعقد البخاري في كتاب بدء الخلق في صحيحه باباً بعنوان (باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة)، قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الموضع: (قوله: (باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة) أي موجودة الآن، وأشار بذلك إلى الرد على من زعم من المعتزلة أنها لا توجد إلاَّ يوم القيامة، وقد ذكر المصنف في الباب أحاديث كثيرة دالة على ما ترجم به: فمنها ما يتعلق بكونها موجودة الآن، ومنها ما يتعلق بصفتها.

أصرح ما ذُكر فى ذلك ما أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوى عن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها...» الحديث(٣)، يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لما خلق الله عز وجل الجنة قال: يا جبريل أذهب فانظر إليها، فذهب فنظر فقال: يا رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره، ثم قال: اذهب فانظر إليها فذهب فنظر، فقال: يا رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، فلما خلق النار، قال: يا جبريل أذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فقال: يا رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفها بالشهوات، ثم قال: يا جبريل أذهب فانظر إليها فذهب

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١٥)، وشرح لمعة الاعتقاد، ص ١٣١، بتصرف.
(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١٥).
(٣) فتح الباري (٦/ ٣٦٩).



فنظر إليها، فقال: يا رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها»[١].

من الأدلة على أنهما موجودتان الآن الأحاديث التي يذكر فيها النبي ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى أهلهما، كحديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فقا قياماً طويلاً.. الحديث، وفيه: قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت، فقال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرًا قط، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: لمَ يا رسول الله، قال: بكفرهن، قيل: يكفرن بالله، قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط[٢].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار)[٣] والمعدوم لا يرى[٤].

❊❊❊

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار، رقم: ٤٧٤٤)، والترمذي (كتاب صفة الجنة، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، رقم: ٢٥٦٠)، والنسائي (كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله تعالى: رقم ٣٧٦٣)، وهو حديث صحيح، صححه ابن حجر كما تقدم.

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب النكاح، باب كفران العشير، رقم: ٤٩٠١)، ومسلم (كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، رقم ٩٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما، رقم: ٤٢٦).

(٤) وقد أجاب ابن أبي العز إجابات شافية ورد ردوداً وافية على من زعم أنهما لم تخلقا بعد أو أنهما تبيدان، انظر شرح الطحاوية (٢/ ٦١٨).

المبحث الثالث

مكانهما

وفي هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول

مكان الجنة

ذكر شارح لمعة الاعتقاد[١] أن مكان الجنة في أعلى علين لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطففين: ١٨]، ولقوله ﷺ في حديث البراء المشهور فى قصة فتنة القبر: «فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدى في عليين وأعيدوه إلى الأرض»[٢].

وما ذكره فيه نظر، لأن عليين درجة من درجات الجنة كما في حديث أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعما»[٣]، وفي رواية الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما»[٤].

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد، ص ١٣٢، للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

(٢) تقدم تخريجه في المقدمة.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الحروف والقراءات، باب، رقم: ٣٩٨٧)، والإمام أحمد (١١١٩٤)، وسند الإمام أحمد حسن.

(٤) أخرجه الترمذي (كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق، رقم: ٣٦٥٨)، وقال: هذا حديث حسن.



فهذه الرواية فسرت الرواية التي قبلها وبينت أن أهل عليين هم أهل الدرجات العلي، فعليين درجة من درجات الجنة وليست هي مكان لجميع الجنة، والآية تدل على ذلك أيضاً لأنه تعالى قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾، وأهل الجنة فيهم السابقون وفيهم الأبرار المقتصدون وفيهم الظالم لنفسه وكلٌّ له درجته.

والصحيح أن مكان الجنة فوق السماء السابعة وتحت عرش الرحمن، أما كونها فوق السماء السابقة فدل عليه القرآن، قال تعالى: ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥﴾ [النجم: ١٤، ١٥].

وسدرة المنتهي فوق السماء السابعة كما في حديث الإسراء المشهور وفيه «ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا، قال: جبريل، قيل: ومن معك، قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذُهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة..» الحديث[1]، فهذا الحديث يدل أن سدرة المنتهي بعد السماء السابعة، وبما أن الجنة عندها إذن فهي فوق السماء السابعة.

أما كون الجنة تحت عرش الرحمن فدل على ذلك السنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد

(١) أخرجه مسلم عن أنس (كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السموات وفرض الصلوات، رقم: ١٦٢).



فيها، قالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس بذلك، فقال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»[١].

فأعلى درجات الجنة هي الفردوس -كما في الحديث- وفوقه عرش الرحمن، إذن فالجنة تحت عرشه سبحانه.

❊❊❊

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم: ٢٦٣٧).



المطلب الثاني

مكان النار

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ [المطففين: ٧، ٩].

وفي حديث البراء المتقدم: «فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلي»، (سجين فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك، ولهذا أعظم الله أمره فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾، أي أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم، وقد فسر في الحديث بأنه في الأرض السفلى، وقال بعضهم: صخرة تحت الأرض السابعة وقيل بئر في جنهم، وقيل غير ذلك مما لا دليل عليه، ولا قول بعد قول رسول الله ﷺ)[1].

وقال الأصفهاني: (السجين اسم لجهنم بإزاء عليين، وزيد لفظه تنبيهاً على زيادة معناه، وقيل: هو اسم للأرض السابعة)[2].

والظاهر من الآية أن سجين هو اسم للكتاب لأنه تعالى قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾، ولكن قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾، قال: (ليس تفسيراً لقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين، أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد، قاله محمد بن كعب الفرظي)[3]. وهكذا قال الراغب[4] والقاسمي[5].

---

(١) الفتح الرباني شرح المسند للبنا (٧/ ٧٧).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص ٣٩٩.

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٥).

(٤) في مفردات ألفاظ القرآن، ص ٣٩٩.

(٥) في تفسيره محاسن التأويل (٧/ ٣٨٢).

وعليه فيكون قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ ۝٩﴾ تفسير لقوله. ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧﴾، أي أن كتاب الفجار كتاب مرقوم، ويكون قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨﴾ جملة معترضة بين المفسِر والمفسَر.

وهذه الآية ليست صريحة في مكان النار كما استدل بها شارح لمعة الاعتقاد[١].

وقد دلت الأحاديث أن النار يؤتى بها يوم القيامة فتكون في موضع قبل مكان الجنة، لأن الصراط منصوب على جسر جهنم ومن تجاوزه فإنه يصل إلى الجنة، كما دلت على ذلك الأحاديث الكثيرة التي ذكرت في مباحث الصراط المتقدمة، وعليه فالنار قبل الجنة.

ودل حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[٢]، دل أن جهنم لها مكان آخر، ثم يؤتي بها منه إلى مكانه الذي هو قبل الجنة.

وأما مكانها في الدنيا فإني لم أجد نصاً صريحًا يدل على ذلك، وهذه المسألة من مسائل الغيب التي لا تعلم إلا عن طريق الوحي، ولا وحي، فالأسلم في هذا هو التوقف.

وقد عقد البيهقي في كتابه البعث والنشور بابا بعنوان (ما جاء في موضع الجنة وموضع النار)[٣]، وكذا السيوطي في كتابه البدور السافرة في أحوال الآخرة باباً بعنوان (أين الجنة والنار)[٤]، وذكرا فيه بعض أحاديث غير صحيحة أو غير صريحه، وبعض آثار عن الصحابة والتابعين لا تسمن ولا تغني من جوع.

---

(١) ص ١٣٣.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب فى شدة حر نار جهنم وبعد قعرها، رقم: ٢٨٤٢).

(٣) ص ٢٥١.

(٤) ص ٤١١.



والسيوطي لم يجزم بشيء وتبويبه الباب بصيغة السؤال يشعر بهذا، وقد صرح بالتوقف في كتاب آخر حيث نقل الأشقر عنه أنه قال: (ونقف عن النار، أي نقول فيها بالوقف أي محلها حيث لا يعلمه إلا الله، فلم يثبت عندي حديث أعتمده في ذلك). ووافقه على ذلك ولي الله الدهلوي وصديق حسن خان والأشقر[(١)].

ولكن الدهلوي وصديق خان توقفا أيضاً في مكان الجنة وهذا فيه نظر، لأن الجنة قد ثبت في الأحاديث مكانها كما تقدم، وهناك نظر آخر في كلامهم عن النار؛ لأنه قد ثبت تحديد موضع النار يوم القيامة، وإنما الذي لم يثبت هو مكانها قبل يوم القيامة.

ولكن من قال: إن النار في الأرض -كالبيهقي- فقد أبعد النجعة، لأن النصوص الكثيرة تدل على عظم النار، فإنه «يؤتي بالنار يوم القيامة ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[(٢)]، أي أربعة بلايين وتسعمائة مليون ملك يجرونها (٤,٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠)، و«إذا ألقي الحجر من شفير جنهم فإنه يلبث سبعين سنة ليبلغ قعرها»[(٣)]، و«سن الكافر في النار كجبل أحد»[(٤)] ومقعده كما بين مكة والمدينة، ونسبة (٩٩,٩) بالمائة من العالمين في النار، فجهنم أعظم من الأرض بأضعاف مضاعفة، ولعل من أصرح الأدلة على أن النار أعظم من الأرض؛ هو أن الشمس أعظم من الأرض وأكبر منها حجماً -كما

(١) انظر: الجنة والنار للأشقر، ص ٢١.

(٢) رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما تقدم.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها، رقم: ٢٤٨٨).

(٤) أخرج مسلم عن أبي هريرة مرفوعا: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»، (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، رقم: ٢٨٥١).



هو معلوم-؛ ومع هذا فان النار يوم القيامة تلتقم الشمس لتجعلها من حطبها، فكيف بعد هذا يقال: إن النار في قلب الأرض.

وإنما أطلت في هذا لأن بعض المعاصرين يجزمون أن النار في قلب الأرض، مخالفين بذلك العقل والنقل.

***



المبحث الرابع
أصحاب الأعراف

الأعراف جمع عرف، والعرف في اللغة هو الشيء المشرف[١]، وقال في اللسان: هو كل عال مرتفع[٢].

وفي الشرع ؛ قال الراغب: (الأعراف: سور بين الجنة والنار)[٣].

وأما أصحاب الأعراف فقد اختلف فيهم على اثني عشر قولاً فيما ذكره القرطبي[٤]، وبعض هذه الأقوال يدخل في بعض، وبعضها لا دليل عليه والراجح من أقوال العلماء أن الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فمنعتهم حسناتهم من دخول النار وقصرت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة، فيقفون على السور حتى يقضى بين الناس، ثم يدخلهم الله الجنة برحمته.

نقله البيهقي في كتابه البعث والنشور عن جمع من الصحابة والتابعين وقال: (فيه حديثان مرفوعان في إسنادهم ضعف) ورجحه[٥]، ونقله السيوطي عن الصحابة والتابعين الذين ذكرهم البيهقي وزاد عليه صحابة وتابعين آخرين، ونقل عن القرطبي ترجيحه ورجحه هو أيضاً[٦].

قال تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور عن ابن عباس، ص ٨١.

(٢) لسان العرب لاين منظور (٩/ ٢٤١).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٦٢.

(٤) نقلها السيوطي في كتابه البدور السافرة، ص ٤٠٣.

(٥) كتاب البعث والنشور للبيهقي، باب ما جاء في أصحاب الأعراف، ص ٨١ إلى ٨٧.

(٦) البدور السافرة في أحوال الآخرة، باب: أصحاب الأعراف، ص ٣٩٦-٤٠٠.

أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف: ٤٦- ٤٨].

(لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار نبه أن بين الجنة والنار حجاباً وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة، قال ابن جرير: وهو السور الذي قال الله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾، وهو الأعراف الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ﴾ ثم روى بإسناده عن السدي أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞ﴾: هو السور وهو الأعراف. وقال مجاهد: الأعراف حجاب بين الجنة والنار، سور له باب.

قال ابن جرير: والأعراف جمع عرف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفاً، وإنما قيل لعرف الديك عرفاً لارتفاعه.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: الأعراف سور كعرف الديك، وفي رواية عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الأعراف جمع تل بين الجنة والنار، حبس عليه من أهل الذنوب بين الجنة والنار. وفي رواية عنه هو سور بين الجنة والنار.

وكذا قال الضحاك وغير واحد من علماء التفسير، وقال السدي: إنما سمي الأعراف أعرافًا لأن أصحابه يعرفون الناس(١).

واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وجاء فيه أحاديث مرفوعة ولكنها ضعيفة.

---

(١) يقصد أنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ [الأعراف: ٤٦].



وأخرج ابن جرير عن الشعبي عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف قال: فقال: (هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار، قال: فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم).

وقد رواه من وجه آخر أبسط من هذا عن الشعبي قال: أرسل إلى عبدالحميد ابن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش فإذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكراً ليس كما ذكر، فقلت لهما: أن شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة، فقالا: هات، فقلت: إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف، فقال: هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة، ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال لهم: اذهبوا فادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم.

وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال: قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة؟ ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قول الله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ الآيتين.

ثم قال: الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أهل النار ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ تعوذوا بالله من منازلهم.

قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطي كل عبد يومئذ نوراً، وكل أمة نوراً، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَآ

أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾، أما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينزع، فهنالك يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فكان الطمع دخولاً فقال: فقال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلبت آحاده عشراته، رواه ابن جرير.

وقيل: هم أولاد الزنى حكاه القرطبي.

وقال مجاهد: أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء.

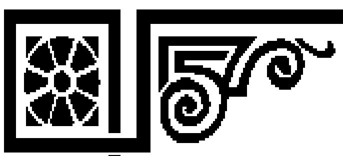
وأخرج ابن جرير عن أبي مجلز في قولة تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، قال: هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار، قال: ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾.

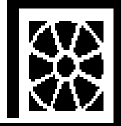
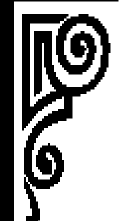
قال: فيقال: حين يدخل أهل الجنة الجنة، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾. وهو غريب من قوله، وخلاف الظاهر من السياق، وقول الجمهور مقدم على قوله بدلالة الآية على ما ذهبوا إليه، وكذا قول مجاهد إنهم قوم صالحون علماء فقهاء فيه غرابة أيضاً والله أعلم.

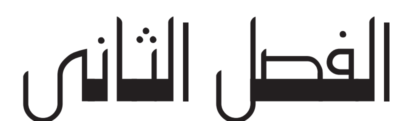
وقد حكي القرطبي وغيرهم فيهم أثنى عشر قولاً، منها أنهم شهداء صلحاء هرعوا من فزع الآخرة، وخلق يطلعون على أخبار الناس، وقيل هم أنبياء وقيل ملائكة. وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، قال ابن عباس: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه)[1].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٦) باختصار وتصرف، وانظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ٢١٥)، وغيره من كتب التفسير.

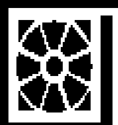


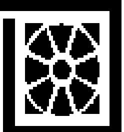





النـــار

- المبحث الأول: أسماء النار.
- المبحث الثاني: خزنة النار.
- المبحث الثالث: صفة النار.
- المبحث الرابع: كيفية دخول أهل النار النار.
- المبحث الخامس: أهل النار.
- المبحث السادس: ما أعد الله لأهل النار من العذاب.
- المبحث السابع: كيف يتقي الإنسان النار.

المبحث الأول

أسماء النار

النار: هي الدار التي أعدها الله للكافرين.

وأسماء النار التي ذكرت في القرآن ثمانية، أولها وأشهرها النار، وأما البقية فهي كالتالي:

٢- سعير: قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفرقان: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك: ٥].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ: وفي يده كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟»، فقلنا: لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً»، ثم قال للذي في شماله: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً».

فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال: «سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل»، ثم قال بيديه فنبذهما ثم قال: «فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير»[١].

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار، رقم ٢١٤١)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٢٦).



قال ابن فارس: (السين والعين والراء أصل واحد يدل على اشتعال الشيء واتقاده وارتفاعه)[١]، (سعر النار والحرب يسعرهما وأسعرهما وسعرهما: أي أوقدهما وهيجهما، ونار سعير: أي مسعورة)[٢]، أي موقدة.

٣- جهنم: قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦﴾ [الملك: ٦]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١﴾ [النبأ: ٢١]، وعن أبي هريرة وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة، فان شدة الحر من فيح جنهم»[٣]، وهذا الاسم من أكثر الأسماء وروداً في الكتاب والسنة، واختلف اللغويون؛ أأعجمي هو أم عربي؟ فقيل: هو أعجمي، وهو تعريب كِهِنَام بالعبرانية.

وقيل: بل هو عربي، ثم اختلفوا في اشتقاقه ؛ فقيل: من قولهم بئر جهنام أي بعيدة القعر، وقيل: من الجهمة وهي أول مآخير الليل، ويقال: جَهمة الليل وجُهمته[٤]، وقيل: هي ما بين أول الليل إلى ربعة[٥].

فتكون جهنم سميت بذلك إما لبعد قعرها وهذا ثابت، أو لظلمتها واسودادها وهي كذلك.

أما بعد قعرها فيدل على ذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة، فقال: «أتدرون ما هذا؟»، قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار، الآن حتى

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٧٥).

(٢) لسان العرب (٤ / ٣٦٤).

(٣) متفق عليه: البخاري (كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر قي شدة الحر، رقم: ٥٣٦)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر، رقم: ٦١٥).

(٤) انظر: لسان العرب (١٢/ ١١٠، ١١١، ١١٢) بتصرف وتقديم وتأخير وترتيب.

(٥) معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٩٠).



انتهى إلى قعرها»(١).

وأما سوادها وظلمتها، فدل على ذلك أدلة منها: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أبيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة»(٢). وهذا الحديث فيه ضعف يسير ولكن يشهد له ما أخرجه مالك في الموطأ عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفاً قال: «أترونها حمراء كناركم هذه، لهى أسود من القار، والقار الزقت»(٣). وهذا لا يقال من قبل الرأي فهو مرفوع حكما.

٤ – لظى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: ١٥-١٨]، (اللظي: اللهب الخالص)(٤) ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ [الليل: ١٤، ١٥]، (التظاء النار التهابها، وتلظيها تلهبها، وقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾، أي تتوهج وتتوقد)(٥)، ولم أجد في السنة ذكر هذا الاسم(٦).

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها، رقم: ٢٨٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب صفة جهنم، باب ما جاء أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جنهم رقم: ٢٥٩١)، وقال: حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك. أهـ. وضعف الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ٤٧٠).

(٣) موطأ مالك (٢/ ١٧٣) (كتاب الجامع، باب في صفة جنهم، رقم: ٢٠٩٩)، وصححه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ٤٧٠) وقال: وله شاهد آخر من حديث أنس مرفوعاً (ونار جنهم سوداء مظلمة) أخرجه البزار بسند ضعيف. فيكون لدينا حديثان مرفوعان ضعيفان، وأثر موقوف صحيح، والاشتقاق اللغوي يدل عليه أيضًا.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص ٧٤٠.

(٥) لسان العرب (١٥/ ٢٤٨).

(٦) ومن لطيف ما يذكر في هذا الموضع ما أخرجه الإمام مالك في الموطأ (كتاب الجامع، باب ما يكره من الأسماء رقم: ٢٠٥٠)، عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب قال لرجل: ما اسمك؟ فقال: جمرة فقال: ابن من؟ فقال: ابن شهاب، قال: ممن؟ قال: من الحرقة، قال: أين مسكنك؟ قال: بحرة النار، قال: بأيها؟ قال: بذات لظى، قال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا، قال: فكان كما قال عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



٥- سقر: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر: ٢٦-٣٠]، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [القمر: ٤٨]، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾[1]، (السقر البعد، وسقرته الشمس لوحته وألمت دماغه بحرها، ويوم مسمقر شديد الحر)[2].

وسميت سقر بذلك إما لبعد قعرها أو لشدة حرها، وكلا المعنيين ثابت لها.

٦- الهاوية: ﴿فَأُمُّهُۥ[3] هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٩-١١]، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «(إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: أخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتون به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، لهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان، ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية.

وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون: أخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله عَزَّوَجَلَّ، فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتون به باب الأرض فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار)[4].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب القدر، باب كل شيء بغدر، رقم: ٢٦٥٦).

(٢) لسان العرب (٤/ ٣٧٢).

(٣) فأمه: فمستقره، وسيأتي شرحها في الصفحة التالية.

(٤) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، باب ما يلقي به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، رقم: ١٨٣٣) وسنده صحيح.

(هوى وأهوى وأنهوى: سقط من علو إلى أسفل)[١]، و(الهاوية كل مهواة لا يدرك قعرها)[٢]، وسميت النار بالهاوية لعبد قعرها، فمن سقط يهوي فيهان ومعنى أمه هاوية: أي مستقره الهاوية.

٧- الحطمة: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: ٤-٩]، قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ الحطمة اسم النار مثل سقر ولظى)[٣]، و(الحطم الكسر في أي وجه كان، وقيل: هو كسر الشيء اليابس خاصة كالعظم ونحوه)[٤]، وسميت النار بذلك لأنها تحطم رأس وعظام كل من دخلها.

ولم أجد في السنة ذكر هذا الاسم، ولكن وجدت حديثا فيه ذكر صفة الحطم في جهنم، عن عروة أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عَمْراً يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب»[٥].

٨ – الجحيم: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ [الدخان: ٤٧].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عَزَّ وَجَلَّ عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم،

---

(١) لسان العرب (١٥/ ٣٧٠).

(٢) لسان العرب (١٥/ ٣٧٣).

(٣) صحيح البخاري (كتاب تفسير القرآن، سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾.

(٤) لسان العرب (١٢ / ١٣٧).

(٥) متفق عليه: البخاري (كتاب الجمعة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة، رقم: ١١٥٤)، ومسلم (كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، رقم: ٩٠١)، و(عمرو) هو عمرو بن لحي الخزاعي الذي أدخل عبادة الأصنام والكثير من البدع على العرب.

وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم»[١].

الجاحم: المكان الشديد الحر، وجَحَم النار أوقدها، ورأيت جحمة النار أي توقدها، وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾، وكل نار توقد على نار، جحيم، وهي نار جاحمة[٢].

وسميت النار بالجحيم لأنها نار عظيمة في مهواة، وهي نار توقد على نار كما قال تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾ [الهمزة: ٦]، أي التي أوقد عليها.

هذه هي الأسماء التي يذكرها العلماء للنار، ولكني وجدت أيضًا أسمين محتملين وهما:

٩- سجيل: قال تعالى: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ [الفيل: ٤]، (في الصحاح: (حجارة من سجيل)، قالوا: حجارة من طين، طبخت بنار جنهم مكتوب فيها أسماء القوم، لقوله تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الذاريات: ٣٣، ٣٤].

(وقال عبد الرحمن بن أبزي: ﴿مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾: من السماء، وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط، وقيل: من الجحيم)[٣]، يعني قوله: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي من الجحيم، وهذا قول من الأقوال، وإن كان جمهور العلماء على أن معنى سجيل هو الطين المطبوخ بالنار.

---

(١) أخرجه النسائي (كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على معمر فيه، رقم: ٢١٠٤)، وأصله في الصحيحين.

(٢) انظر: لسان العرب (١٢/ ٨٤) بتصرف وتقديم وتأخير.

(٣) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٣٥).

١٠ – سجين: قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطففين: ٧]، قال الأصفهاني: (السجين اسم لجنهم بإزاء عليين)(١).

وسجين: هي على وزن فعيل، صيغة مبالغة من السجن مثل سكير وشريب. وتقدم شرحها.

هذا وقد ذهب بعضهم أن هذه الأسماء إنما هي أسماء لأبواب جنهم، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾ [الحجر: ٤٤]: (جنهم والسعير ولظى والحطمة وسقر والجحيم والهاوية، وهي أسفلهم)(٢)، وأخرج البيهقي فيه حديثاً مرفوعاً ولكنه مرسل وفيه راو ضعيف(٣).

وقال بعضهم: إن هذه الأسماء إنما هي لدركات النار(٤)، والصحيح أن هذه الأسماء للنار لا لأبوابها ولا لدركاتها، لأن الآثار التي ذكرت ضعيفة، وجميع المفسرين عند تفسيرهم للآيات السابقة إنما يذكرون أن هذه الأسماء أسماء للنار لا غير، وسياق الآيات يدل أن المراد هو النار نفسها لا أبوابها ولا دركاتها، خذ مثلاً على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾ [الفرقان: ١١]، فيبعد أن يكون المعنى: وأعتدنا لمن كذب بالساعة بابا، وكذا قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾ ليس معناه لينبذن في باب اسمه الحطمة، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦﴾ نص في أن هذا

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص ٣٩٩.

(٢) قال السيوطي في البدور السافرة، ص ٤١٣: أخرجه ابن أبي حاتم.

(٣) انظر: كتاب البعث والنشور للبيهقي، ص ٢٥٥، باب ما جاء في عدد أبواب جنهم، أخرج فيه عن الخليل بن مرة أن رسول الله ﷺ قال: (... الحديث) وفيه: «وأبواب جنهم سبع: جنهم والحطمة... إلخ»، قال البيهقي بعده: هذا منقطع –يعني مرسل، كما هو أسلوب الأقدمين– والخليل بن مرة فيه نظر.

(٤) انظر: البعث والنشور للبيهقي، ص ٢٥٥.



اسم للنار، وكذا قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٩-١١]، وقوله: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [القمر: ٤٨].

ومعاني الأسماء تقوي هذا الرأي أيضاً، فالنار كلها تلتهب وتستعر وتتلظى وتسقر، وهي كلها سوداء لا بابها فقط ولا جزء من أجزائها، وهي هاوية بعيدة القعر ليس الباب، ولا أظن أن النار ليس فيها إلا سبع دركات فقط، قال تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ وأهل النار ليسوا على سبعة مستويات فقط، فمنهم من يوضع تحت رجله جمرة من النار فيغلي منها دماغه وهو أهون أهل النار عذاباً، ثم يتدرج العذاب حتى يصل إلى عذاب المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، أعاذنا الله من حالهم ومآلهم.

❊❊❊

المبحث الثاني

خزنة النار

فى هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

عدد خزنة النار

قد بين الله لنا عددهم فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠﴾ [المدثر: ٢٧-٣٠]، فعددهم تسعة عشر ملكاً.

ولكن قال القرطبي: (والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر، هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾. وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»)(١).

وهذا خلاف ظاهر النص، واستدلاله بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ استدلال بعيد الدلالة لأن البحث في عدد خزنة النار لا في عدد جنود الرب سبحانه وتعالى، واستدلالة كذلك بحديث عبد الله بن مسعود ضعيف، لأن هؤلاء هم الذين يسحبون جهنم لا الذين يحرسونها، ويستأنس للقول بأنهم تسعة عشر ملكاً فقط بالحديث الذي أخرجه الترمذي عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي ﷺ: هل يعلم نبيكم كم عدد خزنة جنهم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا.

(١) تفسير القرطبي (١٩/ ٥٣).



فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد غلب أصحابك اليوم، قال: «وبما غلبوا؟» قال: سألهم يهود: هل يعلم نبيكم كم عدد خزنة جهنم؟ قال: «فما قالوا؟»، قال: قالوا لا ندري حتى تسأل نبينا. قال: «أفغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا؟! لكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا أرنا الله جهرة. عليَّ بأعداء الله إني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك».

فلما جاءوا قالوا: يا أبا القاسم كم عدد خزنة جنهم، قال: هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة، قالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ: ما تربة الجنة، قال: فسكنوا هنية، ثم قالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال رسول الله ﷺ: الخبز من الدرمك»[1].

وما بعدها من الآيات يدل عليه أيضاً حيث قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر: ٣١]، فقد ذكر المفسرون أن أبا جهل لما سمع أن عدد خزنة جهنم تسعة عشر قال: أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم، ثم تخرجون من النار؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ﴾، أي لم نجعلهم رجالاً فتتعاطون مغالبتهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، أي إلا عدة من شأنها أن يفتتن بها الكافرون فيجعلونها موضع البحث والاستهزاء[2]، فهذا يدل أنهم فهموا أن عددهم تسعة عشر ملكا، لا نقيباً ورئيساً، وأقرهم الوحي بذلك، وهذا فهم المفسرين.

قال البيهقي: (وأكثر أهل التفسير على أنهم تسعة عشر ملكاً مع مالك خارن النار)[3]، وقال ابن رجب: (والمشهور بين السلف والخلف أن الفتنة إنما جاءت

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المدثر، رقم: ٣٣٢٧) وسنده ضعيف، لذلك قلت: يستأنس.

(٢) انظر: تفسير القاسمي (٧/ ٢١٢)، والقرطبي (١٩/ ٥٢) وغيرهما.

(٣) البعث والنشور، للبيهقي، ص ٢٥٦.

من حيث ذكر عدد الملائكة الذين اغتر الكفار بقلتهم، وظنوا أنهم يمكنهم مدافعتهم وممانعتهم، ولم يعلموا أن كل واحد من الملائكة لا يمكن للبشر كلهم مقاومته)[1].

ولعل الذى حدى القرطبي إلى القول أنهم أكثر من تسعة عشر هو استبعاده ان تكون هذه النار العظيمة لا يحرسها إلاَّ تسعة عشر ملكا؛ ولا غرابة في ذلك فهذا ملك الموت هو ملك واحد ويقبض في اللحظة الواحدة الآلاف من أرواح البشر، بل هذا عرش الرحمن أعظم من النار بأضعاف مضاعفة وهو أعظم المخلوقات، ومع هذا يحمله يوم القيامة ثمانية من الملائكة فقط، ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧]، فلا يبعد أن يعطيهم الله من القوة العظيمة التي تمكنهم من حراسة النار حراسة شديدة، وسيأتي في المباحث القادمة بيان صفاتهم.



(١) التخويف من النار، ص ١٧٤.



المطلب الثاني

أسماء خزنة النار

أما كبير خزنة النار فهو مالك عليه السلام وجاء ذكره في الكتاب والسنَّة، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

(﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ﴾ وهو خازن النار، أخرج البخاري عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، أي يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن به، فإنهم كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم﴾، وقال عز وجل: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾. قال ابن عباس: مكث ألف سنة ثم قال: إنكم ماكثون، رواه ابن أبي حاتم، أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها)[(١)].

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟»، قال: فإن رأى أحد قصها فيقول ما شاء الله، فسألنا يوماً فقال: «هل رأى أحد منكم رؤياً؟» قلنا: لا، قال: «لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد» -قال بعض أصحابنا عن موسى-: إنه «يدخل ذلك الكلوب في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله.

قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٥).

فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه يفهر أو صخرة فيشدخ به رأسه فإذا ضربة تنهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه. قلت: من هذا؟ قالا: انطلق.

فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته ناراً، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فغذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة. فقلت: من هذا؟ قالا: انطلق.

فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر -قال يزيد ووهب بن جرير عن جرير بن حازم -وعلى شط النهر- رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان.

فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق.

فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان. ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل، فيها شيوخ وشباب. قلت: طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت؟

قالا: نعم، أما الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة، والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة، والذي رأيته في الثقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر أكلوا الربا،



والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي بوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك، قلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملت أتيت منزلك»(١).

وأما أسماء الباقين فلم يثبت تسميتهم إلاَّ أن الله سماهم الزبانية، قال تعالى: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق: ١٨].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر أبو جهل فقال: ألم أنهك؟ فانتهره النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له أبو جهل: لم تنتهرنى يا محمد، فوالله لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني؟ قال: فأنزل الله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾، قال: فقال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو فعله لأخذته الملائكة»(٣).

وفي رواية الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال في قوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي لا طأن على عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم: ١٣٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة أقرأ باسم ربك، رقم: ٣٣٤٩)، وقال: حسن غريب صحيح، وأخرجه أحمد (٢٣١٧) واللفظ له، وسند الحديث صحيح وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٣/ ٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا ...﴾، رقم: ٤٦٧٥).

(٤) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة اقرأ باسم ربك، رقم ٣٣٤٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم، قال فقيل: نعم، فقال: واللات والعزي لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأغفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولاً وأجنحة.

قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾[١].

***

(١) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾، رقم: ٢٧٩٧).



المطلب الثالث

صفاتهم

وأردت بهذا المطلب ذكر صفاتهم الزائدة عن الصفات العامة المشتركة للملائكة، وقد ذكر الله تعالى من صفاتهم صفتين مميزتين، وهاتان الصفتان شاملتان لجميع الصفات، وهما: الغلظة والشدة، فخُلُفهم غليظ، وخَلْقهم شديد، فكل ما يمكن تصوره من الغلظة والشدة فهي فيهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

وقد ذكر الله جل جلاله بعض المواقف التي تبين شيئاً من غلظتهم مع أصحاب النار، فزيادة على عذاب الكافرين في النار فإنهم يعذبونهم عذاباً نفسياً بالتوبيخ والتعنيف والتبكيت، فيلومونهم على كفرهم بالله وإعراضهم عن المرسلين، ويسألونهم سؤال توبيخ وتعنيف عن سبب هذا الكفر والإعراض، ويسألونهم هذا السؤال في ثلاثة مواطن، عند فتح أبواب جهنم لهم، وعند دخولهم النار، وعند سؤال أهل النار خزنة جهنم أن يشفعوا لهم عند الله في تخفيف العذاب:

الموطن الأول: قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر: ٧١، ٧٢].

الموطن الثاني: قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩

وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ٨-١١].

الموطن الثالث: قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يلقي على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم، فيقولون: أدعوا خزنة جهنم، فيقولون: ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟ قالوا: بلى، قالوا: فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال قال فيقولون: أدعوا مالكاً، فيقولون: يا مالك ليقض علينا ربك، قال: فيجيبهم إنكم ماكثون».

قال الأعمش: نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام.

«وقال فيقولون: أدعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم، فيقولون: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، قال: فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون، قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل»[١].

ولم أجد في السنة شيئاً من ذكر صفاتهم، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة طعام أهل النار، رقم: ٢٥٨٦)، وهو حسن.



المبحث الثالث

صفة النار

وفيه مطالب:

١- أبواب النار:

أبواب النار سبعة كما نص الله تعالى على ذلك في قوله سبحانه: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٤]، وهذه الأبواب تفتح في وجوه الكفرة عندما يقتربون، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، والظاهر من الآية أن هذه الأبواب مغلقة فإذا جاءها الكفرة فتحت، ولكن ثبت في السنَّة أن أبواب النار مفتوحة الآن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين»(١). يدل هذا الحديث بمفهومه أنها في غير رمضان مفتحة، وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المفهوم في حديث آخر وهو حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أبردوا عن الصلاة فى الحر، فإن شدة الحر من فيح جهنم أو من فيح أبواب جهنم»(٢).

فهذه الأحاديث تدل أن أبواب النار الآن مفتحة، والآية تدل أنها مغلقة، فالظاهر أن هذا إنما يكون يوم القيامة، فتغلق الأبواب ثم تفتح في وجوه الذين كفروا فاذا دخلوها غلقت وأوصدت مرة أخرى فلا يخرجون منها أبداً، قال

---

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان، ومن رأي كله واسعاً، رقم: ١٨٠٠)، ومسلم (كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان رقم: ١٠٧٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٠٢١٤) وأصله في الصحيحين.

تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: ٤-٩].

ومن المعلوم عقلاً أن الإنسان إذا كان في بيت أو سجن أو مبنى، وأراد الهروب من هذا المكان فإنه ليس له إلا طريقان، إما أن يكون الباب مفتوحاً فيهرب منه، أو يكون سور هذا المبنى قصيراً فيقفز من فوقه، وليس هناك طريق ثالث، وقد سد الله تعالى هذين الطريقين في وجوه أهل النار، فأبواب النار مؤصدة مغلقة، وأسوارها ذات عمد ممدة طويلة لا يمكن تخطيها، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾.

ولم يثبت شيء في أسماء هذه الأبواب، ومن زعم أن أسماء النار هي أسماء أبوابها فقد أخطأ، وتقدم هذا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال القرطبي: فمن هذه الأسماء ما هو علم للنار كلها بجملتها نحو جهنم وسقر ولظى، فهذه الأعلام وليست لباب دون باب، وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما قال)[(١)].

٢- دركات النار :

لجهنم دركات كما أن للجنة درجات، (والدرك أقصى قعر الشيء)[(٢)]، قال الراغب: (الدرك كالدرج، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود، والدرك اعتبارًا بالحدور، ولهذا قيل: درجات الجنة، ودركات النار)[(٣)].

---

(١) النهاية لابن كثير (٢/ ١٧٣).
(٢) انظر: لسان العرب (١٠/ ٤٢٢)، ومختار الصحاح للرازي، ص ٢٠٣.
(٣) مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، ٣١١.



وقد يطلق على منازل النار درجات كقوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣]، وفي سورة الأنعام ذكر الله أهل الجنة والنار ثم قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢]. وقال سبحانه: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٢، ١٦٣].

وتتفاوت دركات أهل النار بحسب أعمالهم وسيئاتهم، وقد ذكر ابن تيمية هذا في معرض حديثه عن الحساب عندما سئل عن الكفار: هل يحاسبون يوم القيامة أم لا؟ فأجاب:

(هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم، فممن قال إنهم لا يحاسبون: أبو بكر عبد العزيز، وأبو الحسن التميمي، والقاضي أبو يعلي، وغيرهم. وممن قال: إنهم يحاسبون: أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو طالب المكي.

وفصل الخطاب: أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات؟ فإن أريد بالحساب المعنى الأول: فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار، وإن أريد المعنى الثاني، فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة، فهذا خطأ ظاهر، وإن اريد أنهم يتفاوتون في العقاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذاباً من أبي لهب، فهذا حق، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، والنار دركات فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذابا من بعض -لكثرة سيئاته وقلة حسناته- كان الحساب

لبيان مراتب العذاب، لا لأجل دخولهم الجنة)(١).

ويدل على أن الناس تختلف درجاتهم بحسب أعمالهم عموم قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣]، وفي سورة الأنعام ذكر الله أهل الجنة والنار ثم قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢]، وقال سبحانه: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ (آل عمران: ١٦٢-١٦٣).

ومما يدل عليه أيضاً حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أهون أهل النار عذابا رجل في رجليه نعلان يغلي منهما دماغه، ومنهم من في النار إلى كعبيه مع إجراء العذاب، ومنهم من في النار إلى ركبتيه مع إجراء العذاب، ومنهم من اغتمر في النار إلى أرنبته مع إجراء العذاب، ومنهم من هو في النار إلى صدره مع إجراء العذاب، ومنهم من قد اغتمر في النار»، قال عفان: مع إجراء العذاب قد اغتمر(٣).

وعن مرثد بن عبد الله عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القاتل والآمر قال: «قسمت النار سبعين جزءاً، فللآمر تسع وستون وللقاتل جزء، وحسبه»(٤).

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٥).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها، رقم: ٢٨٤٥).
(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٠٧١٦)، وسنده صحيح.
(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٥٥٧)، وسنده حسن. وضعفه بعضهم (السلسلة الضعيفة ٤٠٥٥).



وفي هذه الأحاديث رد على من زعم أن النار سبع دركات، قال ابن كثير: (قال القرطبي: قال العلماء: أعلى الدركات جهنم وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد، وهي التي تخلى من أهلها فتصفق الرياح أبوابها، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم السقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. وقال الضحاك: في الدرك الأعلى المحمديون، والثاني النصاري، والثالث اليهود، والرابع الصابئون، والخامس المجوس، والسادس مشركو العرب، والسابع المنافقون)، ثم قال ابن كثير: (كل هذه المراتب وتخصيصها فهو مما يحتاج إثباته إلى سند صحيح إلى المعصوم)(١).

هذا وقد ذكر الله لنا أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥]، وكونهم في الدرك الأسفل يستلزم أنهم في أشد العذاب.

وليست هذه الدركة مختصة بالمنافقين فقط بل معهم غيرهم، فقد ذكر الله تعالى لنا ثلاث أصناف من الناس أنهم في أشد العذاب:

الأول: فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

الثاني: اليهود الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥].

الثالث: الذين كفروا من أصحاب المائدة: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ

(١) النهاية (٢/ ١٧٣).

مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ (المائدة: ١١٢-١١٥).

وأما أهون أهل النار عذابا فهو رجل ينتعل نعلين يغلي منهما دماغة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه»[(١)].

وهذا الرجل هو عم النبي صلى الله عليه وسلم أبو طالب، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغة»[(٢)] ولولا كرامة النبي صلى الله عليه وسلم لكان في الدرك الأسفل من النار. فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[(٣)]، وهاتان النعلان عبارة عن جمرتين، عن النعمان رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة -وفي رواية: جمرتين- يغلي منهما دماغة»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، رقم: ٢١١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابا، رقم: ٢١٢).

(٣) متفق عليه: البخاري (كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، رقم: ٣٦٧٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي لأبي طالب، والتخفيف عنه بسببه، رقم: ٢٠٩).

(٤) متفق عليه: البخاري (كتاب الرقاق، صفة الجنة والنار، رقم: ٦١٩٣)، ومسلم (كتاب الإيمان باب أهون أهل النار عذاباً رقم: ٢١٣).



٣- وقودها:

وقود جنهم ليس هو وقود نار الدنيا بل وقودها من نوع آخر وهم البشر والحجر، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئًا وَأُولَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران: ١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

ولا تزال جهنم يلقي فيها من الناس وهي تطلب الزيادة: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠]، ولا تقف عن طلب الزيادة حتى يضع رب العزة قدمه فيها. وهذه الحجارة ليست حجارة عادية بل هي حجارة من كبريت، ورد هذا ن ابن مسعود[(١)] وابن عباس وعمرو بن ميمون[(٢)]، قال القرطبي: (خصت حجارة الكبريت بذلك لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب: بسرعة الاتقاد، ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت)[(٣)].

٤- شدة حرها:

وصف الله تعالى عذاب جهنم وحرارتها بأوصاف كثيرة تدل على شدة حرها فقد أعدها الله لأهل الشقاوة، قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾

---

(١) أخره البيهقي في البعث والنشور، ص ٢٧٣.

(٢) انظر: البدور السافرة للسيوطي، ص ٤٢٦.

(٣) انظر: المصدر السابق في نفس الموضع.

[النبأ: ٢١]، أي معدة إعداداً تامـاً، وقال تعالى: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١].

وبين لنا النبي ﷺ قدر هذه الشدة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «فضلت عليهن بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها»(١).

وبلغ من حراراتها أنها اشتكت من حرارة نفسها لربها ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ «اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضا؟ فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير»(٢)، وإذا كان أهون أهلها عذاباً من يوضع تحت قدمه جمرة فيغلي منها دماغه ؛ فما بالك بأشدهم عذاباً.

٥- النار تتكلم وتبصر وتغضب:

كما أن نار جهنم تختلف عن نار الدنيا فى الشدة والعظم، فهي كذلك تختلف عنها بالإدراك، فنار الدنيا لا إدراك لها، وأما جهنم فإنها تدرك، فهي تتكلم وتبصر وتغضب، أما كلامها فيقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق. ٣٠].

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٩٧)، ومسلم (كتاب الجنة والصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد نعرها، رقم: ٢٨٤٣).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر، رقم: ٥١٢)، ومسلم (المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر، رقم: ٦١٧).



وعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضاً... الحديث»[(١)].

وأما رؤيتها للناس فيقول تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١١، ١٢]، فقوله: ﴿رَأَتْهُم﴾ يدل أنها تبصر، وقوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ يدل أنها تتكلم، وقوله: ﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ يدل أنها تغضب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت، بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين»[(٢)].

وأما غضبها فيقول سبحانه: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [الملك: ٧، ٨]، ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢]، فهي تشهق وتزفر من غيظها على الكافرين، بل تكاد تتميز أي تتقطع[(٣)] من شدة غضبها عليهم.

٦- أشجار النار:

في النار أشجار، ومن هذه الأشجار شجرة الزقوم، وهي شجرة لا نفع فيها، فهي لا ظل لها ينعمون به، ومنظرها بشع، فطلعها كأنه رؤوس الشياطين، وما الظن بشجرة تنبت في أصل الجحيم، وإنما القصد من وضع هذه الشجرة هو تعذيبهم بها فيأكلون من ثمرها ظناً منهم أنه ينفعهم فما يزيدهم إلا عذاباً، فإذا

---

(١) متفق عليه وتقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار، رقم: ٢٥٧٤) وإسناده صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني (٢/ ٣٢٠).

(٣) مفردات القرآن للراغب، ص ٧٨٣.



أكلوه بدأ يغلي في بطونهم، فيفزعون يبحثون عن الماء ليطفئ الغليان الذي في بطونهم فيشربون من ماء الحميم يكرعون منه كرعـًا فيقطع أمعاءهم ويتضاعف العذاب عليهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٣-٤٩].

المهل: قيل هو عَكِر الزيت(١)، وقيل: النحاس المذاب(٢)، فيبدأ يغلي في بطنه كما يغلي الحميم وهو الماء الحار.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦].

قوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾، أي على الزقوم ليطفأ غليانه، ﴿ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾: (هي الإبل العطاش وأحدها أهيم والأنثى هيماء، ويقال هائم وهائمة، قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة: الهيم الإبل العطاش الظماء وعن عكرمة أنه قال: الهيم الإبل المراض تمص الماء مصاً ولا تروى، وقال السدي: الهيم داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً)(٣).

وقال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ

(١) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ص ٧٨١.
(٢) تفسير القرطبي (١٦/ ١٠٠).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٥).



﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات: ٦٢-٦٨]،، فبعد شربهم من الحميم يرجعون مرة أخرى إلى النار، فهذا حالهم من شجر الزقوم إلى ماء الحميم إلى نار الجحيم، ثم إلى شجرة الزقوم مرة أخرى، وهكذا كأنه في طواف، قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٣، ٤٤]، (الحميم الآن): هو الماء الذي بلغ أقصى حرارته.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾، قال رسول الله ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه»[1]، فطعمها علقم، فإذا دخل الجوف أخذ يغلي، وصدق الله ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾، إنها حقاً فتنة وأي فتنة.

وهي الشجرة الملعونة في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء: ٦٠].

فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾، قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ أسرى به إلى بيت المقدس، قال: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾: هي شجرة الزقوم[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم: ٢٥٨٥)، وابن ماجه (كتاب الزهد، باب صفة النار، رقم: ٤٣٢٥) بسند صحيح، وصححه الأرنؤوط في جامع الأصول (١٠/ ٥١٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، باب المعراج، رقم: ٣٦٧٥).

٧- وديان النار:

جهنم فيها وديان وهذا لا يستغرب فالأرض -هذا الكوكب الصغير مقارنة بالنار- فيها الوديان الكثيرة، فلا يستغرب أن تكون النار فيها أودية وشعاب.

وقد سمي الله تعالى بعض أسماء هذه الأودية، وهي كالتالي:

(١) وادي الويل:

قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١].

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً يهوي به كذلك فيه أبداً»[١]، وورد هذا الحديث عن أبي سعيد موقوفا[٢]، وورد أيضاً عن ابن مسعود والنعمان بن بشير نحوه من قولهما[٣]، وهذه الآثار تشهد لمعني الحديث السابق.

(٢) وادي الغيَّ:

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم: ٥٩]، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير قوله ﴿غَيًّا ۝٥٩﴾: (هو واد في جهنم يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات)[٤]، وقال البراء بن عارب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الغي واد في جهنم بعيد القعر منتن الريح)[٥]، وهذا لا يقال من قبل

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الأنبياء، رقم: ٣١٦٤) وأحمد (١١٣١٥)، وأبو يعلي الموصلي (٢/ ٥٢٣)، تحقيق حسين أسد، وابن أبي الدنيا في صفة النار، ص ٣٦، تحقيق محمد خير رمضان، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي -كما ذكر المحققان- وتشهد له الآثار التالية.

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ٢٥٨.

(٣) انظر: البدور السافرة للسيوطي، ص ٤١٧، ٤١٨.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار، ص ٤١، وانظر: البدور السافرة، ص ٤١٨.

(٥) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ٢٦٠، وانظر: البدور السافرة، ص ٤١٩.



الرأي فله حكم إلرفع.

(٣) وادي الموبق:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ [الكهف: ٥٢]، قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾: (واد من قبح ودم)[1].

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (واد في النار عميق، فرق يوم القيامة بين أهل الهدي والضلالة)[2]، (قوله ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾، قال ابن عباس وقتادة وغير واحد: مهلكاً، وقال قتادة: ذكر لنا أن عمراً البكالي حدث عن عبد الله بن عمرو قال: هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدي وأهل الضلالة، وقال قتادة: ﴿مَّوْبِقًا﴾ وادياً في جهنم.

وأخرج ابن جرير عن أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾، قال: واد في جهنم من قبح ودم، وقال الحسن البصري: ﴿مَّوْبِقًا﴾ عداوة.

والظاهر من السياق ههنا أنه المهلك ويجوز أن يكون ودايأ في جهنم أو غيره والمعنى أن الله تعالى بين أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه فرق بينهم وبينها في الآخرة فلا خلاص لأحد من الفريقين إلى الآخر بل بينهما مهلك وهول عظيم وأمر كبير.

وأما إن جعل الضمير في قوله ﴿بَيْنَهُم﴾ عائدًا إلى المؤمنين والكافرين كما قال عبد الله بن عمرو: إنه يفرق بين أهل الهدي والضلالة به، فهو كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾،

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ٢٦١، وانظر: البدور السافرة، ص ٤١٩.
(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ٢٦١، وانظر: البدور السافرة، ص ٤١٩.



وقال تعالى: ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡ ﴾ -إلى قوله- ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾)[١].

٨- **لون النار:**

لونها سوداء، وهذا مستنبط من اسمها حيث إن من أسماء النار جهنم، وجهنم مشتقة من الجهمة، والجهمة هو بقية سواد من آخر الليل[٢].

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المرسلات: ٣٢، ٣٣]، قال ابن كثير: (أي كالإبل السود، قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير)[٣]، وقال القرطبي: (وقيل: القصر: الجبل، فشبه الشرر بالقصر في مقاديره، ثم شبهه في لونه بالجمالات الصفر، وهي الإبل السود، والعرب تسمي السود من الإبل صفراً، قال الشاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي ... هن صفر أولادهن كالزبيب

أي: هن سود.

وإنما سميت السود من الإبل صفرًا لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة ؛ كما قيل لبيض الظباء: الأدم ؛ لأن بياضها تعلوه كدرة: والشرر إذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار أشبه شيء بالإبل السود لما ينوبها من صفرة. وفي شعر عمران ابن حطان الخارجي:

دعتهم يأعلى صوتها ورمنهم ... بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى)[٤]

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٩٠).
(٢) لسان العرب (١٢/ ١١١)، وتقدم تفصيل هذا.
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٠).
(٤) تفسير القرطبي (١٩/ ١٠٧).



وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة»[١].

وهذا الحديث فيه ضعف يسير، ولكن صح موقوفاً على أبي هريرة كما ذكر هذا الترمذي، ويشهد له ما أخرجه مالك في الموطأ عن أبي هريرة قال: (أترونها حمراء كناركم هذه؟ هي أسود من القار، والقار الزفت)[٢]، وهذا لا يقال من قبل الرأي، فهو مرفوع حكمًا.

٩ - سعة النار وبُعد قعرها وعظم عمقها:

ويدل على ذلك أمور كثيرة منها:

الأول: أن من أسماء النار الهاوية، أي يهوى بها لبعد قعرها، ومن أسمائها: جهنم: قال ابن منظور فى لسان العرب: (الجهنام القعر البعيد، وبئر جهنم وجهنام بكسر الجيم والهاء: بعيدة القعر، وبه سميت جهنم لبعد قعرها)[٣]، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنا مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذ سمع وجبة فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «تدرون ما هذا؟» قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب صفة جهنم، باب ما جاء أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، رقم: ٢٥٩١)، وقال: حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك. اهـ. وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ٤٧٠).

(٢) تقدم تخريجه وهو في موطأ مالك، وصححه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ٤٧٠)، وله شاهد آخر من حديث أنس مرفوعاً: (ونار جهنم سوداء مظلمة) أخرجه البزار بسند ضعيف.

(٣) لسان العرب (١٢/ ١١٣).

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها، رقم: ٢٨٤٤).

الثاني: أن الكافر يُكَبَّر حجمه في النار، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»[١].

والذين يدخلون النار هم نسبة تسع وتسعين وتسعة من العشرة بالمائة (٩,٩٩٪) من الناس، كما جاء ذلك في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد...» الحديث[٢].

ومع هذا العدد الهائل من الناس بهذا الحجم الكبير للكفار فإنها لا تمتلىء بل وتطلب المزيد؟ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط قط وعزتك، ويزوي بعضها إلى بعض»[٣].

الثالث: يدل على عظمها أيضاً كثرة الذين يجرونها من الملائكة، فقد فسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله تعالى - ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] بأن الذين يجيئون بها ملائكة، فعن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، رقم: ٢٨٥١).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم ٣١٧٠)، ومسلم (الإيمان باب قوله: «يقول الله لآدم أخرج بعث النار...»، رقم: ٢٢٢).

(٣) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن باب قوله﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾، رقم: ٤٥٦٧)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة ويدخلها الضعفاء، رقم: ٢٨٤٨).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها، رقم: ٢٨٤٢).



الرابع: أن الشمس والقمر يلقيان في النار، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة»(١)، فإذا كانت النار تستوعب الشمس والقمر فهي إذن في غاية من السعة والعظمة.

١٠- جبال النار:

قال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [المدثر: ١٧]، عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً يهوي به كذلك فيه أبداً»(٢).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾، قال: «هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت»(٣)، وقال تعالى: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٧]، قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: (جبل في جهنم)(٤).

---

(١) أخرجه الطحاوي في شكل الآثار وغيره، (انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ١٩٢)، وأخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ: (الشمس والقمر مكرران يوم القيامة)، وتقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الأنبياء، رقم: ٣١٦٤)، وأحمد (١١٣١٥)، وأبو يعلي الموصلي (٢/ ٥٣٢)، تحقيق أسد، وابن أبي الدنيا في صفة النار، ص ٣٦، تحقيق محمد خير رمضان، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي -كما ذكر المحققان- وتشهد له الآثار الكثيرة عن الصحابة.

(٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ٢٦٨، وهو ضعيف مرفوعاً، ولكنه وود عن بعض الصحابة، وله حكم الرفع.

(٤) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ٢٦٨.



١١- سرادق النار:

وجهنم لها سور محيط بها يمنع الكفرة من الهروب والخروج منها، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩]، في النهاية: السرادق (كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء)[1]، وعن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لسرادق النار أربع جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة»[2]، وهذا السور له أعمدة ممدودة طويلة كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: ٨، ٩].

***

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٣٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم ٢٥٨٤)، وصححه الحاكم كما في تحفة الأحوذي شرح الترمذي (٧/ ٢٥٨)، وحسنه المنذري في الترتيب والترهيب (٤/ ٣٤٤)، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع: ٤٦٧٥).



المبحث الرابع
كيفية دخول أهل النار النار

لقد فصل الله تعالى لنا طريقة دخول أهل النار لجهنم، في كثير من الآيات، وسوف نرتبها بإذن الله تعالى، وهي كالتالي:

يأمر الله تعالى الملائكة أن تقيد وتغل الكافر، قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ [الحاقة: ٣٠].

الغل: هو ما يقيد به(١)، وهذا القيد يكون في عنقه، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: ٥]، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣٣].

وهذه الأغلال عبارة عن سلاسل الحديد كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧٠-٧٢]، ثم تجمع الملائكة نواصيهم مع أقدامهم ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١]، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: (يجمع بين رأسه ورجليه ثم يقصف كما يقصف الحطب)(٢).

(قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾، أي يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه في النار كذلك، وقال الأعمش عن ابن عباس: يؤخذ بناصيته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب في التنور، وقال الضحاك: يجمع بين ناصيته

---

(١) مفردات القرآن للأصفهاني، ص ٦١٠.

(٢) البعث والنشور للبيهقي، ص ٢٨٦.

وقدميه في سلسلة من وراء ظهره، وقال السدي: يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدمه ويقتل ظهره)[١].

ثم يساقون إلى النار سوقاً شديدًا ويدفعون إليها دفعاً: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الطور: ١٣، ١٤]، (الدع: الدفع الشديد)[٢].

ثم إذا اقتربوا منها فتحت أبوابها في وجوههم بغتة حتى يصيبهم عذاب الفزع ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧١]، ثم يلقون فيها إلقاء، من مكان ضيق، وهم مكتفون: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الفرقان: ١٣]، مقرنين اي مشدودين ومربوطين[٣]، وهذا الربط بالأصفاد وهي الأغلال ﴿ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٩].

وهذا الإلقاء يكون على وجوههم، قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النمل: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الزمر: ٢٤]، ثم يلقي بعضهم على بعض قال تعالى: ﴿ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٤، ٩٥]، كبكبوا: ألقي بعضهم على بعض[٤].

ثم تبدأ بعد ذلك السلسلة الطويلة من أنواع العذاب وأصناف النكال وألوان الآلام.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٥) وانظر: معالم التنزيل للبغوي (٧/ ٤٥٠).

(٢) مفردات القرآن للأصفهاني، ص ٣١٤.

(٣) مفردات القرآن للأصفهاني، ص ٦٦٧.

(٤) لسان العرب لابن منظور (١/ ٦٩٧).



المبحث الخامس

أهل النار

وفيه مطالب:

١- من أهلها:

وأقصد بأهلها الذين لا يخرجون منها أبداً، فقد ذكر الله تعالى الكثير من الأصناف وسماهم أصحاب النار، وبالتأمل في هذه النصوص يتبين أن هذه الأصناف ترجع إلى نوعين هما:

الكفار والمشركون، حتى المنافق فإنه يرجع في الحقيقة إلى الكافر - لأنه يبطن الكفر ويظهر الإسلام، والمرتد كذلك هو كافر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٧].

والمخلدون في النار من أهل الكتاب إما كفار أو مشركون قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦].

والكفر غير الشرك كما دلت عليه هذه الآية، لأن العطف يقتضي المغايرة. فالكافر هو الذي يجحد الإله أو يجحد حقوقه[1]، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ

---

(١) انظر: ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، للقرني، ص ٦٣٨، والموسوعة الفقهية الكويتية (٥/ ٨)، والتنبيهات المختصرة للخريصي، ص ١١٩.



فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٦]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ﴾ [غافر: ٦].

والمشرك: هو الذي يجعل مع الله إله آخر[1]، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، قوله: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، أي موحدين، وقابل هذا التوحيد بقوله: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾، فدل أن الشرك ضد التوحيد، فإن كان التوحيد هو إفراد الله بالدعاء والعبادة، فالشرك جعل إله آخر مع الله في الدعاء والعبادة.

وحكم المشرك أنه مخلد في نار جهنم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

والكفر والشرك ينطبق عليهم اصطلاح: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا[2]، فأحياناً يطلق الكفر ويراد به الشرك، وأحياناً يطلق الشرك ويراد به الكفر، وذلك ان المشرك جحد انفراد الله تعالى بالألوهية، فهو كافر من هذه الناحية، والكافر اتخذ إله هواه فهو مشرك من هذه الناحية، ولكن إذا اجتمع الكفر والشرك، فإن الفرق بينهما كما قدمنا.

ومن إطلاق الكفر على الشرك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ [الزمر: ٨]، ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ

---

(١) انظر: معارج القبول للحكمي (١/ ٣٦٩)، والتنبيهات المختصرة لإبراهيم الخريصي، ص ٩٩، وضوابط التكفير للقرني، ص ١٠١، والموسوعة الفقهية (٥/ ٦).

(٢) الموسوعة الفقهية: جمع وزارة الأوقاف الكويتية (٥/ ٨)، والتنبيهات المختصرة، ص ١١٩.



لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِى يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [فصلت: ٩]، ﴿ تَدۡعُونَنِى لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِى بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [غافر: ٤٢].

ومن إطلاق الشرك على الكفر: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [فصلت: ٦، ٧].

هذا، وقد بين الله تعالى لنا أن ما دون الشرك من المعاصي فإنه يغفرها كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨].

فهذا يدل أن الشرك لا يغفر، وأما الكفر فهو كذلك لا يغفر، والاستدلال عليه من الآية من وجهين:

١- أنا قررنا أن الشرك إذا أطلق وحده دخل الكفر معه، فيكون الكفر داخلاً في هذه الآية.

٢- أن الله تعالى قال ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ والكفر ليس دون ذلك بل هو مساو للشرك في الإثم.

ويدل على هذا صراحة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ ﴾ [محمد: ٣٤].

وبهذا نكون وصلنا إلى المطلوب وهو أنه لا يبقى في النار خالداً أبدًا إلاَّ الكافر والمشرك، وقد دلت الأحاديث المتواترة على هذا المعنى[١].

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي

(١) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني، ص ٢٥٢.

قلبه وزن شعيرة من إيمان، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من إيمان، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان»[١].

وعن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت من ربي فأخبرني -أو قال بشرني- أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»، قلت: وإن زني وإن سرق، قال: «وإن زني وإن سرق»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم، قال: هل تضارون في روية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب....» الحديث، وفيه:

«حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول: أرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقول: أرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيه خيراً.

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم: ٤٤)، ومسلم (كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة، رقم: ١٩٣).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، رقم ١١٨٠)، ومسلم (الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، رقم: ٩٤).



وكان أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أن لم تصدقوني لهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾» ... الحديث[1].

وغيرها كثير.

٢- كثرة أهلها:

والنار أهلها كثيرون، فمن كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، بل أن الله وعد وقضى أن يملأها من الجنة والناس، وقد دل على ذلك كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع وهى:

* قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾ [هود: ١١٩].
* وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٣﴾ [السجدة: ١٣].
* وقوله جل شأنه: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥﴾ [ص: ٨٤، ٨٥].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فعنده بشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (رقم: ١٤٤٨٨)، وسنده صحيح.

قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟

قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبرنا، فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء فى جلد ثور أسود»(١).

إشكال: ألا يعارض هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ ومعنى هذه الآية أنها كلما قيل لها: هل امتلأت طلبت الزيادة، فهي إذن لا تمتلئ، ونحن نرى النار في الدنيا كلما ألقي فيها حطب زادت وكبرت؟

الجواب: أجاب على الإشكال النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط قط وعزتك، ويزوي بعضها إلى بعض»(٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين! وقالت الجنة: ما لي، يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط، فهناك تمتلئ ويزوي

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم: ٣١٧٠)، ومسلم (الإيمان، باب قوله: «يقول الله لآدم أخرج بعث النار....»، رقم: ٢٢٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ رقم: ٤٥٦٧)، ومسلم (كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم: ٢٨٢٤٨).



بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا»(١).

٣- الدعاة إلى النار:

هناك من الناس منهم دعاة إلى النار، فهم ليسوا فقط من أهلها بل ويدعون الناس لها، فهم ضالون مضلون.

كما قال تعالى عن فرعون وجنده: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١].

ولعل رأس هؤلاء هو إبليس الأكبر الداعية الأول للنار، الذي أقسم أن يغوي الناس وجند نفسه لهذا الأمر ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٥].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «نعم».

فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير، قال: «نعم، وفيه دخن».

قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر».

---

(١) متفق عليه: البخاري (التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾، رقم: ٧٠١١)، مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم: ٢٨٤٦).

فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها».

فقلت: يا رسول الله صفهم لنا: قال: «نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: يا رسول الله فما ترى أن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»(١).

٣ - أشخاص بأعيانهم في النار:

ذكر الله تعالى بعض الأشخاص بأعيانهم وبين أنهم من أهل النار، ومن معتقد أهل السنة والجماعة أن لا نشهد لأحد بعينه أنه في النار إلاَّ من شهد الله له ورسوله ﷺ(٢)، لذلك كان لزاماً علينا أن نعرف من الذين شهد الله لهم ورسوله بالنار، وبالتتبع لآيات الكتاب يتبين لنا أن الذين سماهم الله من أهل النار هم:

١ - فرعون وجنوده:

* كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: ٤١، ٤٢].

* وقوله: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

---

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: ٣٤١١)، ومسلم (كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين، رقم: ١٨٤٧).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٥٣٧).



٢، ٣- قارون وهامان:

* قال تعالى: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٣٩، ٤٠].

* وقال تعالى عن قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٨١]، وهذه عقوبة معجلة في الدنيا.

* وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: ٢٣- ٢٥]، فسماهم الله تعالى كافرين.

٤، ٥ - إبليس وابن آدم القائل:

أما إبليس فالآيات فيه كثيرة ودخوله النار من المعلوم بالدين بالضرورة بل معلوم في جميع الأديان، كمثل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٦، ١٧].

وقال تعالى لإبليس: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٤، ٨٥].

وأما ابن آدم القاتل، فيقول الله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ



أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت: ٢٩].

قوله: ﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾، فالذي أضلهم من الجن هو إبليس، والذي أضلهم من الإنس هو ابن آدم القاتل لأنه سن القتل.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقتل نفس ظلماً إلاً كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل»(١).

وهدا القول مروي عن ابن عباس وابن مسعود وعلي وغيرهم، وهو المشهور في كتب التفسير(٢).

والذي أداهم لهذا القول هو تثنية الاسم الموصول (الذين) الذي يقتضى أنهما اثنان فقط، ولكن قال ابن جزي رحمه الله: (وقيل المراد ولد آدم الذي سن القتل، وهذا باطل لأن ولد آدم مؤمن عاصي وإنما طلب هؤلاء من أضلهم بالكفر)(٣).

وكلامه رحمه الله وجيه، فذنب ابن آدم ليس مكفرًا ولا يوجد دليل على كفره، وهناك الكثير من الكفرة كان تأثيرهم على الناس أعظم بكثير من تأثير ابن آدم، فهم أولى وأحق أن يتوطأهم الناس بأقدامهم، فالصحيح أن المقصود الجنس.

قال الشوكاني: (طلبوا من الله أن يريهم من أضلهم من فريق الجن والإنس، من الشياطين الذين كانوا يسولون لهم ويحملونهم على المعاصى، ومن الروساء الذين كانوا يزينون لهم الكفر)(٤)، ولم يظهر الشرك إلا في زمن نوح عليه السلام، إذن

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آم وذريته، رقم: ٣١٥٨)، ومسلم (كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب بيان إثم من سن القتل) رقم: ١٦٧٧).

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي، (٧/ ١٧٢)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٢)، وتفسير عبد الرزاق الصنعاني، (٢/ ١٨٦) وغيرهم.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٩٢).

(٤) فتح القدير (٤/ ٤٩٤).

فولد آدم كان على التوحيد.

وأما الحديث فإنه خارج محل النزاع، لأننا نتحدث عن الذين يتوطأهم الناس، لا عن كونه يتحمل الإثم أم لا.

وأما الاستدلال بعضهم بما رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن سميرة أن ابن عمر رأي رأسا فقال: قال رسول الله ﷺ: «ما يمنع أحدكم إذا جاءه من يريد قتله أن يكون مثل ابن آدم القاتل في النار والمقتول في الجنة»[1] فهو حديث ضعيف لا تقوم به حجة.

٦، ٧- امرأة نوح وامرأة لوط:

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

٨- الحكم بن أبي العاص، أو الأسود بن عبد يغوث، أو الأخنس بن شريق:

كل هؤلاء ذكروا في سبب نزول هذه الآية[2]:

وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١٠-١٦].

والراجح أنه الحكم بن أبي العاص، لما روى أبو عثمان النهدي قال: قال مروان لما بايع الناس ليزيد: سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل

(١) انفرد بإخراجه أحمد عن أصحاب الكتب التسعة (٥٧٢٠)، والحديث ضعيف فيه عبد الرحمن بن سميرة، لم يوثقه إلا ابن حيان، وقال عنه الحافظ ابن حجر: مقبول، أي في المتبعات وإلا فهو ضعيف.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٦٩).



وقيصر، فقال مروان: هذا الذي أنزل فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾، فبلغ ذلك عائشة فقالت: إنها لم تنزل في عبد الرحمن، ولكن نزلت في أبيك: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١﴾ (١).

٩- الوليد بن المغيرة:

وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿ذَرۡنِى وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦﴾ [المدثر: ١١-٢٦].

عن ابن عباس رضي الله عنه: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرضه لما قبله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكر له أو إنك كاره له. قال: ماذا أقول؟ فوالله ما فبكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذى يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر؟ فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرۡنِى وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١﴾(٢).

---

(١) أخرجه ابن مردوية كما في الدر المنثور، وأخرجه الحاكم بنحوه كما في مختصر المستدرك لابن الملقن (٧/ ٣٣٤١)، وسنده حسن كما قال المحقق، وأصل القصة في البخاري.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٥٠)، وقال الذهبي: صحيح. طبعة دار الباز، تحقيق مصطفى عطا.



١٠، ١١- أبو لهب وامرأته:

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾ [المسد: ١-٥].

١٢- أبناء نوح:

واسمه قيل: كنعان، وقيل: يام(١). قال تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٢، ٤٣].

١٢- قوم نوح:

* قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود: ٣٦، ٣٧].
* وقال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان: ٣٧].
* وقال: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح: ٢٥].

١٣- قوم عاد:

* قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢٧).



قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [هود: ٥٣، ٥٤].

* وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [هود: ٥٩، ٦٠].

* وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: ١٦].

١٤- قوم ثمود:

قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود: ٦٧، ٦٨].

فحكم الله عليهم بالكفر وقد قدمنا أن أصحاب الخلود في النار هم الكفار والمشركون.

١٥- قوم لوط:

* قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

* قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم: ٥٣، ٥٤].

والمؤتفكة مدائن قوم لوط، ولقد كفر جميع أهل هذه القرية، ولم يبق فيها مسلماً إلاَّ بيت لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٦].



١٦- قوم شعيب:

* قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود: ٩٤، ٩٥].

* ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشعراء: ١٨٩].

وتكذيب الرسل من أنواع الكفر.

١٧- بنو النضير من اليهود:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾ [الحشر: ٣].

وقد نزلت هذه الآية في يهود بني النضير لما خانوا الرسول ﷺ وأرادوا قتله بالقاء حجر عليه، ولكن الله تعالى عصمه منهم، فحاصرهم النبي ﷺ وأجلاهم(١).

وهذا الحكم ليس خاصاً بيهود بني النضير، بل كل من سمع بدعوة النبي ﷺ من اليهود والنصارى ولم يسلم فهو في النار.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلاَّ كان من أصحاب النار»(٢).

---

(١) انظر: الرحيق المختوم في سيرة المعصوم للمباركفوري، ص ٢٩٣.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، رقم: ١٥٣).

٤ - كفرة الجن في النار:

وهذه المسألة اتفق عليها العلماء(١) وقد دلت النصوص عليها، وإنما ذكرتها توطأة ومقدمة لمسألة مختلف فيها وهي مسألة دخول الجن الجنة وسيأتي هذا المبحث إن شاء الله تعالى:

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف: ١٧٩].

* وقال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨)﴾ [الأعراف: ٣٨].

* وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨)﴾ [الأنعام: ١٢٨].

* وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

٥ - جرائم غير مخلدة في النار :

وهذه الجرائم ليست ناقلة للكفر، بل يبقى معها المسلم في دائرة الإسلام،

---

(١) نقل الإجماع السيوطي في لقط المرجان في أحكام الجان، ص ١١٨، ونقله سعدي أبو جيب في موسوعة الإجماع (١/ ٢٦٣).



وبعضها يحتاج إلى تفصيل، فقد يكون بعض أنواع هذه المعصية ناقل عن الإسلام، وإنما أردت بهذا المبحث العرض العام من غير الدخول في تفاصيل هذه الجرائم إذ يحتاج هذا إلى رسالة مستقلة، وشرطي في هذا أن أذكر ما نص الله تعالى على أنه يعذب فاعله أو يدخله النار، وهم كالتالي:

(أ) الممتنعون عن الهجرة:

الهجرة: ترك بلاد الكفر التي، لا يستطيع أن يقيم فيها شرائع الدين إلى بلاد الإسلام[١]. فمن رضي بالإقامة في بلاد الكفر من غير عذر شرعي فإنه يستحق العذاب، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧**﴾ [النساء: ٩٧].

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود فأسرع فيهم بالقتل، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فأمر لهم بنصف العقل وقال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»، قالوا: يا رسول الله لم؟ قال: «لا تراءى ناراهما»[٢].

(ب) القاتل عمدًا بغير حق:

قال تعالى: ﴿**وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣**﴾ [النساء: ٩٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب السير، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين رقم: ١٦٠٤)، وأبو داود (كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، رقم: ٢٦٤٥)، وهو حديث صحيح وله شواهد كثيرة، وانظر: صحيح سنن الترمذي، للالباني (٢/ ١١٩).

عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا»[١].

وقد ذهب ابن عباس إلى أن القاتل ليس له توبة كما ثبت عنه هذا في الصحيحين وغيرهما، فعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: هل لمن قتل مؤمنا متعمدًا من توبة؟ قال: لا، وقرأت عليه الآية التى في الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ قال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾[٢].

ولكن أخرج النسائي عن خارجة بن زيد بن ثابت يحدث عن أبيه أنه قال: لما نزلت: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾أشفقنا منها فنزلت الآية التي في الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾[٣].

فهذا دليل أن آية الفرقان متأخرة عن آية النساء والمتقدم لا ينسخ المتأخر، وقد يوجد في السورة المكية آيات مدنية. ثم إن القتل من الكبائر، كما في حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس»[٤]، والكبائر دون الشرك، فهو داخل في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: (والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها أن

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا ...﴾، رقم: ٦٤٦٩).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ رقم: ٤٤٨٤)، ومسلم (كتاب التفسير، رقم: ٣٠٢٣).

(٣) أخرجه النسائي (كتاب تحريم الديات، باب تعظيم الدم، رقم: ٤٠٠٨) بسند حسن.

(٤) البخاري (كتاب الإيمان والنذور، باب اليمين الغموس، رقم: ٦٢٩٨).



القاتل له توبة فيما بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ، فإن تاب وأناب وخشع وخضع وعمل عملاً صالحاً بدل الله سيئاته حسنات وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ -إلى قوله- ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا﴾ الآية.

وهذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على المشركين، وحمل هذه الآية على غير المؤمنين خلاف الظاهر ويحتاج حمله إلى دليل... والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشرك وشك ونفاق وقتل وفسق وغير ذلك، كل من تاب أي من ذلك تاب الله عليه، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، فهذه الآية عامة في جميع الذنوب، ما عدا الشرك، وهي مذكورة في هذه السورة الكريمة بعد هذه الآية وقبلها لتقوية الرجاء، والله أعلم.

وثبت في الصحيحين خبر الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس ثم سأل عالماً هل لي من توبة؟ فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة، ثم أرشده إلى بلد يعبد الله فيها فهاجر إليها فمات في الطريق فقبضته ملائكة الرحمة، كما ذكرناه غير مرة، وإذا كان هذا في بني إسرائيل فلأن يكون في هذه الأمة التوبة مقبولة بطريق الأولى والأحرى، لأن الله وضع عنا الآصار والأغلال التي كانت عليهم وبعث نبينا بالحنيفية السمحة.

فأما الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية، فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف: هذا جزاؤه إن جازاه، ومعنى هذه الصيغة أن هذا جزاؤه أن جوزي عليه، وكذا كل وعيد على ذنب، قد يكون ذلك

معارض من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه على قولي أصحاب الموازنة والإحباط، وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد والله أعلم بالصواب.

وبتقدير دخول القاتل في النار: أما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له، أو على قول الجمهور حيث لا عمل له صالحًا ينجو به فليس بمخلد فيها أبدًا، بل الخلود هو المكث الطويل، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ: «أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان».

وأما حديث معاوية: «كل ذنب عسى الله ان يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدًا»(١)، فعسى للترجي فإدا أنتفى الترجي في هاتين الصورتين لا ينفي وقوع ذلك في أحدهما وهو القتل لما ذكرنا من الأدلة.

وأما من مات كافراً فالنص أن الله لا يغفر له البتة، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فإنه حق من حقوق الآدميين وهي لا تسقط بالتوبة ولكن لا بد من ردها إليهم ولا فرق بين المقتول والمسروق منه والمغصوب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين، فإن الإجماع منعقد على أنها لا تسقط بالتوبة ولكنه لا بد من ردها إليهم في صحة التوبة، فإن تعذر ذلك فلا بد من المطالبة يوم القيامة لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة، إذ قد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة، أو يعوض الله المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها ورفع درجته فيها ونحو ذلك، والله أعلم)(٢).

والذي يظهر لي أن ابن عباس رضي الله عنه قد رجع عن قوله، فقد وقفت على أثر

---

(١) الحديث أخرجه النسائي (كتاب تحريم الدم، رقم: ٣٩٨٤) وهو ضعيف، وهذا يكفي في سقوط دلالته.
(٢) تفسير ابن كثير(١/ ٥٧٣).



عزيز له في كتاب الأدب المفرد للبخاري يدل ظاهره على ذلك، فقد أخرج عن ابن عباس أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني وخطبها غيرى فأحبت ان تنكحه، فغرت عليها فقتلتها فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا، قال: تب إلى الله عَزَّوَجَلَّ وتقرب إليه ما استطعت.

قال عطاء بن سار: فذهب فسألت ابن عباس. لم سألته عن حياة أمه؟ قال: إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من بر الوالدة)[1].

(ج) آكل الربا:

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ [البقرة: ٢٧٥].

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (لعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء)[2].

(د) آكل أموال الناس بالباطل:

﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨﴾ [البقرة: ١٨٨] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

(١) انظر: صحيح الأدب المفرد للبخاري، تحقيق الألباني، ص ٣٤.

(٢) رواه مسلم (كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا وموكله، رقم: ١٥٩٨).

يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتطع مال امرىء مسلم بغير حق لقي الله عَزَّ وَجَلَّ وهو عليه غضبان»(١).

(هـ) آكل مال اليتيم:

وهو أشد أنواع أكل أموال الناس بالباطل إثماً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»(٢).

(و) الركون إلى الظالمين:

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٣]. والركون الميل، أي لا تميلوا إلى الكفار بالولاء والنصرة والمحبة.

(ز) الانتحار:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٩٣٦).

(٢) متفق عليه، البخاري (كتاب الحدود، باب رمي المحصنات، رقم: ٦٤٦٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم: ٨٩).

يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار»(١).

(ي) الفرار من الزحف:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم لله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»(٢).

(ك) منع الزكاة:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب الجنائز، باب ما جاء في قاتل النفس، رقم: ١٢٢٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل النفس، رقم: ١٠٩).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب الحدود، باب رمي المحصنات، رقم: ٦٤٦٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم: ٨٩).

زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم، فيجعل صفائح فيكوي بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار...» الحديث(١). فقوله ﷺ: «ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، يدل أنه غير مخلد في جهنم، إذ المخلد لا يرى سبيله إلا إلى النار، ولا سبيل له إلى الجنة أبداً.

(ل) الإفتاء بغير علم:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»(٢)، وعن أبي المهلب أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قال في خطبته: (من علم علماً فيعلمه الناس، وإياه أن يقول ما لا علم له به فيمرق من الدين ويكون من المتكلفين)(٣).

(م) عدم المحافظة على الصلوات :

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم: ٩٨٧).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم: ١٠٠)، ومسلم (كتاب العلم، باب رافع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، رقم: ٢٦٧٣).

(٣) أخرجه الدارمي (المقدمة، رقم: ١٧٤)، بسند صحيح.



وعن عبد الله الصنابحي قال: زعم أبو محمد أن الوتر واجب، فقال عبادة ابن الصامت رضي الله عنه: كذب أبو محمد، أشهد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خمس صلوات افترضهن الله على عباده من أحسن وضوءهن وصلاتهن لوقتهن فأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له عند الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له عند الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»[1].

(ص) رمي المحصنات بالفاحشة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[2].

(ع) الزنا:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رجل: يا رسول الله أي الذنب أكبر عند

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلوات، رقم: ٤٢٥)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها، رقم ١٤٠١)، بإسناد صحيح.

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب الحدود، باب رمي المحصنات، رقم: ٦٤٦٥)، ومسلم (كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم: ٨٩).

الله؟ قال: «أن تدعو لله نداً وهو خلقك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»ن فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ تصديقه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾»(1).

(ف) قسوة القلب من قلة ذكر الله:

قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٌ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].

وقد قدمنا أن الويل واد في جهنم.

عمومًا ... فكل معصية للرسول صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سبب لدخول النار:

* قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].
* وقال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].
* وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣].

وكل طاعة للشيطان سبب لدخول النار:

* قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ رقم: ٤٢٠٧) رقم: ٤٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، رقم: ٨٦).



خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء: ١١٩-١٢١].

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٥، ٦].

٨- كلام أهل النار وتخاصمهم:

■ أولا: كلامهم مع الله تعالى:

* قال تعالى مخاطبا إياهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾

[المؤمنون: ١٠٥-١١٧].

* وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

■ ثانيا: كلامهم مع خزنة النار:

* قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ (٤٩) قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (٥٠)﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

* وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ (٦٩) ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٤)﴾ [غافر: ٦٩-٧٤].

* وقال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١٠) فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١١)﴾ [الملك: ٨-١١].

عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة،فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب، فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم، فيقولون: ادعوا خزنة جهنم، فيقولون: ألم تأتكم رسلكم بالبينات؟ قالوا: بلى، قالوا: ﴿فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (٥٠)﴾.

قال: فيقولون: ادعوا مالكاً، فيقولون: يا مالك ليقض علينا ربك، قال: فيجيبهم أنكم ماكثون.

قال الأعمش: نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام، قال: فيقولون: ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم، فيقولون: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، قال فيجيبهم: احسنوا فيها ولا تكلمون، قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل»(١).

■ **ثالثا: كلام بعضهم للآخر:**

* قال تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩]. وهؤلاء القادة هم أول من يؤخذون إلى النار، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩﴾ [مريم: ٦٩].

* وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ٩٣ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ٩٥ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٩٩ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٢﴾ [الشعراء: ٩١-١٠٢].

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة طعام أهل النار، رقم: ٢٥٨٦)، وهو حسن.

* وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٦-٦٨].

* وقال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [ص: ٥٩-٦٤].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨].

■ **رابعا: كلامهم مع أهل الجنة:**

* قال تعالى: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (المدثر: ٣٩-٤٨).

* وقال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الصافات: ٥٠، ٦١].



* وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأعراف: ٤٤، ٤٥].

* وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف: ٥٠، ٥١]

■ **خامسًا: قيام الشيطان فيهم خطيبًا:**

* قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

٩- حسرتهم وندامتهم ودعاؤهم:

الحسرة تلازم الكفار في كل مواقف القيامة حتى سميَّ الله تعالى: ذلك اليوم بيوم الحسرة، وقد ذكر الله تعالى صوراً كثيرة تبين حسرتهم وندامتهم.

* قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف: ٥٣].

* وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧].

* وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

* وقال تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجر: ٢].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الفرقان: ١٣].

* وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٣-٦٦].

* وقال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ [غافر: ١١].

قال ابن كثير: (الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله عز وجل في عرصات القيامة، كما قال عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾، فلا يجابون، ثم إذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة فلا يجابون، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

فإذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسيسها ومقامعها وأعلالها كان سؤالهم



للرجعة أشد وأعظم: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾، ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾.

وفي هذه الآية الكريمة تلطفوا في السؤال وقدموا بين يدي كلامهم مقدمة وهي قولهم: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، أي قدرتك عظيمة فإنك أحييتنا بعدما كنا أمواتا ثم أمتنا ثم أحييتنا، فأنت قادر على ما تشاء وقد اعترفنا بذنوبنا وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾، أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا فإنك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون، فأجيبوا أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا، ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تمجه وتنفيه)[1].

* وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الشورى: ٤٤، ٤٥].

* وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٣).

﴿فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾ [الملك: ١٠، ١١].

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧﴾ [التحريم: ٧].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾ [النبأ: ٤٠].

أخرج الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الخلائق: الإنس والجن والدواب والوحوش، فإذا كان ذلك اليوم جعل القصاص بين الدواب حتى تقتص الشاة الجماء من القرناء بنطحتها، فإذا فرغ الله من القصاص، قال لها: كوني تراباً، فتكون تراباً، فيراها الكافر فيقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾(١).

***

(١) أخرجه الحاكم بسند صحيح وله حكم الرفع (انظر: تحقيق مختصر المستدرك لابن الملقن، تحقيق اللحيدان (٧/ ٣٥١٦).



المبحث السادس

ما أعد الله لأهل النار من عذاب

وفي هذا المبحث مسائل:

١- شدة العذاب:

وصف الله تعالى عذاب جهنم بأنه أليم شديد وعظيم، وإذا قال العظيم أنه عظيم، فأعلم أنه عظيم.

* قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: ٢٤].

* وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١].

* وقال تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ [الغاشية: ٢٤].

* وقال تعالى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النحل: ٨٥].

* وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦].

* وقال تعالى: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤٢-٤٤].

* وقال تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المرسلات: ٣٠-٣٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (ترمي بشرر كالقصر، قال: كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع أو فوق ذلك فنرفعه للشتاء فنسميه القصر: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ٣٣﴾ حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال)[1].

والكافر الذي كفره على نفسه يعذبه الله عذاباً عظيماً، وأما الكافر الذي يصد عن سبيل الله فإنه يضاعف له العذاب يوم القيامة، لأنه يتحمل أوزار من تبعه إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ٨٨﴾ [النحل: ٨٨].

ومن شدة عذابها أن نفحة واحدة منها تكفى بأن يقروا بكل شيء:

قال تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٤٦﴾ [الأنبياء: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ٩﴾ [الهمزة: ٤-٩].

وقد اشتملت هذه السورة -مع قصرها- على سبعة أمور تدل على عظم عذاب نار جهنم وشدته، هي كالتالي:

١- قوله ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: والنبذ يستخدم للتحقير والمهانة والذل، ويقال: فلان منبوذ، أي مهان محتقر لا نصير له ولا معز، فهم إضافة لعذابهم البدني بالنار، فإنهم يعذبوا عذاباً نفسياً بالمهانة والتحقير.

٢- قوله ﴿ٱلْحُطَمَةِ﴾: تسمية النار بالحطمة تعظيم لعذابها، لأنها تحطم

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ، رقم: ٤٦٤٩].

عظام ورؤوس من دخلها.

٣- قوله: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الحاقة: ١-٣]، وقوله ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة: ١-٣].

ومن هذا الأسلوب قوله ﷺ في الحديث الذي أخرجه أبو داود عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، عن جده قال: أتي رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: «ويحك أتدري ما تقول؟»، وسبح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إن عرشه على سماواته لهكذا -وقال بأصابعه مثل القبة عليه- وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب»(١).

٤- قوله نعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ أضاف الله تعالى النار إلى نفسه سبحانه، وهذه الإضافة إضافة تعظيم، كقوله تعالى: «بيت الله» و «ناقة الله».

٥- وقول تعالى: ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ﴾: على وزن مُفعلة، وهذه صيغة من صيغ اسم المفعول(٢)، ومن المعلوم أن هذه الصيغة تدل على الذي وقع عليه الفعل، فهي إذن نار ويوقد عليها، والإيقاد إنما يكون بالنار، وهذا من الغرائب كيف يوقد على النار وهي التي يوقد بها لا عليها، ولكن نار جهنم من شدة نارها وحرارتها يوقد عليها حتى لا تخبو وتضعف كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ۝٩٧﴾ [الإسراء: ٩٧].

---

(١) أخرجه أبو دارد (كتاب السنَّة، باب في الجهمية، رقم: ٤٧٢٦) وسنده حسن.

(٢) انظر: معجم قواعد اللغة العربية، ص ٨٢.



٦- ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾: من شدة حرارة جهنم أنها لا تحرق الأبشار والجلود فقط، بل يصل حرقها ونارها وحرارتها. إلى القلب والفؤاد.

٧- ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ ﴿٩﴾﴾: من شدة عذابها أنها محكمة الغلق موصدة الأبواب ممددة الأعمدة والأسوار لا منجا منها ولا مفر.

٢- إحاطة النار بأهلها:

ومن شدة عذاب جهنم أن هذا العذاب يحيط بأهلها من كل جانب، من أمامهم ومن خلفهم، من فوقهم ومن تحتهم، عن أيمانهم وشمائلهم، أنى اتجه فالعذاب ملاقيه - قال تعالى: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾﴾ [ص: ٥٥، ٥٦]، وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف: ٤١].

المهاد: المكان الممهد الموطأ[(١)]، وهو الفراش، وهذا يكون من تحتهم، ومهادهم من جهنم، والغواش: قال القرطبي - (المهاد)، الفراش، و(غواش) جمع غاشية، أي (نيران تغشاهم)[(٢)]. وهكذا قال الراغب أيضاً[(٣)].

وقال ابن كثير: (قال محمد بن كعب القرظي ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾، قال: الفرش، ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾، قال اللحف، وكذا قال الضحاك بن مزاحم والسدي)[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء: ٨].

---

(١) المفردات للراغب، ص ٧٨.

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ١٣٣).

(٣) مفردات القرآن، ص ٦٠٧.

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤١).



(قال قتادة: أي محبساً وسجنا، من الحصر وهو الحبس -قال الجوهري: يقال حصره يحصره حصرًا، ضيق عليه وأحاط به. وقال القشيري: ويقال للذي يُفرش حصير، لحصر بعضه على بعض بالنسج، وقال الحسن: أي فراشا ومهادًا، ذهب إلى الحصير الذي يفرش، لأن العرب تسمي البساط الصغير حصيراً- قال الثعلبي: وهو وجه حسن)[1].

وقال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنبياء: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت: ٥٤، ٥٥].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦].

الظلل: جمع ظلة، والظلة سحابة تظل، كغرف وغرفة، وأكثر ما يقال فيما يستوخم ويكره[2]، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٧١] وقوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩]، وهذه الظلل من نار.

٣ - قيود أهل النار وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم:

أعد الله تعالى لأهل النار أغلالاً وسلاسل وقيوداً ومطارق، وأوثق بها أهل الكفر وثاقا لا يمكن لأحد من العالمين أن يوثقه، قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦].

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ١٤٧) بتصرف.

(٢) مفردات القرآن، ص ٥٣٦، بتصرف.

والأغلال جمع غل وهو ما يقيد به، فيجعل الأعضاء وسطه(١).

قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣٣].

والأصفاد: جمع صفد وهو الغل، والأصفاد هي الأغلال(٢).

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩].

والسلاسل -معروفة- هي القيود من حديد.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [غافر: ٦٩- ٧٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَاْ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان: ٤]، وطول هذه السلسلة سبعون ذراعاً، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣١، ٣٢]، وطول السلسلة لا يستغرب ولا يشكل لأن الكافر يكبر حجمه في النار حتى يكون ضرسه كجبل أحد.

وهذه السلاسل يقيد بها بعض من أهل النار في أرجلهم ويعلقون فتكون رؤوسهم أسفل منهم. فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله ﷺ فيقصونها على رسول الله ﷺ، فيقول رسول الله ﷺ: «ما شاء الله»، وأنا غلام حديث السن وبيتي المسجد

---

(١) انظر: المفردات للراغب، ص ٦١٠، بتصرف.

(٢) انظر: المفردات للراغب، ص ٤٨٦ بتصرف.



قبل أن أنكح، فقلت في نفسي لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء.

فلما اضطجعت ذات ليلة قلت: اللهم أن كنت تعلم في خيرًا فأرني رؤيا، فبينما أنا كذلك اذ جاءني ملكان في يد كل واحد منهما مقمعة من حديد يقبلان بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله: اللهم أني أعوذ بك من جهنم، ثم أراني لقيني ملك في يده مقمعة من حديد فقال: لن تراع، نعمَ الرجل أتت لو كنت تكثر الصلاة. فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم فإذا هي مطوية كطي البئر لها قرون كقرن البشر، بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد، وأرى فيها رجالاً معلقين بالسلاسل رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجالاً من قريش، فأنصرفوا بي عن ذات اليمين.

فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «إن عبدالله رجل صالح لو كان يصلي من الليل»، فقال نافع: فلم يزل بعد ذلك يكثر الصلاة[1].

والمقامع هي المطارق، ومقامع أهل النار من مادة الحديد حتى يكون وقعها أشد، قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ٢١، ٢٢]، أي كلما أراد أحدهم الخروج من النار ضرب بالمقمع فيهوي مرة أخرى في النار.

(قال الفضيل بن عياض: والله ما طمعوا في الخروج إن الأرجل لمقيدة وإن الأيدي لموثقة، ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها، وقوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾، كقوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾،

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب التعبير، باب الأمن وذهاب الروع في المنام، رقم: ٦٦٢٥)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عمر، رقم: ٢٤٧٩).



ومعنى الكلام أنهم يهانون بالعذاب قولاً وفعلاً)[1].

٤- قرن أهل النار بمعبوداتهم وشياطينهم:

قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣].

(كان الكفار والمشركون يعظمون الآلهة التي يعبدونها من دون الله، ويدافعون عنها، ويبذلون في سبيل ذلك النفس والمال، وفي يوم القيامة يدخل الحق تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله النار إهانة لعابديها وإذلالاً لهم، ليعلموا أنهم كانوا ضالين، يعبدون ما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩].

يقول ابن رجب: (لما عبد الكفار الآلهة من دون الله، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه، عوقبوا بأن جعلت معهم في النار إهانة لهم وإذلالاً، ونكاية لهم وإبلاغا في حسرتهم وندامتهم، فإن الإنسان إذا قرن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد في ألمه وحسرته). ومن أجل ذلك يقذف يوم القيامة بالشمس والقمر في النار، ليكلونا مما توقد به النار، تبكيتاً للظالمين الذين كانوا يعبدنهما من دون الله، ففي الحديث: «الشمس والقمر مكوران في النار».

يقول القرطبي: (وإنما يجمعان في جهنم، لأنهم قد عبدوا من دون الله لا أن تكون النار عذاباً لهما، لأنهما جماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم، هكذا قال بعض أهل العلم)، ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم ليكون أشد لعذابهم: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾

---

(١) تفسير ابن كثير، (٣/ ٢١٣).



وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٩])(١).

٥- سجون أهل النار:

ولهم في النار سجون، قال تعالى: ﴿**كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾**﴾ [المطففين: ٧، ٨].

(سجين فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسيح وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك، ولهذا أعظم الله أمره، فقال: ﴿**وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾**﴾، أي أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم)(٢).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»(٣).

٦- طعام أهلها وشرابهم:

وفي هذا المطلب فرعان:

الأول: طعام أهل النار:

وقد ذكر الله تعالى فى آيات كثيرة أنواعا من طعامهم، وهي كالتالي:

(١) الجنة والنار، للأشقر، ص ١٠٥.

(٢) الفتح الرباني (٧/ ٧٧).

(٣) رواه الترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، رقم :٢٤٩٣)، وقال: حسن صحيح.

١ - النار:

من طعام أهل النار النار، فهم يأكلون النار كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البقرة: ١٧٤]، أي إنما يأكلون ما يأكلونه -في مقابلة كتمان الحق- ناراً تأجج في بطونهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

وعن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الذي يشرب في إناء الفضة، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»[١].

٢- شجرة الزقوم:

يأكل أهل النار من ثمر شجرة الزقوم ظنا منهم أنه ينفعهم أو يسد شيئًا من جوعهم، فما يزيدهم إلا عذابًا، فإذا أكلوه بدأ يغلي في بطونهم، فيفزعون يبحثون عن الماء ليطفأ الغليان الذي في بطونهم فيشربون من ماء الحميم يكرعون منه كرعًا فيقطع أمعاءهم ويتضاعف العذاب عليهم، وقد تقدم الحديث عن هذا الطعام في مبحث أشجار النار.

٣- الغسلين:

قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٧].

قال الراغب: (الغسلين: غسالة أبدان الكفار في النار)[٢].

---

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب الأشربة، باب آنية الفضة، رقم: ٥٣١١)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره، على الرجال والنساء، رقم: ٢٠٦٥).

(٢) المفردات، ص ٦٠٧.



وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (هو الدم والماء الذي يسيل من لحومهم)[١]. وقال القاسمي: (من غسالة أهل النار وصديدهم)[٢].

وهذا فيه إشكال، حيث إن المفسرين فسروه بأنه شراب والله تعالى نص أنه طعام، فقد يقال: إن الطعام لفظ مشترك بين الأكل والشرب، ولكن هذا الجواب بعيد، الأن الله تعالى قد نص أنهم يأكلونه لا يشربونه، فقال: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ٣٧﴾؟

الجواب: (قال الرازي: الطعام ما هيىء للأكل، فلما هيىء الصديد ليأكله أهل النار كان طعامًا لهم، ويجوز أن يكون المعنى أن ذلك أقيم مقام الطعام، فسمي طعاماً، كما قال الشاعر: تحية بينهم ضرب وجميع)[٣].

٤- الضريع:

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ٧﴾ [الغاشية: ٦، ٧]. الضريع نبات في الحجاز له شوك كبار، يقال له: الشبرق، فإذا يبس قيل له: الضريع[٤]، ولعله هو الطعام التالي.

٥- طعام ذو غصة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣﴾ [المزمل: ١٢، ١٣]. عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾، قال: شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج[٥].

(١) عزاه السيوطي في البدر السافرة، ص ٤٩٣، إلى ابن أبي حاتم.
(٢) محاسن التأويل (٧/ ١٧٣).
(٣) محاسنى التأويل (٧/ ١٧٣).
(٤) انظر: لسان العرب (٨/ ٢٢٣)، بتصرف .
(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار، ص ٦٤.

الثاني: شرابهم:

١- الحميم:

وهو الماء المغلي شديد الحرارة[١]. قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾ [الأنعام: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٤٣ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ٤٤﴾ [الرحمن: ٤٣، ٤٤]، أي بلغ وقته من شدة الحر، ومنه قوله تعالى: ﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥﴾ [الغاشية: ٥][٢].

وقال تعالى: ﴿فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤﴾ [الواقعة: ٤٢-٤٤]. قوله: ﴿سَمُومٖ وَحَمِيمٖ﴾ أي في هواء حار، وماء حار، وقال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥].

وهذا الحميم إذا شربوه قطع أمعاءهم كما قال سبحانه: ﴿كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥﴾ [محمد: ١٥].

وإذا لم يشربوه صب من فوق رؤوسهم فتنصهر جلودهم وما في بطونهم، قال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠﴾ [الحج: ١٩، ٢٠]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه»[٣].

---

(١) انظر: المفردات للراغب، ص ٢٥٤، ولسان العرب (١٢ / ١٥٣).

(٢) المفردات للراغب ص ٩٦.

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم: ٢٥٨٢)، وقال: حسن صحيح غريب، وحسنه الأرنؤوط في جامع الأصول (١٠/ ٥٤٠).



٢ - ماء صديد:

قال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝١٧﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧]، الصديد: هو القيح والدم[(١)].

ولا يزال هذا الصديد يكثر خروجه من أهل النار حتى يصبح نهرًا يسمى نهر الخبال عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صلاة، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فان تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال»، قيل: يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخيال؟ قال: نهر من صديد أهل النار[(٢)].

٣- ماء كالمهل:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾ [الكهف: ٢٩].

المهل: دردي الزيت[(٣)]، وهو ما يبقى في أسفله[(٤)]، فهو ماء ثقيل، يختلف عن الحميم.

---

(١) رواه البخاري عن مجاهد (كتاب التفسير، باب سورة إبراهيم).

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب الأشربة، باب ما جاء في شارب الخمر، رقم. ١٨٦٢)، وصححه الألباني - صحيح الترمذي (٢/ ١٦٩).

(٣) المفرات للراغب، ص ٧٨١.

(٤) لسان العرب (٣/ ١٦٦).

٤- الغساق:

قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ (النبأ: ٢٤-٢٥). وقال: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: ٥٧، ٥٨]، وفي قراءة: (وَأُخَرُ مِن شَكْلِهِ)، وأخر: جماعة أخرى[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم، ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾، أي وأشياء من هذا القبيل: الشيء وضده يعاقبون بها)[٢].

وأخرج هناد عن مجاهد قال: (الغساق الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده) [٣]. وأخرج عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥]، قال (استثنى من الشراب: الحميم، ومن البارد: الغساق)[٤].

٧- صور من عذابهم:

(أ) إنضاج الجلود:

إن النار تحرق جلود أهلها، والجلد موضوع الاحساس بألم الاحتراق، ولذلك فإن الله يبدل لهم جلوداً أخرى غير تلك التي احترقت لتحترق من جديد، وهكذا دواليك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، (٤/ ١٣)، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (١١/ ٧٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤١).
(٣) البدور السافرة، للسيوطي، ص ٤٤١.
(٤) البدور السافرة، للسيوطي، ص ٤٤١.



[النساء: ٥٦]. قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩].

(ب) الصهر:

من ألوان العذاب صب الحميم فوق رؤوسهم، والحميم هو ذلك الماء الذي انتهى حره، فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم.

قال تعالى: ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ [الحج: ١٩، ٢٠].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان»(١).

(ج) اللفح:

أكرم ما في الإنسان وجهه، ولذلك نهانا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ضرب الوجه، ومن إهانة الله لأهل النار أنهم في يوم القيامة يحشرون على وجههم عميا وصماً وبكماً: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧].

ويلقون في النار على وجوههم: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٩٠].

ثم إن النار تلفح وجوههم وتغشاها دائماً لا يجدون حائلاً يحل بينهم وبينها:

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم: ٢٥٨٢)، حسن صحيح غريب، وحسنة الأرنؤوط في جامع الأصول (١٠/ ٥٤٠).

﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٩].

وقال: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وقال: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الزمر: ٢٤].

وانظر إلى هذا المنظر الذي تقشعر لهوله الأبدان: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٦]. أرأيت كيف يقلب اللحم على النار، والسمك في المقلي، كذلك تقلب وجوههم في النار، نعوذ بالله من عذاب أهل النار.

وقال تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ككلوح الرأس النضيج)[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: (كالحون عابسون)[٢] قال في اللسان: (لفحته النار أصابت وجهه وأحرقته)[٣]، و(الكلوح بدو الأسنان عند العبوس، والكالح الذي قد قلصت شفته عن أسنانه نحو ما ترى من رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه)[٤].

فعلى هذا يكون معنى الآية - تحرق وجوههم النار فتتقلص شفاههم حتى تظهر أسنانهم.

---

(١) البعث والنشور، للبيهقي، ص ٢٧٦.
(٢) البعث والنشور، للبيهقي، ص ٢٧٦.
(٣) لسان العرب، (٢/ ٥٧٨) بتصرف.
(٤) لسان العرب، (٢/ ٥٧٤)، بتصرف.



(د) السحب :

ومن أنواع العذاب الأليم سحب الكفار في النار على وجوههم: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨].

ويزيد من ألمهم حال سحبهم في النار أنهم مقيدون بالقيود والأغلال والسلاسل: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧٠-٧٢]، فيسحبون مرة في النار وفي الحميم مرة.

٨- عذابهم النفسي من تقريع وتوبيخ وامتهان:

وقد تقدم ذكر طرف من عذابهم النفسي في مواضع سابقة كثيرة، ففي النار لا يسمع أهلها كلمة طيبة، ولا ينظرون منظراً يسرهم ولا يعرفون للراحة طعماً ولا للسعادة سبيلاً، فلا يسمعون إلا كلام اللعن والتوبيخ والسب والشتم والامتهان والهوان، وكل طلباتهم تقابل بالصد والإعراض والرفض والنسيان والحرمان.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف: ٥٠، ٥١].



وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة: ٢٠].

وكلما اعتذروا واستعتبوا لم يجابوا إلى ذلك، قال تعالى: ﴿ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فصلت: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [التحريم: ٧].

فإذا رأوا هذه المعاملة أخذوا يدعون على أنفسهم بالويل والثبور، ﴿ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ فيقال لهم زيادة في الامتهان ﴿ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الفرقان: ١٣، ١٤].

ولكن الكلام يعتبر متنفساً لهم، فيمنعون منه فلا يسمع لهم إلا الشهيق والزفير، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [هود: ١٠٦].

وجرت العادة أن الإنسان إذا أصيب بمصيبة وشاركة فيها غيره فانها تهون عليه عما لو كان وحده؛ ولكن هذا الشعور ينعدم مع أهل النار في النار حتى لا يكون لهم أي متنفس من العذاب، قال سبحانه: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٩]، وقال ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قيل: في الكلام حذف، والمعنى وهم فيها لا يسمعون شيئاً، لأنهم يحشرون صماً، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٧].

وفي سماع الأشياء رَوح وأنس، فمنع الله الكفار ذلك في النار، وقيل: لا يسمعون ما يسرهم، بل يسمعون صوت من يتولى تعذيبهم من الزبانية، وقيل:



إذا قيل لهم: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، يصيرون حينئذ صماً، بكماً، كما قال ابن مسعود[1]، إذا بقي من يخلد في النار في جهنم جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى فيها مسامير من نار، فلا يسمعون شيئاً، ولا يرى أحد منهم أن في النار من يعذب غيره)[2].

١١- لباس أهل النار:

بعد أن يحشر الكفار حفاة عراة يلبسون لباساً، وهذا اللباس ليس لستر العورة ولا للزينة لأنه لباس مقطع ممزق، بل لباس لزيادة العذاب، فهو لباس من نار.

قال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ [الحج: ١٩، ٢٠].

قوله تعالى: ﴿قُطِّعَتْ﴾ يعني ليست مفصلة على جسمهم بل هي مقطعة ممزقة. وكان إبراهيم التيمي إذا قرأ هذه الآية يقول: (سبحان من قطع من النيران ثياباً)[3].

وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٥٠].

السرابيل: جمع سربال، (والسربال هو القميص أو الدرع، وقيل: كل ما لبس فهو سربال)[4].

والقطران: النحاس المذاب[5]، فلباسهم من نحاس مذاب، والنحاس لا يكون مذابا حتى يُحمى عليه ويكون في غاية الحرارة والغليان.

(١) أخرج هذا الأثر البيهقي في البعث والنشور، ص ٢٨٧.
(٢) تفسير القرطبي (١١/ ٢٨).
(٣) البعث والنشور، للبيهقي، ص ٢٨٣.
(٤) لسان العرب (١١/ ٢٣٥).
(٥) أخرجه البيهقي في البعث والنشور عن ابن عباس رضي الله عنه، ص ٢٨٤.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»(١).

١٢- حيات جهنم:

وفي النار حيات يعذبن أهلها. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وهذا الطوق عبارة عن ثعبان في رقابهم، كما فسرها بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله يوم القيامة في عنقه شجاعاً»، ثم قرأ علينا مصداقه من كتاب الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية، «ومن اقتطع مال أخيه المسلم بيمين لقي الله وهو عليه غضبان»، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ...﴾ الآية(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك»، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، رقم: ٩٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن باب من سورة آل عمران، رقم: ٣٠١٢)، والنسائي: كتاب الزكاة، باب التغليظ في حبس الزكاة، رقم: ٢٤٤١)، وابن ماجه (كتاب الزكاة، باب ما جاء في منع الزكاة، رقم: ١٧٨٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح. وإسناده حسن لأجل محمد بن يحيى فإنه صندوق.



يَبْخَلُونَ ﴾الآية[١].

(والمراد بالشجاع -وهو بضم المعجمة ثم جيم- الحية الذكر، وقيل الذى يقوم على ذنبه ويواثب الفارس، والأقرع الذي تقرع رأسه، أى تمعط لكثرة سمه)[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (الأنبياء: ١٠١-١٠٢).

المراد بالحسيس، قيل: صوت أهل النار إذا لسعتهم الحيات، فيقولون: حس حس[٣].

وفي تفسير قولة تعالى: ﴿عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾ [ص: ٦١]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (حيات وأفاعي)[٤].

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وإن من النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهم اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة»[٥].

***

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم: ١٣٣٨).

(٢) فتح الباري، للحافظ ابن حجر (٣/ ٣١٦).

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣٠).

(٤) البدور السافرة في أحوال الآخرة، للسيوطي، ص ٤٤٣.

(٥) أخرجه أحمد (١٧٢٦٠) والبيهقي في البحث والنشور، ص ٢٩٨. وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٩٠)، وقال: (رواه أحمد الطبراني، وفيه جماعة قد وثقوا). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٣)، وقال: (حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان كما في الإحسان (١٦/ ٥١٢)، رقم ٧٤١٧.

المبحث السابع
كيف يتقي الإنسان النار

بعد أن بين الله تعالى لنا صفة النار وما أعد فيها من العذاب لمن يدخلها، وبعد أن بين لنا صفات أهلها وحذرنا منها؟ بين لنا سبحانه كيف نتقيها وما الأسباب المانعة من النار، فمن ذلك:

١ - الدعاء:

بأن يلهج المؤمن بطلب النجاة مع النار، فإن الله لا يخيب من رجاه، قال تعالى في وصف أهل الإيمان: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ (البقرة: ٢٠١، ٢٠٢).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١-١٩٥].

وقال تعالى مبينا حال أهل الإيمان أنهم يدعون بالنجاة من النار: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦]، ثم قال في آخر السورة: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا



وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال فيقول: هل رأوني؟ قال فيقولون: لا والله ما رأوك، قال فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وتحميداً وأكثر لك تسبيحاً.

قال يقول: فما يسألوني ؟ قالوا يسألونك الجنة، قال بقول: وهل رأوها؟ قال يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة.

قال: فمم يتعوذون؟ قال يقولون: من النار، قال يقول: وهل رأوها؟

قال يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال يقول: فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة.

قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال يقول ملك من الملائكة: فيهم

(١) أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، رقم: ٢٥٧٢)، والنسائي: (كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من حر النار، رقم: ٥٥٢١)، وسنده صحيح انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني (١/ ٣١٩).



فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»[1].

٢- الأعمال الصالحة:

والمراد بالعمل الصالح ما كان خالصاً لوجه الله موافقاً لسنة رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال أبو العالية والربيع: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾، يقول: من أخلص لله. وقال سعيد بى جبير: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أخلص ﴿وَجْهَهُۥ﴾، قال: دينه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي اتبع فيه الرسول ﷺ، فإن للعمل المنقبل شرطين: أحدهما أن يكون خالصاً لله وحده، والآخر أن يكون صواباً موافقا للشريعة، فمتى كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يتقبل، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، رواه مسلم من حديث عائشة عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فعمل الرهبان ومن شابهـهم وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله فإنه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعًا للرسول ﷺ المبعوث إليهم وإلى الناس كافة، وفيهم وأمثالهم قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾.

---

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله، رقم: ٦٠٤٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل مجالس الذكر، رقم: ٢٦٨٩).



وروى عن أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه تأولها في الرهبان، كما سيأتي.

وأما إن كان العمل موافقاً للشريعة في الصورة الظاهرة ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو أيضاً مردود على فاعله وهذا حال المرائين والمنافقين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾، وقال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، وقوله: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾، ضمن لهم تعالى على ذلك تحصيل الأجور وآمنهم مما يخفون من المحذور ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، فيما يستقبلونه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ على ما مضي مما يتركونه كما قال سعيد بن جبير: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، يعني في الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ يعني لا يحزنون للموت)[(١)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١]. (لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسوله وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وقال: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾﴾، فكما أحسنوا العمل في الدنيا أحسن الله مآبهم وثوابهم ونجاهم من العذاب وحصل لهم جزيل الثواب)[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٥٤) وانظر: تفسير البغوي (١/ ١٣٧).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٩٧)، وانظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢٧).



٣- الاستغفار:

الاستغفار طلب المغفرة، وهو نوع من أنواع الدعاء، ولكنه أخص منه، فهو خاص بطلب مغفرة الذنوب التي هي سبب لدخول النار، قال تعالى: ﴿... وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

٤- خوف الله والدار الآخرة:

فمن خاف ذلك اليوم أمنه الله تعالى فيه، فإن الله تعالى لا يجمع على عبد خوفين في الدنيا وفي الآخرة.

قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٦-١٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ٢١-٢٢]، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغازي في سبيل الله، رقم: ١٦٣٣)، والنسائي (كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، رقم: ٣١٠٨) انظر صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٢٢).



وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحد، قال: ففعلوا ذلك به، فقال الله للأرض: أدي ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب أو مخافتك، فغفر له ذلك»(٢).

٥- الصدقة:

قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٧-٢١].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أضحى أو فطر إلى المصلى ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال: «أيها الناس تصدقوا، فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن فإني رأينكن أكثر أهلي النار فقلن: وبم ذلك يا رسول الله، قال: تكثرن اللَّعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، رقم: ١٦٣٩)، انظر صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٢٧).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار، رقم: ٣٢٩٤)، ومسلم (كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه، رقم: ٢٧٥٦).

(٣) متفق عليه: البخاري (كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم: ٢٩٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بنقص الطاعات، رقم: ٨٠).



٦ – طاعه الله ورسوله:

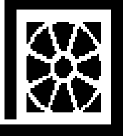
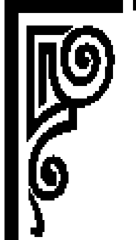
وعمومًا فمن أطاع الله ورسوله فاز ونجا من النار. قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: ١٧].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»(١).

***

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله، رقم: ٦٨٥١).

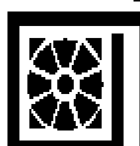


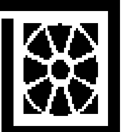



الفصل الثالث

الجنــة

- المبحث الأول: أسماء الجنة.
- المبحث الثاني: خزنة الجنة.
- المبحث الثالث: الذين دخلوا الجنة قبل يوم القيامة.
- المبحث الرابع: في عرض الرب سلعته على عباده.
- المبحث الخامس: في توحيد طريقها.
- المبحث السادس: الأعمال التى استحقوا بها الجنة.
- المبحث السابع: الجنة ليست ثمنًا للعمل.
- المبحث الثامن: تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخول الجنة واقتصاص بعضهم من بعض.
- المبحث التاسع: صفة الجنة.
- المبحث العاشر: أهل الجنة.
- المبحث الحادي عشر: ما أعد الله لأهل الجنة فيها.
- المبحث الثاني عشر: الحور العين.
- المبحث الثالث عشر: زيارة الجبار جلَّ جلاله ومخاطبته ورؤيته سبحانه، (وهو أعظم نعيم).
- المبحث الرابع عشر: آخر دعواهم.



المبحث الأول

أسماء الجنة

الجنة: هي دار كرامه الله التى أعدها لعباده المتقين، ولها أسماء كثيرة فمن ذلك:

١- الجنة:

وهو الاسم المشهور لها، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ٢٠].

والجنة في اللغة: (كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف: ٣٩]. وسميت الجنة بذلك إما تشبيها بالجنة في الأرض -وإن كان بينهما بون-، وإما لستره نعمها عنا المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧])(١).

وهناك أسماء تأتي مقترنة بهذا الاسم (الجنة):

الأول: ﴿جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الفرقان: ١٥]، وسميت بذلك لخلود أهلها فيها.

الثاني: ﴿جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: ٨٥]، وسميت بذلك لما فيها من النعيم المقيم الكريم.

الثالث: ﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٥]، وسميت ذلك لأنها مأوى المؤمنين (المأوى مفعل من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر فيه)(٢).

---

(١) المفردات للراغب، ص ٢٠٤.
(٢) حادي الأرواح، ص ١٣٠.



وأما قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠﴾ [ص: ٥٠]، فهي درجة من درجات الجنة كما سيأتي زيادة توضيح لهذا.

٢- دار السلام :

قال تعالى: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾ [الأنعام: ١٢٧]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ [يونس: ٢٥].

وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً على كنفي[1] الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو من فوقه ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾، فالأبواب التي على كنفي الصراط حدود الله لا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف ستر الله، والذي يدعو من فوقه واعظ الله عَزَّ وَجَلَّ»[2].

وسميت بذلك لأمور أربعة:

(١) لأنها سالمة من كل المنغصات والمكدرات ومن كل بلية وآفة ومكروه، وهذا يؤخذ من اشتقاق الكلمة.

(ب) لأنها دار الله، ومن أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (السلام)، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر: ٢٣]، فهي دار السلام يعني دار الله، فهو سبحانه الذي سلمها وسلم أهلها.

---

(١) في رواية الإمام أحمد (على كتفي الصراط) (١٧٦٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الأمثال: (باب ما جاء في مثل الله لعباده، رقم: ٢٨٥٩)، وسنده حسن، انظر: صحيح سنن الترمذي، للألباني (٢/ ٣٧٧).



(ج) ولأن ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢٣]، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وأول ما تستقبلهم به خزنة الجنة هو السلام: ﴿... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣]، ﴿... وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

والرب يسلم عليهم من فوقهم: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٧، ٥٨].

(د) كلامهم فيها سلام، أي لا لغو فيه اولا فحش ولا باطل، لا يقولونه ولا يسمعونه، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ [النبأ: ٣٥]، وقال تعالى ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

٣- دار المتقين:

قال تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [النحل: ٣٠]، وسميت دار المتقين لأنهم أهلها.

٤- دار الآخرة:

قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف: ١٠٩].

والغالب أن تذكر بلفظ التعريف للدار، فيقال: (الدار الآخرة). قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ



أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنعام: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿... وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٩].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: «إني ذاكر لك امرأً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبريك»، قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت ثم قال: «إن الله عز وجل قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

قالت: فقلت: في أي هذا أستامر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج وسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت....)[(١)].

والمراد بالدار الآخرة الجنة عند جميع المفسرين[(٢)].

وأحياناً تذكر من غير لفظ دار، فيقال عنها (الآخرة)، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: ١٧].

ولكن الغالب أن تذكر مع لفظ دار، فيقال: (الدار الآخرة أو دار الآخرة)، وسميت بذلك لأنها آخر دار للمتقين، بعد دار الدنيا ودار البرزخ.

---

(١) متفق عليه، البخاري (كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ...﴾ رقم: ٤٥٠٨)، ومسلم (كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلاَّ بنية، رقم: ١٤٧٥).

(٢) انظر: حادي الأرواح، ص ١٣١.

٥- الحسنى:

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقال ﷺ: «الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن»، وهو حديث متواتر(١).

ولم يذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الاسم ولا الذي قبله في سرده لأسماء الجنة مع حرصه على تتبع جميع أسماء الجنة فلعله فاته ذلك، وقد ذكر أسماء لا تصح وأسماء هي في الحقيقة أوصاف كما سيأتي.

هذا وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾، معنى الحيوان أي الحياة الكاملة الباقية التى لا موت فيها(٢). وهو وصف للحنة كما هو ظاهر، وقد ذكر أهل النحو أن الخبر وصف للمبتدأ في المعنى، فهو ليس أسما للجنة كما زعم ابن القيم(٣) رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك.

٦ – دار المقامة:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥]، دار المقامة يعني دار الإقامة(٤)، حيث إنهم يقيمون فيها ولا يظعنون، وليس من أسمائها ﴿دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ كما زعم ابن القيم ذلك في حادي

---

(١) جاء هذا الحديث مرفوعاً من حديث أبي موس وكعب بن عجرة وابن عمر وأبي بن كعب، وأنس، وأبي هريرة، وجاء موقوفاً على الصديق وحذيفة وابن عباس وابن مسعود وهذا له حكم الرفع، إذ لا يقال من قبل الرأي، انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني، ص ٢٥٣، والبدور السافرة للسيوطى، ص ٥٩٩.

(٢) انظر: المفردات للراغب، ص ٢٦٩، وحادي الأرواح، ص ١٣١.

(٣) في حادي الأرواح، ص ١٣١.

(٤) مفردات القرآن للراغب، ص ٦٩٣.



الأرواح[١]، وإنما جاء هذا في وصف النار، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٢٨﴾ [فصلت: ٢٨]، وإنما الثابت (جنة الخلد)، وقد تقدم ذلك.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١﴾ [الدخان: ٥١]، فإن (المقام الأمين) وصف للجنة وليس اسما لها، لأن المقام يعني المكان والموضع[٢]، والأمين الآمن من كل سوء، فمقام أمين يعني مكان آمن، وهذا وصف ظاهر، والتنكير يقوي القول بالوصفية، ومثله في التعليل: مقعد صدق، وقدم صدق فهي أوصاف وليست أسماء[٣].

ولو توسعنا في هذا لذكرنا أسماء كثيرة مثل (المدخل الكريم)، المأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ [النساء: ٣١]، و (حسن المآب) المأخوذ من قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٩ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠﴾ [ص: ٤٩، ٥٠].

إذن فأسماء الجنة ستة، وصفاتها كثيرة.

***

(١) في باب أسماء الجنة ومعانيها، ص ١٢٧.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٤٩٨) بتصرف.

(٣) ذكر هذه الأوصاف الثلاثة في الأسماء الإمام ابن القيم في حادي الأرواح، ص ١٣٢.

المبحث الثاني

خزنة الجنة

الجنة لها خزنة وحراس يستقبلون أهل الإيمان بالترحيب والسلام والبشارة، ويفتحون لهم الأبواب، قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣].

وأول من يُفتح له باب الجنة ليدخلها هو نبينا محمد ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن(١): من

---

(١) واشتهر أن اسم هذا الخازن رضوان، فقد ذكر ابن القيم في حادي الأرواح، ص ١٤٣، في باب (في ذكر بوابي الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم)، أن اسم خازن الجنة هو (رضوان) ولكنه لم يذكر في هذه حديثاً أو أثراً، وذكر ذلك أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٤٥)، حيث قال: (وخازن الجنة ملك يقال له رضوان جاء مصرحاً به في بعض الأحاديث)، ولم يذكر أي حديث أو أثر في ذلك، ولم أجد هذا بعد طول عناء وبحث في مظانه في كتب الحديث والعقائد.

ولقد بحثت في المعجم المفهرس لأحاديث الكتب التسعة فلم أجد له ذكراً، وبحثت في برنامج الكتب التسعة الذي صنعة شركة صخر للحاسب الآلي فلم أجده، وبحث في كتاب (عالم الملائكة الأبرار) للأشقر فوجدته ذكر اسمه وهو رضوان، ونقل عن ابن كثير كلامه السابق ولم يزد عليه شيئا ولم يذكر لذلك مستندا، وبحثت في كتاب السيوطي -الذي يعتبر أجمع ما كتب عن الملائكة- وهو كتاب الحبائك في أخبار الملائك فذكر (باب ما جاء في رضوان ومالك وخزنة النار)، ص ٦٥، ولم يذكر فيه إلا حديثا واحداً في تسمية رضوان أخرجه الواحدي في أسباب النزول وابن عساكر في تاريخه من طريق إسحاق بن بشر عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس... الحديث، وفيه أن رضوان جاء ليبشر النبي ﷺ بمفاتيح خزائن الدنيا، والحديث بهذا السند ضعيف جداً بل منكر، فإسحاق بن بشر لم أجد له ترجمة وليس هو من رجال الكتب التسعة، وجويبر هو جوبر بن سعيد تكلم فيه رجال الحديث كلاماً شديداً، ولخص الحافظ ابن حجر كلامهم فيه بقوله (ضعيف جداً).

وقال الإمام أحمد في أحاديثه المرفوعة للنبي ﷺ: (ما يسند عن النبي فهو منكر)، وهذا الحديث منها وليس له في الكتب التسعة إلا حديثًا واحداً أخرجه ابن ماجه، والضحاك لم يلق ابن عباس فهو متقطع،=



أنت فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك»(١).

***

= فالحديث مسلسل بالعلل ولا تقوم به حجة، وعليه فلا يثبت تسمية خازن الجنة برضوان لأن أسماء الملائكة من الغيب الذي لا يمكن الاطلاع عليه إلاّ عن طريق الشرع ولعل الذي جعل هذا الاسم يشتهر هو بيت الشعر المشهور المنسوب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أعمل لدار البقاء رضوان خازنها الجار أحمد والرحمن بانيهـــــا

وجريان هذا البيت على لسان الخطباء من غير تمحيص وتثبت، والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب في قول النبي (أنا أول الناس يشفع في الجنة...) رقم: ١٩٧.

المبحث الثالث

الذين دخلوا الجنة قبل يوم القيامة

ورد في القرآن أن هناك أشخاصاً بأعيانهم دخلوا الجنة، وهم كالتالي:

١- آدم وحواء:

قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥]، ثم أخرجهما الشيطان منها، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

٢- صاحب يس:

قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

(عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبُهُ من دبره، وقال الله له: ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ فدخلها فهو يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها. وقال مجاهد: قيل لحبيب النجار: أدخل الجنة، وذلك أنه قتل فوجبت له، فلما رأى الثواب ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾، قال قتادة: لا تلقي المؤمن إلاّ ناصحاً لا تلقاه غاشاً، لما عاين ما عاين من كرامة الله ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ تمنى على الله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله، وما هجم عليه.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: نصح قومه في حياته بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ وبعد مماته في قوله: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى



وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾، رواه ابن أبي حاتم)[١].

٣- الشهداء:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

عن مسروق قال: سألنا عبد الله رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾، قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يتكلوا عند الحرب، فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله: ﴿وَلَا

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، رقم: ١٨٨٧).

تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾ إلى آخر الآية[1].

وأما غيرهم فإنما يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أحدكم اذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، وإن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[2]. وكما قال تعالى في آل فرعون ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾.

***

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة، رقم: ٢٥٢٠)، وهو حسن.

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، رقم: ١٣١٣)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، رقم: ٢٨٦٦).



المبحث الرابع
في عرض الرب سلعته على عباده

وهذا من فضل الله وكرمه ومن تحبه وتودده لنا، حيث يعرض علينا جنته ويدعونا لدخولها بعمل يسير، مع أن عبادته واجبة علينا وإن لم يعطنا شيئا لأننا عبيده، ولو عذب الله أهل السماوات والأرض لعذبهم وهو غير ظالم لهم، لكن رحمته أوسع لهم.

عن أبي الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب رضي الله عنه فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي، قال: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً فى سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار».

قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثنى عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك[1].

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [البقرة: ٢٢١].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، باب في القدر رقم: ٤٦٩٩)، وابن ماجه (كتاب القدر، في المقدمة، رقم: ٧٧) وهو حسن.



وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

وهذا من العجائب، كيف اشتراها وهو مالكها، ولكنه الكرم الإلهي، وتعظيم الإنسان في أعلى صورة وأبهى معانية.

***



المبحث الخامس

في توحيد طريقها

(هذا ما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليم، وأما طرق الجحيم فأكثر من أن تحصى، ولهذا يوحد سبحانه سبيله ويجمع سبل النار كقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ ﴾.

وقال ابن مسعود: خط لنا الرسول ﷺ خطاً وقال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره، ثم قال: «هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ الآية.

فإن قيل فقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ قيل: هي سبل تجمع في سبيل واحد وهي بمنزلة الجواد[1]، والطرق في الطريق الأعظم فهذه هي شعب الإيمان يجمعها الايمان وهو شعبة، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها، وهذه السبل هي إجابة داعى الله بتصديق خبره وطاعة أمره، وطرق الجنة هى إجابة الداعي إليها ليس الا.

وقد روى البخاري في صحيحه عن جابر قال: «جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: العين نائمة و القلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقالوا: مثله مثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم

---

(١) جمع جادة.



يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة.

فقالوا: أولوها له يفقهها. فقال بعضهم: إنه نائم.

وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، الدار الجنة والداعي محمد، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ومن عصى محمدًا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس».

ووواه الترمذي عنه ولفظه: خرج علينا رسو ل الله ﷺ يوما فقال: «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه: أضرب له مثلاً، فقال: اسمع سمعت أذنك، وأعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتا ثم جعل مائدة، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه، فالله هو الملك والدار الإسلام والبيت الجنة، وأنت يا محمد الرسول فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها»[١].

❊❊❊

(١) حادي الأرواح، ص ١٠٦.



المبحث السادس
الأعمال التي استحقوا بها الجنة

لابد لدخول الجنة من عمل، فالعمل ركن من أركان الإيمان، وقد نص الله تعالى في مواضع كثيرة أن العمل سبب لدخول الجنان، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢]. ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

وعن أبي سعد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾»[(١)].

والقرآن يذكر كثيرًا أن أصحاب الجنة هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات، فالإيمان هو ما في القلب، والعمل الصالح هو ما ظهر على الجوارح، فهو جمع بين العقيدة والشريعة أو الإيمان والإسلام، أو عمل الباطن (القلب) وعمل الظاهر (الجوارح)، فلا يكفي أحدهما عن الآخر، فمن آمن ولم يعمل فهو مرجئ، وهو كاذب في إيمانه إذ لو آمن حقاً لظهر على جوارحه أثر الإيمان بالأعمال الصالحة.

ومن عمل الصالحات من غير إيمان فإنها لا تنفعه، اذ شرط قبول الأعمال تقدم الإيمان كما في حديث عائشة قالت: قلت: يا رسول الله ابن جدعان كأن في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟

قال: «لا ينفعه؛ إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم كتابه الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، رقم :٢٨٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، رقم: ٢١٤).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها»(١).

إذن فلا بد للجنة من إيمان وعمل صالح، فمن كان عنده هذان الشرطان استحق بعد رحمة الله الجنة. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢﴾ [البقرة: ٨٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

وقد فصل الله تعالى لنا بعض أنواع الأعمال الصالحة فمن ذلك:

* **الصبر على البأساء والضراء:** قال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤].

* **التقوى:** قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾ [مريم: ٦٣].

* **الجهاد في سبيل الله تعالى:** ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ (آل عمران: ١٤٢)، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾ (الصف: ١٠-١٢).

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة....، رقم: ٢٨٠٨).



* **الشهادة:** ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد: ٤-٦].

* **الابتعاد عن الكبائر:** قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

* **إقام الصلاة والإنفاق في سبيله تعالى:** قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤].

* **التوبة:** قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

* **تزكية النفس:** ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٦].

* **التواضع:** ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

* **التوكل على الله:** ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [العنكبوت: ٥٧-٥٩].

* **قيام الليل:** ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟



يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥-١٩].

* **خوف الله**: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

وهذه بعض الآيات التي جمعت الكثير من الأعمال الصالحة:

* قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١-١١].

* وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن



تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ
وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟
عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ
أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟
وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾
[الفرقان: ٦٣-٧٦].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ
ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى
ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟
بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ
ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ
ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ
وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١١، ١١٢].

* وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ
حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ
يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣١-٣٥].

* وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ
حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ
رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا
عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ٢٢-٣٥].



* قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

وعموما فكل طاعة لله ورسوله هي من الأعمال الصالحة وهي سبب لدخول الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٧﴾ [الفتح: ١٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا في القرآن كثير، ومداره على ثلاث قواعد: إيمان، وتقوى، وعمل خالص لله على موافقة السنة، فأهل هذه الاصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها، وهي تجتمع في أصلين: إخلاص في الطاعة، وإحسان إلى خلقه، وضدها يجتمع في الذين يراؤن ويمنعون الماعون، وترجع إلى خصلة واحدة، وهي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابة، ولا طريق إلى ذلك إلا تحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول في كل ما أخبر، وطاعته في جميع ما أمر استحباباً وإيجاباً)[١].

(١) حادي الأرواح، ص ٤٤٤.

وأما الأعمال التي هى سبب لدخول الجنة الواردة في السنَّه، فالأحاديث فيها أكثر من أن تحصر(١).

***

(١) وقد قام بعض العلماء بمحاولة جمع هذه الأحاديث منهم العلامة عبد الله الصديق الإدريسي في كتابه: تمام المنة ببيان الخصال الموجبة للجنة، طبع دار الفرقان، في الرياض.

المبحث السابع
الجنة ليست ثمنا للعمل

وهذا المبحث مكمل للمبحث السابق وتقييد له وتوضيح.

فالأعمال لا شك أنها سبب لدخول الجنة، ولكن الجنة أعظم من أعمالنا، ولا يمكن لأعمالنا أن تدرك بذاتها الجنة، لذلك فإن الله تعالى برحمته يدخل المؤمنين الجنة ويجعلها من نصيبهم مع تقصيرهم في العمل لها، وكيف لهم أن يدركوا هذا الفضل، وأصل هدايتهم إلى العمل الصالح هي من الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ثم إن الله تعالى يكرمهم ويجازيهم على هذه الهداية -التي أعطاهم إياها- بجزاء عظيم جداً وهي الجنة.

فكيف يمكن لأعمالهم أن تدرك هذا الجزاء الذي الفضل فيه لله أولاً وآخراً. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة وفضل»[(١)].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها كانت تقول قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل الجنة أحدًا عمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»[(٢)].

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، رقم: ٥٣٤٩)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب «لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله»، رقم: ٢٨١٦).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم: ٦٠٩٩)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب «لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله»، رقم: ٢٨١٨).

وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلا برحمة من الله»[١]، وهو حديث متواتر[٢].

وأما قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]، فلا تعارض بينها وبين الحديث لأن الآية تدل أن العمل سبب، والحديث يدل أن الأعمال ليست ثمنا للجنة بل لابد من رحمة الله تعالى حتى يبلغوا هذا العطاء العظيم.

وقد ضلت في هذا الباب فرقتان:

* **الجبرية المرجئة** التي استدلت بالحديث على أن الجزاء ليس مرتباً على العمل لأنه لا صنع له في عمله.
* **المعتزلة القدرية** التي استدلت بالآيات على أن الجنة ثمن للعمل وأن العبد مستحق دخول الجنة بعمله، وأنه يجب على الرب إدخاله لأنه يجب في حقه فعل الأصلح ويحرم عليه فعل الظلم.

قال: الزمخشري في الكشاف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣]: (﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾، أي بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة)[٣]، يعني بالمبطلة أهل السنة والجماعة.

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب «لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله»، رقم: ٢٨١٧).

(٢) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني، ص ٢٠١.

(٣) الكاشف الزمخشري (٢/ ٨٠).

قال الإمام أحمد ابن المنير الإسكندري في الرد عليه: (يعني بالمبطلة قوما سمعوا قوله ﷺ، «لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله ورحمته»، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة»، فقالوا: صدق رسول الله، وهؤلاء هم أهل السنَّة، قيل لهم فما معنى قوله تعالى: ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾، قالوا: الله تفضل بأن جعل الجنة جزاء العمل فضلاً منه ورحمة، لا أن ذلك مستحق عليه وواجب للعباد، وجوب الديون التي لا اختيار في أدائها، جمعاً بين الدليلين على وجه يطابق دليل العقل الدال على أن الله تعالى يستحيل أن يجب عليه شيء.

فانظر أيها المنصف هل تجد في هذا الكلام من الباطل ما يوجب أن يلقب أصحابه بالمبطلة وحاكم نفسك إليها، ثم إذا وضح لك أنهم براء في هذا الباب، فاعرضه على قوم زعموا أنهم يستحقون على الله تعالى حقا بأعمالهم التي لا ينتفع بوجودها ولا يتضرر بتركها، تعالى وتقدس عن ذلك، ويطلقون القول بلسان الجراءة أن الجنة ونعيمها إقطاعهم بحق مستحق على الله تعالى لا تفضل له عليهم فيه، بل هو بمثابة دين تقاضاه بعض الناس من ديانه، وانظر أي الفريقين المذكورين أحق بلقب المبطلة، والسلام)[(١)].

وقال شارح الطحاوية: (وأما ترتب الجزاء على الأعمال فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة وله الحمد والمنة، فإن الباء التي في النفي غير الباء في الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله»، باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعلمه، بل ذلك رحمة الله وفضله،

---

(١) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، وهو موجود في حاشية تفسير الكشاف للزمخشري، (٢/ ٨٠).



والباء في قوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾، ونحوها باء السبب، أي: بسبب أعمالكم، والله تعالى خالق الأسباب والمسببات فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته)[1].

***

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٦٤٢).

المبحث الثامن

تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخول الجنة واقتصاص بعضهم من بعض

بعد أن يتجاوز المؤمنون الصراط يقفون على القنطرة وهو مكان بين الجنة والنار، فيتصافون ويتحاسبون حتى يدخلوا الجنة وليس في قلب أحدهم على آخر شيء قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٢، ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]، أخرج البخاري عن سعيد عن قتادة في قوله ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾، قال: ثنا أبو المتوكل الناجي أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»(١). والقنطرة هي الجسر(٢).

***

(١) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغضب، باب قصاص المظالم، رقم :٢٣٠٨)، وأحمد (١١٣٠٩) واللفظ له.

(٢) لسان العرب (٥/ ١١٨).



المبحث التاسع
صفه الجنة

وفي هذا المبحث مطالب:

١- الجنة لا مثل لها وأنها فوق ما يخطر بالبال أو يدور بالخيال:

نعيم الجنة يفوق الوصف، ويقصر دونه الخيال، فليس لنعيمها نظير فيما يعلمه أهل الدنيا، ومهما اتسع تصور الإنسان فإنه يعجز أن يصل إلى أدراك حقيقة الجنة، فكل ما دار في بالك فالجنة فوق ذلك.

(إن الجنة لا خطر[١] لها، هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، في مقام أبدًا، في حبرة ونضرة، في دور عالية سليمة بهية)[٢].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ليس فى الجنة شيء مما في الدنيا إلاَّ الأسماء)[٣].

ودل على أنها لا مثيل لها: القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾»[٤].

---

(١) أي لا مثيل لها.

(٢) ورد هذا النص في حديث مرفوع رواه ابن ماجه وغيره ولكنه ضعيف، لذلك لم أذكره، ولكن معناه صحيح ولفظه بليغ وفصيح.

(٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ١٩٣.

(٤) متفق عليه: البخاري (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٧٢)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم: ٢٨٢٤).



وعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه قال: «سال موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول: رضيت رب.

قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»، ومصداقه في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآية[١].

وما الظن بمكان موضع السوط أو القوس فيه خير من الدنيا وما فيها.

فعن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»[٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب، وقال: لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»[٣].

وما الظن بمكان الغمسة الواحدة فيه تنسي المعذب كل عذابه وشقائه فى الدنيا. فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يؤتى بأنعم أهل الدينا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، رقم: ٢٦٤٠).



رأيت خيرًا قط، هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط، هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط»[1].

وله فى الجنة ما يشاء من النعيم، وله كل ما يتمنى ويطلب، بل له فوق هذا بكثير، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النحل: ٣٠، ٣١]، وقال: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥].

٢- أبواب الجنة:

الجنة لها أبواب يدخل منها المؤمنون والملائكة، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد: ٢٣].

وهذه الأبواب تفتح للمؤمنين عندما يصلون إليها وتستقبلهم الملائكة بالسلام، قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: ٥٠]؟

قال ابن القيم: (تأمل قوله: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ كيف تجد تحته معنى بديعاً وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي، وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار، وصبغ أشدهم بؤسا في الجنة، رقم: ٢٨٠٧).

عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الهمزة: ٨].

وأيضاً فإن في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاؤوا، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم، ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت. وأيضاً إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا)(١).

وجمع الأبواب في الآية يدل أنها أبواب كثيرة؟ وقد دلت السنَّة على أنها ثمانية أبواب.

فعن سهل بن سعد رَضِيَ الله عَنْهُ عن النبي ﷺ: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب بسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ الله عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الحنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة»، فقال أبو بكر رَضِيَ الله عَنْهُ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها، قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم»(٣).

وزعم القرطبي أن أبواب الجنة ثلاثة عشر باباً، واستدل لذلك بحديثين ضعيفين فيهما تسمية الأبواب. واستدل بحديث صحيح ولكنه غير صحيح

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص ٨٤، بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة، رقم: ٣٠٨٤).

(٣) متفق عليه: البخاري (كتاب الصوم، باب الريان للصائمين رقم: ١٧٨٩)، ومسلم (كتاب الزكاة باب من جمع الصدقة وأعمال البر، رقم: ١٠٢٧).

الاستدلال وهو حديث عمر بن الخطاب: «من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صادقاً من قلبه فتحت له من أبواب الجنة ثمانية. أبواب يوم القيامة يدخل من أيها شاء»، أخرجه الترمذي وغيره[١]. والشاهد فيه قوله: (من أبواب الجنة) ومن للتبعيض.

والرد عليه من أوجه:

١- لم أجد هذه الرواية للترمذي بل ولا لغيره من أصحاب الكتب التسعة، ورواية الترمذي كالتالي: عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء»[٢]. وليس فيها لفظة (من).

٢- لو سلمنا أن هذه الرواية هي رواية الترمذي، وأن هناك نسخة أخرى بهذا اللفظ، فإن هذا السند ضعيف عند الترمذي[٣].

٣- الرواية الصحيحة لهذا الحديث هي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»[٤].

وهذا الحديث في مسلم، ورواية الترمذي تخالفه مع ضعفها، فيقدم ما في

---

(١) التذكرة للقرطبي (٣/ ٢٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء، رقم: ٥٥).

(٣) الحديث أخرجه الترمذي من أربعة طرق، أثنان منها معلقان واثنان منها متقطعان، انظر ما سبق، ولكن الحديث صح من غير طريق الترمذي.

(٤) أخرجه مسلم (كتب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، رقم: ٢٣٤).

مسلم. قال ابن كثير: (وقد ادعى القرطبي أن للجنة ثلاثة عشر باباً، ولكن لم يقم على ذلك دليلا قوياً)(١).

٣- درجات الجنة:

الجنة درجات كثيرة كما قال تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، وهذه الدرجات تختلف باختلاف العمل، فكلما كان عمل الإنسان أكثر وموافقا للسنة كان أجره أكثر ودرجته في الجنة أعلى، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٩].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»(٢).

وأعلى درجات الجنة هي الفردوس الأعلى، وقد ذكرما الله سبحانه. في كتابه في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١]. وبين الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة هذه الدرجة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من آمن بالله وبرسله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، فقالوا: يا رسل الله أفلا نبشر الناس ؟ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين

(١) صفة الجنة لابن كثير، ص ٢٢.

(٢) متفق عليه، البخاري (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٨٣)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب تراني أهل الجنة أهل الغرف...، رقم: ٢٨٣١).

السماء والأرض، فاذا سألتم الله فاسالوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة» أُراه قال: «فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهر الحنة»(١).

والمقصود بـ (أوسط الجنة) أي عرضا، و(أعلى الجنة) أي طولاً، فهذا يدل أن الفردوس على مثل الربوة أو القبة، ويدل أن الجنة مقببة، ووجدت الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ وافقني على هذا الفهم بحمد الله، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا تكون هذه الصفة إلَّا في المقبب، فإن أعلى القبة هو أوسطها، فالجنة والله أعلم كذلك)(٢).

وزعم ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الفردوس اسم للجنة(٣)، وهذا بعيد والحديث نص في أنه اسم درجة من درجات الجنة وليس اسمًا للجنة كلها.

وقد ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن درجات الجنة سبع: (جنة الفردوس، وعدن، وجنة النعيم، ودار الخلد، وجنة المأوى، ودار السلام، وعليين)(٤).

وقال القرطبي: (قيل: الجنات سبع: دار الجلال، ودار السلام، ودار الخلد، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة النعيم، وجنة الفردوس)(٥).

وهذا القول غير صحيح ويرد عليه الحديث السابق، حيث أثبت للمجاهدين فقط مائة درجة، ومن المعلوم أن الأنبياء فوق الشهداء والمجاهدين فلهم درجات أخر، وهناك أناس ليسوا من المجاهدين ولهم درجات دونهم، فالجنة لها أكثر من مائة درجة.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ...﴾، رقم: ٦٩٨٧).

(٢) صفة الجنة، للحافظ ابن كثير، ص٣١. وهو جزء من كتابه النهاية، حققه أيمن الدمشقي وسماه (صفة الجنة).

(٣) في حادي الأرواح، ص١٣٢.

(٤) انظر: مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ص٢٠٤.

(٥) نقله عنه السيوطي في البدور السافرة، ص٤٩٦، ولم أجده في التذكرة للقرطبي.



قال ابن القيم في شرح قوله: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين»: (وهذا لا ينفي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك، ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»، أي من جملة أسمائه هذا القدر، فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين، ويدل على هذا أن منزلة نبينا ﷺ فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة، وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد)[١].

ولا يشكل على هذا حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «للجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام -وقال عفان: كما بين السماء إلى الأرض- والفردوس أعلاها درجة ومنها تخرج الأنهار الأربعة والعرش من فوقها، وإذا سألتم الله تبارك وتعالى فاسألوه الفردوس»[٢].

فالجواب عليه [٣] أن الحديث قد روي بالمعنى، واللفظ الصحيح له كما رواه الترمذي عن عبادة بن الصامت أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين الأرض والسماء، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس»[٤].

وهذا اللفظ أرجح لأنه يدل أن الجنة فيها مائة درجة صفتها كذا، وهذا لا ينفي وجود درجات أخر، ولأن هذا اللفظ لا يتعارض مع حديث أبي هريرة السابق الذي في البخاري، والجمع بين الأحاديث وإعمالها أولى من إهمال أحدها،

(١) حادي الأرواح، ص٩٨.
(٢) أخرجه أحمد (٢٢١٨٧)، وسنده صحيح.
(٣) ولم يجب على هذا الإشكال شارح الترمذي، ولا شارح المسند الشيخ الساعاتي رحمه الله، مع أن التعارض بينهما بين.
(٤) أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة درجات الجنة رقم: ٢٥٣٠).



وقد رجح هذا اللفظ شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذا، وقد زادنا النبي ﷺ توضيحًا لدرجة الفردوس حيث بيَّن ﷺ أنها تتكون من أربع جنان، إحدى هذه الجنان هي جنة عدن.

عن عبد الله بن قيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «جنان الفردوس أربع: ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عَزَّ وَجَلَّ إلَّا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن، وهذه الأنهار تشخب من جنة عدن ثم تصدع بعد ذلك أنهارًا»[٢].

وفي حديث أبي هريرة السابق بيَّن أن الفردوس يتفجر منها أنهار الجنة، وهنا ذكر أن الأنهار تشخب أي تخرج وتتفجر[٣] من جنة عدن، فجمعًا بين الحديثين يتبين لنا أن جنة عدن إحدى جنان الفردوس الأربع التي ذكرت في الحديث، وفي هذا رد على الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤] الذي زعم أن عدن اسم لكل الجنة.

وأعلى درجات الفردوس هي الوسيلة، وهي منزلة لشخص واحد فقط هو نبينا ﷺ.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلَّى علي صلاة صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلَّا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[٥].

---

(١) كما نقله عنه ابن القيم في حادي الأرواح، ص٩٨.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٢٣٢) وسنده صحيح.

(٣) انظر: لسان العرب (١/ ٤٨٥).

(٤) انظر: حادي الأرواح، ص١٣٠.

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه...، رقم: ٣٨٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سلوا الله لي الوسيلة»، قالوا: يا رسول الله وما الوسيلة؟ قال: «أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلَّا رجل واحد أرجو أن أكون أنا هو»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «صلُّوا عليَّ فإنها زكاة لكم، واسألوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في أعلى الجنة لا ينالها إلَّا رجل وأرجو أن أكون أنا هو»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة، فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة»(٣).

٤ -أنهار الجنة:

والجنة فيها أنهار، والأنهار في كل مكان وزمان علامة جمال وآية زينة، فلو قيل لإنسان: إنا سنعطيك بيتًا يجري بجانبه نهر؛ لعد ذلك من أجمل البشارات وأعظم الأعطيات وأجزل الهبات، فما بالك بقصر عظيم في جنات كثيرات وتجري من تحتها الأنهار.

يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿**وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ**﴾ [البقرة: ٢٥]، ويقول سبحانه: ﴿**لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ٢٠**﴾ [الزمر: ٢٠].

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب المناقب، باب في فضل النبي، رقم: ٣٦١٢)، وسنده ضعيف، وله شواهد كثيرة منها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص السابق.

(٢) أخرجه أحمد (٨٥٥٢) وسنده ضعيف ويشهد له ما قبله.

(٣) أخرجه أحمد (١١٣٧٤) وفيه ابن لهيعة وتشهد له الأحاديث السابقة.



وهذه الأنهار ليست من الماء فقط، بل هي من أنواع لا تعرف البشرية لها مثيلًا؛ من عسل وخمر ولبن وماء عذب، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

(ذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شرابها، وآفة العسل عدم التصفية)[(١)].

عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار»[(٢)].

(وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس؛ فهذا لشربهم وطهورهم -وهو الماء- وهذا لقوتهم وغذائهم -وهو اللبن-، وهذا للذتهم وسرورهم -وهو الخمر- وهذا لشفائهم ومنفعتهم -وهو العسل-)[(٣)].

ولعل اسم هذه الأنهار الأربعة هو: سيحان، وجيحان، والفرات، والنيل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة»[(٤)].

ومن أنهار الجنة نهر الكوثر: قال تعالى: «إنا أعطيناك الكوثر»، فعن أنس

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم، ص ٢١٨.

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، رقم: ٢٥٧١)، وقال: حسن صحيح، وسنده حسن.

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم، ص٢١٩.

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، رقم: ٢٨٣٥).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «هو نهر في الجنة»؛ قال: قال النبي ﷺ: «رأيت نهرًا في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله»[(١)].

وأنهار الجنة تجري من غير أخاديد، فقد قال مسروق في قوله تعالى: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١﴾ [الواقعة: ٣١] (أنهار تجري من غير أخدود)[(٢)].

٥ - عيون الجنة:

في الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعم واللذة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾ [الحجر: ٤٥، ٤٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢﴾ [الدخان: ٥١، ٥٢].

وبعض هذه العيون يخرج ماؤها ثم يجري على أرض الجنة، قال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾ [الغاشية: ١٢]. وقال تعالى في وصف الجنتين اللتين أعدهما لمن خاف مقام ربه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾ [الرحمن: ٥٠]. وقال سبحانه في وصف الجنتين اللتين دونهما: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦﴾ [الرحمن: ٦٦]. والنضخ فوران الماء وهو أبلغ من النضح[(٣)].

وقد ذكر الله تعالى لنا أسماء ثلاثة منها وهي:

أولًا: عين الكافور:

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: ٥، ٦]، فالأبرار يشربون ماء ممزوجًا بالكافور،

---

(١) أخرجه البخاري (تفسير القرآن، باب سورة الكوثر، رقم: ٤٦٨٠).

(٢) حادي الأرواح، ص ٢٢٢، وقد ورد مرفوعًا، ولكنه ضعيف.

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ١٢٠).

بينما يشربه عباد الله المقربون صرفًا لا خلط فيه، (وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة)[١].

ثانياً: عين السلسبيل:

قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨].

(أي ويسقون -يعني الأبرار -أيضًا في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾، فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة، ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفًا كما قاله قتادة وغير واحد)[٢].

عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سمها به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي».

فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: «أينفعك شيء إن حدثتك؟»، قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال: «سل».

فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «في الظلمة دون الجسر»، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين»، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٤).

(٢) المصدر نفسه.

كبد النون»، قال: فما غذاؤهم على إثرها، قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها»، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلًا»، قال: صدقت.

قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلَّا نبي أو رجل أو رجلان، قال: «ينفعك إن حدثتك؟»، قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله». قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي، ثم انصرف فذهب، فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به»(١).

ثالثًا: عين التسنيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٢ -٢٨].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (تسنيم: أشرف شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين)(٢).

٦ - نور الجنة:

والجنة لها نور كما قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم: ٦٢].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، رقم: ٣١٥).

(٢) انظر: البدور السافرة في أحوال الآخرة، ص ٥٤٤. وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص١٩٢.



قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾: (أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات، لا أن هناك ليلًا ونهارًا، ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيها بأضواء وأنوار)[١].

وقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان: ١٣]. ويقول ابن تيمية في هذا الموضوع: (والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن البكرة والعشية تعرفان بنور يظهر من قبل العرش)[٢].

(وقال القرطبي: قال العلماء: ليس في الجنة ليل ونهار، وإنما هم في نور دائم أبدًا، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي)[٣].

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب (ذكر نورها وبياضها)[٤] بعض الآثار الموقوفة والمرفوعة التي تدل أن للجنة نورًا، وهي ضعيفة ولكن مجموعها يدل أن لها أصلًا.

وتربة الجنة بيضاء كما جاء ذلك مصرحًا به في الحديث.

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صدق»[٥].

والدرمكة البيضاء: هي الدقيق[٦] الأبيض.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٩)

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٢).

(٣) انظر: الجنة والنار للأشقر، ص١٧٤.

(٤) في حادي الأرواح، ص١٧٦

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، رقم: ٢٩٢٨).

(٦) لسان العرب (١٠/ ٤٢٣).



٧ - أشجار الجنة وثمارها:

أما أشجار الجنة فهي كثيرة متنوعة، قال تعالى: ﴿فِى سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة: ٢٨ -٣٠]. فذكر في هذه الآيات ثلاث أنواع من الأشجار:

الأول: شجر السدر: ﴿فِى سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾﴾، مخضود أي منزوع الشوك[١]، وورد عن ابن عباس وغيره أنه قال: هو الموقر بالثمر[٢]، أي المليء بالثمر.

(والظاهر أن المراد هذا وهذا، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر وفي الآخرة العكس من هذا، لا شوك فيه وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله)[٣].

ويدل على صحة هذا القول حديثان صحيحان وهما:

عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابي يومًا، فقال: يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، فقال رسول الله ﷺ: «وما هي؟»، قال: السدر فإن له شوكًا مؤذيًا، فقال رسول الله ﷺ: «أليس الله تعالى يقول: ﴿فِى سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾﴾ خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمرًا تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونًا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر»[٤].

وعن عتبة ابن عبدٍ السلمي قال: كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم أكثر شوكًا منها

---

(١) لسان العرب (٣/ ١٦٣)، وحادي الأرواح، ص٢٠٣.

(٢) البعث والنشور للبيهقي، ص١٧٢.

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٨).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة، والحاكم في المستدرك، وعنه البيهقي في البعث والنشور، ص١٧٠، وحسن إسناده المنذري وصححه الحاكم، ومحقق صفة الجنة لابن كثير، ص٩٤.



- يعني الطلح -، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونًا من الطعام لا يشبه لون الآخر»(١).

الثاني: الطلح: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ٢٩﴾،(٢) والطلح شجر عظام طوال وهو شجر في البوادي كثير الشوك، وذهب بعض العلماء أنه الموز، والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده، وإلا فالطلح في اللغة هو الشجر العظام من شجر البوادي(٣)، ولكنه في الجنة معد للتناول بلا كد ولا مشقة(٤).

وإذا كان هذا هو حال شجر السدر والطلح من كثرة الثمار وحسنها مع أنه كان في الدنيا خلاف ذلك، فما الظن بالأشجار الباقية التي هي في الدنيا لذيذة الطعم سهلة المتناول، كيف هي في الآخرة؟، فهذا من ذكر الأدنى للتنبيه على الأعلى، والله أعلم.

قال ابن كثير: (وإذا كان السدر الذي في الدنيا لا يثمر إلَّا ثمرة ضعيفة وهي النبق وفيه شوك كثير، والطلح الذي لا يراد منه في الدنيا إلَّا الظل يكونان في الجنة في غاية كثرة الثمار وحسنها حتى إن الثمرة الواحدة منها تتفتق عن سبعين نوعًا من الطعوم والألوان التي لا تشبه بعضها بعضًا، فما ظنك بثمار الأشجار التي تكون في الدنيا حسنة الثمار كالتفاح والنخل والعنب وغير ذلك، وما ظنك بأنواع الرياحين والأزهار)(٥).

النوع الثالث: وهي الشجرة التي ذكرت في قوله سبحانه: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ٣٠﴾

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في كتاب البعث، رقم: ٦٩، وصححه محقق الكتاب أبو إسحاق الحويني.

(٢) لسان العرب (٣/ ٤٣٤).

(٣) حادي الأرواح، ص٢٠٤.

(٤) الجنة والنار للأشقر، ص١٧٦

(٥) صفة الجنة لابن كثير، ص٩٩.

وقد فسره النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»، واقرأوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾[1].

وهناك شجرة أخرى أيضًا ذكرها الله تعالى في كتابه، وهي:

النوع الرابع: شجرة طوبى. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٢٩﴾ [الرعد: ٢٩].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أن رجلًا قال له: يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك، قال: «طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني»، قال له رجل: وما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»[2].

وجميع أشجار الجنة لها ظل ظليل، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾ [النساء: ٥٧].

وسيقان أشجار الجنة من ذهب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب»[3].

وأما ثمار الجنة فهي كثيرة متنوعة، فعند أهل الجنة جميع أنواع الفواكه، كما قال سبحانه: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥﴾ [الدخان: ٥٥]، وقال:

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: «وظل ممدود»، رقم: ٤٥٩٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١١٢٧٦) وهو حديث صحيح بشواهده، كما قال ذلك محقق صفة الجنة لابن كثير، ص٩٠.

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أشجار الجنة قم: ٢٥٢٤)، وقال: حسن غريب، وحسنه الأرنؤوط في جامع الأصول (١٠/ ٥٠٢).



﴿لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧﴾ [يس: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ۝١٥﴾ [محمد: ١٥].

وهذه الفواكه متوفرة لهم في كل وقت كما قال سبحانه: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ۝٣٥﴾ [الرعد: ٣٥].

ولا تمنع عنهم أبدًا، فمتى اشتهوها أكلوها ولا يمنعهم عنها أحد؛ قال تعالى: ﴿وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقعة: ٣٢، ٣٣]، أي لا تنقطع عنهم صيفًا ولا شتاء، ولا يمنعهم من تناولها شيء.

وهذه الثمار لا تحتاج كلفة ولا تعب في جنيها، بل هي قريبة دانية متى ما اشتهاها أخذها من غير عناء، قال تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤﴾ [الرحمن: ٥٤]، يعني وثمار الجنتين قريبة دانية منهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣﴾ [الحاقة: ٢٣]، وكقوله سبحانه: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤﴾ [الإنسان: ١٤].

وعندما تأتيهم هذه الثمار يجدونها تتشابه في الظاهر، وهي في الحقيقة مخالفة لبعضها في الطعم، فتشابهت في الأشكال واختلفت الحقائق والطعوم والروائح[1]، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا...﴾ [البقرة: ٢٥].

ومعنى قولهم: ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾، أي من قبل قليل في الجنة، وليس المقصود ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي في الدنيا، وقد رد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على من رأى

(١) انظر: صفة الجنة لابن كثير، ص١٠٤، حادي الأرواح، ص٢٠٩، وصفة الجنة والنار للأشقر، ص١٧٧.

هذا القول من أجه كثيرة كما في حادي الأرواح[1].

٨ - دواب الجنة وطيورها:

في الجنة دواب وطيور كثيرة، يركبها أهل الجنة ويأكلون منها ويتمتعون بالنظر إليها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥].

يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوهم فيما أخبروهم وأطاعوهم فيما أمروهم به وانتهوا عما عنه زجروهم، أنه يحشرهم يوم القيامة وفدًا إليه، والوفد هم القادمون ركبانًا ومنه الوفود، وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه، وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم فإنهم يساقون عنفًا إلى النار وردا عطاشًا.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ قال: ركبانًا، وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ قال: على الإبل، وقال ابن جريج: على النجائب، وقال الثوري: على الإبل النوق، وقال قتادة: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾، قال: إلى الجنة.

وأخرج عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه عن النعمان بن سعيد قال: كنا جلوسًا عند علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾، قال: لا والله ما على أرجلهم يحشرون، ولا يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة.

وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير)[2].

---

(١) حادي الأرواح، ص٢٠٩ - ٢١١

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٧) بتصرف.



وتفسير هؤلاء الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يدل على أن هذه الإبل تكون قبل دخول الجنة، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون الجنة فيها إبل، لأن الظاهر أنهم يدخلون بالإبل إلى الجنة، وقد ثبت عن عبد الله بن عمرو -وهو مما له حكم الرفع- أن في الجنة إبلًا وخيلًا، حيث قال: «في الجنة عتاق الخيل وكرائم النجائب، يركبها أهلها»(١). النجائب: النفيس من الإبل(٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطومة»(٣).

وهذه الرواية لم تنص أنها في الجنة، ولكن جاءت رواية أخرى لهذا الحديث عند الحاكم بزيادة (في الجنة)، حيث قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لك بها سبعمائة ناقة مخطومة في الجنة» (٤).

وقال تعالى: ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١﴾ [الواقعة: ٢١]، أي يأكلون من لحم طير يشتهونه. عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما الكوثر؟ قال: «ذاك نهر أعطانيه الله -يعني في الجنة- أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، فيها طير أعناقها كأعناق الجزر»، قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أكلتها أحسن منها» (٥).

---

(١) أخرجه ابن المبارك كما في صفة الجنة لابن كثير، ص٢٠٥. وقال المحقق: رجاله ثقات على شرط مسلم.

(٢) لسان العرب (١/ ٧٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها، رقم: ١٨٩٢).

(٤) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٢/ ٢٢٧)، فقد ذكر أنه أخرجه أبو نعيم في الحلية، والحاكم من طريق ابن مسعود، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي ووافقهما الألباني.

(٥) أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة طير الجنة، رقم: ٢٥٤٢) وحسنه أيضًا الأرنؤوط في جامع الأصول (١٠/ ٤٦٧).

المبحث العاشر

أهـــل الجنـــــــة

وهذا المبحث فيه مطالب:

١ - معرفة أهل الجنة لمساكنهم:

إذا دخل أهل الجنة الجنة يلهمهم الله تعالى مكان قصر كل رجل منهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا[١] لَهُمْ ۝٦﴾ [محمد: ٤ -٦]، (أي إذا دخلوها يقال لهم: تفرقوا إلى منازلكم؛ فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم، قال معناه مجاهد وأكثر المفسرين)[٢].

ودل على هذا الحديث الصحيح، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»[٣].

٢ - اجتماع أهل الجنة وحديثهم:

يتزاور أهل الجنة ويجتمعون ويتحادثون متكئين على السرر، كل منهم مقبل على الآخر بوجهه بقلوب صافية وأحاديث جميلة ليس فيها لغو ولا كذب، قال

---

(١) عرفها لهم: لها ثلاثة معان:
١ - طيَّبها لهم. ٢ - دلهم على مكانها. ٣ - وصفها لهم.

(٢) تفسير القرطبي (١٦/ ١٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، باب قصاص المظالم، رقم: ٢٣٠٨).



تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

ومن أحاديثهم ما قاله سبحانه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٥ -٢٨].

ومن أحاديثهم تذكرهم أهل الكفر الذين كانوا يشككونهم بالله واليوم الآخر؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٣٩ -٦١].

تأمل ما في هذه الآية من النعيم والكرامة، فقد بين الله تعالى في هذه الآية أنهم يجتمعون يوم القيامة ويعطون من الفواكه وهم على السرر متقابلين، يتجاذبون أطراف الحديث، وفي أثناء حديثهم يخدمون كالملوك فعندهم الفواكه، ويطاف عليهم بالخمر اللذيذة وعندهم الحور العين، ثم يبدأ الحوار، فيتذكر أحدهم صاحبا له كان يأمره بالمعاصي وينكر البعث، فينادي منادي: هل تريد أن تعرف حاله؟ فيأخذ هذا الرجل ليريه ذلك الصاحب وقد استقر في قلب الجحيم يتقلب

على الجمر لا يموت ولا يحيى، فيخاطبه سائلًا سؤال توبيخ واستنكار: هل نحن لا نموت إلَّا موتتنا الأولى ولن نبعث ولن نعذب؟!!

ثم ينظر لحاله والنعيم الذي هو فيه وينظر إلى حال هذا الذي أصبح من حطب جهنم ويقارن بين الحالين فيرى البون الشاسع والفرق الواسع، فيقول لنفسه وقد امتلأ سرورًا وفاض غبطة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

وأخرج ابن المبارك عن حميد بن هلال -أحمد التابعين الثقات الذين رأوا بعض الصحابة- قال: (بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى)[1]. وهذا على إطلاقه غير دقيق؛ فإن الله تعالى يلحق الذراري بالآباء من الأسفل إلى الأعلى، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٢١].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم، لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك ولهذا قال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾.

وعن ابن عباس قال: (إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾)[2].

---

(١) صفة الجنة لابن كثير، ص٢١٢، وقال المحقق: صحيح عن حميد.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤١).

٣ - أعلى أهل الجنة:

وهم الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون؛ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]، أي معهم في الجنة وإن لم يكونوا معهم في الدرجة.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة»، وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فعلمت أنه خُير[1]. وقد تقدم في مبحث درجات الجنة أن أعلى أهل الجنة هم أهل درجة الفردوس، وأن أعلى درجات الفردوس هي درجة الوسيلة وهي منزلة لا تنبغي إلا لعبد واحد وهو نبينا عليه الصلاة والسلام.

وأخرج مسلم عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أُخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب.

قال: ربي فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»، قال: ومصداقه

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، رقم: ٤١٧١)، ومسلم (تفسير القرآن، باب ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ...﴾، رقم: ٤٣١٠).



في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ الآية[١].

٤ - أطفال المؤمنين في الجنة:

والمقصود هم الأطفال الذين ماتوا قبل بلوغ الحلم، فإنهم من أهل الجنة قطعًا، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطور: ٢١].

فهذه الآية تدل بعمومها على أن ذرية المؤمنين معهم في الجنة، لأن الطفل يولد على الفطرة وهي الإسلام، فإذا مات فهو ميت على الإيمان فيكون مع والديه في الجنان، وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩]، قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (هم أطفال المسلمين، لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم)[٢].

ودخول أطفال المسلمين الجنة ثابت في السنَّة في أحاديث كثيرة، وذكر الكتاني أنها بلغت حد الواتر[٣]، فعن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا قال، قال: نعم: «صغارهم دعاميص[٤] الجنة يتلقّى أحدهم أباه -أو قال أبويه -فيأخذه بثوبه أو قال بيده كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا، فلا يتناهى -أو قال فلا ينتهي -حتى يدخله الله وأباه الجنة»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٨٩).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (٢/ ٣١٧).

(٣) انظر: نظم المتواتر للكتاني، ص ١٢٧.

(٤) دعاميص: جمع دعموص، أي صغار أهلها، وأصل الدعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه، أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها. (انظر: شرح مسلم للنوي (٧/ ٣٣٧) تحقيق عبد المعطي قلعجي).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد يحتسبه، رقم: ٢٦٣٥).

وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما توفي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن له مرضعًا في الجنة»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة، قال: يقال لهم ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخل آباؤنا، فيقال: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم»(٢).

وعن عتبة بن عبد السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل»(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ»(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أطفال المسلمين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يدفعونهم إلى آبائهم يوم القيامة»(٥).

ويدل عليه أيضاً الأحاديث التالية:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قالت النساء للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، رقم: ١٣١٦).

(٢) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، باب من يتوفى له ثلاثة، رقم: ١٨٧٦) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده، رقم: ١٦٠٤) وسنده حسن.

(٤) أخرجه أحمد (٨١٢٥) وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ١٥٦)، رقم: ٦٠٣

(٥) انظر: السلسلة الصحيحة (٣/ ٤٥١)، رقم: ١٤٦٧)، وذكر أنه أخرجه أبو نعيم في أخبار أصفهان والديلمي وابن عساكر وغيرهم.



قال لهن: «ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها لم يبلغوا الحنث إلَّا كان لها حجابًا من النار»، فقالت امرأة: واثنين، فقال: «واثنين»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث فتمسه النار إلَّا تحلة القسم»[(٢)]، وهذا الحديث متواتر[(٣)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتت امرأة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصبي لها فقالت: يا نبي الله ادع الله له فلقد دفنت ثلاثة، قال: «دفنت ثلاثة؟»، قالت: نعم، قال: «لقد احتظرت بحظار شديد من النار»[(٤)].

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (أن من يكون سببًا في حجب النار عن أبويه أولى بأن يحجب هو؛ لأنه أصل الرحمة وسببها)[(٥)]، وقد نقل صاحب كتاب موسوعة الإجماع على أن أطفال المسلمين في الجنة عن النووي والمازري وابن قدامة في المغني وابن حجر في الفتح[(٦)].

ولكن نقل القرطبي[(٧)] عن حماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك وابن راهويه التوقف في ذلك، لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من مولود إلَّا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه، كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها»، قالوا: يا رسول الله أفرأيت

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يومًا على حدة في العلم، رقم: ١٠٢)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم: ٢٦٣٤).

(٢) أخرجه أحمد (٩٧٧٠) بسند صحيح. وهذا الحديث أخرجه البخاري أيضًا، انظر: ص٣٦٧ من الرسالة. وإنما نسبته لأحمد لأنه مقيد بلفظ: «لم يبلغوا الحنث».

(٣) انظر: نظم المتواتر للكتاني، ص١٢٧.

(٤) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم: ٢٦٣٤).

(٥) فتح الباري (٣/ ٢٨٨).

(٦) انظر: موسوعة الإجماع لسعدي أبو جيب (١/ ٢٦٥)، وفتح الباري (٣/ ٢٨٨).

(٧) في التذكرة (٢/ ٣١٧)



من يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[١].

وعن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: دُعي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جنازة غلام من الأنصار فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه، قال: «أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»[٢].

وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة هي كالتالي:

١ - لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير دليل.

٢ - أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة[٣]، وهذا هو الظاهر، لأنه في الحديث الأول بيَّن أنه لا يعلم في ذلك شيء ونسب العلم إلى الله فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»، وفي الحديث الثاني لم يقل إنهم ليسوا في الجنة بل بيَّن أن الله خلق للجنة أهلًا وللنار أهلًا، وسكت، وفي الأحاديث الكثيرة التي سقناها دلالة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبين أنه فيما بعد أنهم من أهل الجنة، والله أعلم.

٣ - الأحاديث تشير إلى عدم الجزم لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، وإن كنا نشهد لهم مطلقًا بالجنة[٤].

يقول ابن تيمية: (لا يشهد لكل معين من أطفال المؤمنين بأنه في الجنة، وإن شهد لهم مطلقًا)[٥].

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، رقم: ٦٢٢٦)، ومسلم (كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم: ٢٦٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم: ٢٦٦٢).

(٣) ذكر هذين الجوابين ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٢٨٨) نقلا عن النووي.

(٤) انظر: الجنة والنار للأشقر، ص٢٠٠.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٢٨١).

٥ - سيدات نساء أهل الجنة:

الجنة درجات ومراتب وأهلها متفاوتون في درجاتهم، وأعلى الدرجات فيها سادة أهل الجنة، فسيدا شيوخ أهل الجنة أبو بكر وعمر ﵄، وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين، ولكنهم لم يذكروا في القرآن وإنما ذكر سيدات نساء أهل الجنة، وهما مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: ١١، ١٢].

قال البخاري: باب قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾، إلى قوله: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾؛ ثم ساق حديث أبي موسى ﵁ قالك قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلَّا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وأن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[(١)].

وعن ابن عباس ﵁ قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط قال: «تدرون ما هذا؟»، فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران»[(٢)].

وقد مال ابن كثير إلى أن آسية ومريم سوف يكن زوجات للنبي ﷺ في

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ...﴾، رقم: ٣٢٣٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين، رقم: ٢٤٣١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٦٦٣) وسنده حسن. انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ١٣)، رقم: ١٥٠٨.

الجنة، وقد روي هذا عن البراء وبريدة وأبي هريرة وغيرهم من السلف [١] وبعض الأحاديث فيها إشعار بهذا، مثل حديث فاطمة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: أين أمنا خديجة؟ قال: «في بيت من قصب لا لغو فيه ولا نصب، بين مريم وآسية امرأة فرعون»[٢].

بل في بعضها التصريح بذلك، وقد استنبطه بعضهم من قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ [التحريم: ٥]، ثم ذكرت آسية ومريم في آخر السورة [٣]، وهو قول وجيه، لأن آسية ومريم خير نساء العالمين -كما دلت عليه الأحاديث السابقة- ومريم أم رسول من أولي العزم من الرسل وهو عيسى عليه السلام، وآسية أم بالتبني لرسول من أولي العزم من الرسل وهو موسى عليه السلام، وبما أنهن خير نساء العالمين أمهات أنبياء فإنهن يستحققن أن يزوجن بخير رجال العالمين وخير الأنبياء وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

وأمهات المؤمنين أيضًا من سيدات نساء الجنة لأنهن مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

---

(١) صفة الجنة لابن كثير، ص٤٩.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٨)، وأخرج الطبراني عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وامرأة فرعون»، وأخرجه الطبراني أيضًا عن سعد بن جنادة مرفوعًا بلفظ مقارب وعن أبي رواد كذلك، انظر هذه الأحاديث في مجمع الزوائد (٩/ ٣٤٩)، وكل هذه الأحاديث لا تسلم من ضعف، لكن مجموع هذه الأحاديث مع ما روي عن الصحابة -وهو له حكم الرفع لأنه لا يقال من قبل الرأي- مع ما ورد عن السلف، مع الاستنباط من الآية مع التعليل؛ كل هذه الأمور تقوي هذا الدليل وتدل أن للمسألة أصلًا.

(٣) صفة الجنة لابن كثير، ص٤٩.



وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: «إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك»، قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه.

قالت: ثم قال: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾.

قالت: فقلت: في أي هذا استأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت[١].

وقال ﷺ: «المرأة لآخر أزواجها في الآخرة»؛ وفي رواية: «جمع بينهما في الجنة»[٢]، وعليه فتكون زوجاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ معه في الجنة، ولا يلزم من هذا أن يكن معه في نفس الدرجة، لأنه قد ثبت أن النبي ﷺ في منزلة الوسيلة التي لا تنبغي إلَّا لرجل واحد، ولكنهن قريبات منه ﷺ، ولا يلزم من هذا أيضًا أن تكون أمهات المؤمنين خير من كل أصحاب رسول الله ﷺ بما فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وقد تواترت الأحاديث في أفضلية أبي بكر على جميع الصحابة بما فيهم أمهات المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين[٣].

(وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ ...﴾، رقم: ٤٥٠٨)، ومسلم (كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلَّا بنية، رقم: ١٤٧٥).

(٢) أخرجه البغوي وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط، انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٣/ ٢٧٥)، رقم: ١٢٨١.

(٣) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني، ص٢٠٢.



بكر ثم عمر»، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا)[١].

ولكن زعم ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ أن أمهات المؤمنين أرفع من جميع الصحابة في الجنة، وبالتالي هن أفضل منهم أجمعين، حيث قال: (والناس في الجنة على قدر فضلهم عند الله تعالى، فأفضل الناس أعلاهم في الجنة درجة، وهم الأنبياء ثم أزواجهم ثم سائر أصحاب رسول الله ﷺ، وقد ذكرنا أن أفضل الناس أعلاهم درجة في الجنة، ولا منزلة أعلى من درجة الأنبياء، فمن كان معهم في درجتهم فهو أفضل ممن دونهم وليس ذلك إلَّا لنسائهم فقط)[٢].

وقد خالف ابن حزم الإجماع والأحاديث المتواترة وقال بقول لم يسبق إليه ولم يوافق عليه، وإنما أداه إلى هذا القول أنه فهم من المعية المساواة في الدرجة، وهذا غير صحيح، فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩]، قال القرطبي: (أي معهم في الجنة وإن لم يكونوا معهم في الدرجة)[٣]، وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «المرء مع من أحب»[٤]، ولا يوجد مسلم إلَّا وهو يحب النبي ﷺ، بل هذا شرط للإيمان كما قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[٥]، ومع هذا ليس كل المؤمنين في درجة واحدة.

---

(١) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني، ص٢٠٣.

(٢) المحلى لابن حزم (١/ ٤٤) تحقيق أحمد شاكر، بتصرف واختصار.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ١٧٦).

(٤) متفق عليه: البخاري (كتاب الأدب، باب علامة حب الله، رقم: ٥٨١٦)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء من أحب، رقم: ٢٦٤١).

(٥) متفق عليه: البخاري (كتاب الإيمان، باب وجوب محبة الرسول أكثر من الأهل والولد والوالد، رقم: ١٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب وجوب محبة الرسول أكثر من الأهل والولد والوالد، رقم: ٤٤).

٦ – زوجة المؤمن معه في الجنة إذا ماتت على الإيمان:

إذا دخل المؤمن الجنة، فإن كانت زوجته صالحة فإنها تكون زوجته في الجنة أيضًا، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣﴾ [الرعد: ٢٣]، وهم في الجنات منعمون مع الأزواج يتكئون في ظلال الجنة مسرورين فرحين، قال تعالى: ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦﴾ [يس: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾ [الزخرف: ٧٠]، وقد تقدمت الأحاديث التي تدل على ذلك.

٧ – ضحك أهل الجنة من أهل النار، وحديثهم معهم:

بعد أن يدخل الله أهل الجنة الجنة ينادون خصومهم من الكفار أهل النار مبكتين مؤنبين: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [الأعراف: ٤٤].

لقد كان الكفار في الدنيا يخاصمون المؤمنين ويسخرون منهم ويهزؤون بهم، فإذا جاء يوم القيامة انقلب الحال وتبدلت الأحوال، فإذا بالمؤمنين –وهم في النعيم المقيم– ينظرون إلى المجرمين فيضحكون منهم ويسخرون بهم ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ [المطففين: ٢٢-٣٦].



نعم لقد جوزي الكفار بمثل ما كانوا يعملون والجزاء من جنس العمل، ويتذكر المؤمن في جنات النعيم ذلك القرين أو الصديق الذي كان يزين له الكفر في الدنيا، وكان يدعوه إلى تلك المبادئ الضالة التي تجعله في صف الكافرين أعداء الله، فيحدث إخوانه عن ذلك القرين فيدعوهم للنظر إليه في مقره الذي يعذب فيه، فعندما يرى ما يعانيه من العذاب يعلم مدى نعمة الله عليه وكيف خلصه من حاله، ثم يتوجه إليه باللوم والتأنيب ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٥٠-٦١].

٨ - أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة:

لكل إنسان منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده، قال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: صدقت، ثم يفتح له باب إلى النار، فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنت فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن ويفسح له في قبره.

وإن كان كافرًا أو منافقًا، يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا: فيقول: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت، ثم يفتح

له باب إلى الجنة فيقول: هذا منزلك لو آمنت بربك، فأما إذ كفرت به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا، ويفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه قمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين».

فقال بعض القوم: يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلَّا هبل عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[1].

فإذا دخل الجنة ورث أهل النار منزله الذي في النار، وإذا دخل النار ورث أهل الجنة منزله في الجنة؛ قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلَّا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾»[2].

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فيقال له: هذا فداؤك من النار»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٦١٧) وسنده حسن، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤٨) ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، باب صفة الجنة، رقم: ٤٣٤١) وسنده صحيح كالشمس، وهو آخر حديث في سنن ابن ماجه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٤٨)، رقم: ٢٢٧٩.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم: ٢٧٦٧) وأحمد (١٩١٠٣) واللفظ له.



(وعن مجاهد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ قال: ما من عبد إلَّا وله منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة ويبني بيته الذي في النار، وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك.

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له؛ أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عَزَّوَجَلَّ.

قلت[1]: وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾، وكقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾)[2].

٩ - أشخاص بأعيانهم يدخلون الجنة:

١ - الأنبياء والرسل:

قال الله تعالى عن داود وسليمان: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: ٤٥ - ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا

---

(١) قائله هو ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٩).



هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ
وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ
﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ
إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٨٢ -٩٠].

فوصفهم الله بالهداية الصلاح والاجتباء والإحسان، وبين في آيات كثيرة أن المحسن جزاؤه الجنة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦]، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، بل العقل يدل على ذلك، فإن الله تعالى لا يرسل مبلغًا عنه إلا وهو في الغاية القصوى من الكمال البشري خَلقًا وخُلقًا ودينًا وصلاحًا، وما كان الله تعالى ليعذب من دل الناس عليه، وإنما ذكرت هذا البحث من باب إكمال مادة المبحث وحصر جميع مسائله.

٢ - أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ
﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ
تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٤ -٢١].

قال ابن جزي: (الأتقى هو أبو بكر الصديق)[1]، وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٨٠).



ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾.

وهو مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صديقا تقيا كريما جوادا باذلا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان ها حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾.

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة: يا عبد الله هذا خير»، فقال أبو بكر: يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة، فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم»(١)، وإنما ذهبوا إلى ذلك لأن ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ أفعل تفضيل، ولا أحد أفضل من أبي بكر رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمة محمد.

٣ - مريم بنت عمران.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٠)، وانظر: تفسير الشوكاني (٥/ ٤٥١).

٤ - آسيا بنت مزاحم:

وقد قدمنا الأدلة على ذلك في مبحث سيدات نساء أهل الجنة.

٥ - صاحب يس:

قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

٦ - مؤمن آل فرعون:

قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر: ٤٥].

(وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ أي في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأما في الآخرة فبالجنة)(١).

٧ - صحابة رسول الله ﷺ:

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠].

والحسنى الجنة كما تقدم إثبات ذلك في مبحث أسماء الجنة، وعليه فيكون قد وعد الله تعالى الفريقين بالجنة، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون، وعدهم الله جميعا الجنة مع تفاوت الدرجات)(٢).

وقال أبو محمد ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا؛ قال

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٨)، وانظر: معالم التنزيل للبغوي (٧/ ١٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٧/ ١٥٧).



تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١]، فثبت أن الجميع من أهل الجنة، وأنه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون بالآية السابقة)[١].

١٠ - هل مؤمنو الجن يدخلون الجنة:

هذه المسألة من المسائل الخلافية بين العلماء، وقد تعرض لها القرآن في مواضع، وقد اختلف العلماء في ذلك على قولين:

الأول: أنهم لا ثواب لهم إلا النجاة من النار ثم يقال لهم: كونوا ترابًا، وهذا هو رأي أبي حنيفة، واستدلوا ببعض الآثار عن بعض التابعين كالليث وأبي الزناد، واستدلوا بعدم ورود شيء يثبت أن لهم نصيبًا في الجنة عن الشارع.

الثاني: أنهم يثابون على الطاعة، ويدخلون الجنة وهو رأي الأئمة الثلاثة والأوزاعي وابن أبي ليلى وغيرهم، واستدلوا لذلك بأدلة من الكتاب وهي:

١ - بعد أن تكلم الله عن الإنس والجن في سورة الأنعام قال سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأنعام: ١٣٢]، وقوله (لكل) يعود على الإنس والجن، فدل أن لهم درجات في الجنة بحسب عملهم.

٢ -قوله تعالى في الحور العين: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن: ٥٦]، فدل أن الجن يدخلون الجنة ويتمتعون بالحور العين كما يحصل للإنس[٢].

ولا شك أن القول الثاني هو الراجح، والجن مكلفون بما في الكتاب والسنة

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ١١)، فقد نقله عنه ابن حجر في المقدمة

(٢) ذكر هذه المسألة السيوطي في لقط المرجان في أحكام الجان، ص١١٨ -١٢٠، وهذا هو ملخصها.



كالإنس تمامًا، وما كان الله تعالى بظلام للعبيد، فكيف يقال إن من أطاع من الجن وبذل عمره ووقته وأنفاسه في طاعة الله واتباع أوامره، واجتناب نواهيه وحجز نفسه عن هواها، ولعله يبذل نفسه لأجل دينه، كيف يقال لهذا: إنه ليس لك إلَّا أن تكون ترابًا يوم القيامة، هذا من الظلم، بل له نصيب في الجنة على قدر عمله، كما هو الحال في بني آدم.

❊❊❊



المبحث الحادي عشر
ما أعد الله لهم فيها

وفيه مطالب:

١ - فضل نعيم أهل الجنة على متاع الدنيا:

متاع الدنيا واقع مشهود، ونعيم الجنة غيب موعود، والناس يتأثرون بما يرون ويشاهدون، ويثقل على قلوبهم ترك ما بين أيديهم إلى شيء ينالونه في الزمن الآتي، فكيف إذا كان الموعود ينال غب الموت؟، من أجل ذلك قارن الحق تبارك وتعالى بين متاع الدنيا ونعيم الجنة، وبين أن نعيم الجنة خير من الدنيا وأفضل، وأطال في ذم الدنيا وبيان فضل الآخرة، وما ذلك إلَّا ليجتهد العباد في طلب الآخرة ونيل نعيمها.

وبتصفح كتاب الله فإننا نجد ذم الدنيا ومدح نعيم الآخرة، وتفضيل ما عند الله على متاع الدنيا القريب العاجل في مواضع كثيرة، كقوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ [آل عمران: ١٩٧-١٩٨]، وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١﴾ [طه: ١٣١].

وقال في موضع ثالث: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

ولو ذهبنا نبحث في سر أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا لوجدناه من وجوه متعددة:

أولًا: متاع الدنيا قليل بالنسبة لنعيم الآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧].

وقد صور لنا الرسول ﷺ قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال: «والله ما الدنيا في الآخرة إلَّا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه -وأشار يحيى بالسبابة- في اليم فلينظر بم ترجع»[1]، ما الذي تأخذه الإصبع إذا غُمست في البحر الخضم إنها لا تأخذ منه غير قطرة، هذا هو نسبة الدنيا إلى الآخرة.

ولما كان متاع الدنيا قليلًا، فقد عاتب الله المؤثرين لمتاع الدنيا على نعيم الآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨].

الثاني: هو أفضل من حيث النوع، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾، فثياب أهل الجنة وطعامهم وشرابهم وحليهم وقصورهم أفضل مما في الدنيا ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان: ٢٠].

بل لا وجه للمقارنة، فإن موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها؛ فعن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»[2]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب، وقال: لغدوة أو روحة في

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحسرة يوم القيامة، رقم: ٢٨٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٧٨).



سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»(١).

وقارن نساء أهل الجنة بنساء الدنيا لتعلم فضل ما في الجنة على ما في الدنيا، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد -يعني سوطه- خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»(٢).

وقال تعالى: ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٠].

قال القرطبي: (أي تكرمون؛ قاله ابن عباس؛ والكرامة في المنزلة، وقال الحسن: أي تفرحون؛ والفرح في القلب، وقال قتادة: أي ينعمون؛ والنعيم في البدن، وقال مجاهد: أي تسرون؛ والسرور في العين، وقال ابن أبي نجيح: أي تعجبون؛ والعجب هنا درك ما يستطرف، وقال يحيى بن أبي كثير: هو التلذذ بالسماع)(٣).

الثالث: الجنة خالية من شوائب الدنيا وكدرها، فطعام أهل الدنيا وشرابهم يلزم منه الغائط والبول، والروائح الكريهة، وإذا شرب المرء خمر الدنيا فقد عقله، ونساء الدنيا يحضن ويلدن، والحيض أذى، والجنة خالية من ذلك كله، فأهلها لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يبصقون ولا يتفلون، وخمر الجنة كما وصفها خالقها: ﴿ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الصافات: ٤٦]، وماء الجنة لا يأسن، ولبنها لا يتغير طعمه: ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ [محمد: ١٥].

ونساء أهل الجنة مطهرات من الحيض والنفاس وكل قاذورات نساء الدنيا،

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله...، رقم: ٢٦٤٠).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين، رقم: ٢٦٤٣).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٧٤).



كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

وقلوب أهل الجنة صافية، وأقوالهم طيبة، وأعمالهم صالحة، فلا تسمع في الجنة كلمة نابية تكدر الخاطر، وتعكر المزاج، وتثير الأعصاب، والجنة خالية من باطل الأقوال والأعمال، ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور: ٢٣]، ولا يطرق المسامع إلّا الكلمة الصادقة الطيبة السالمة من عيوب كلام أهل الدنيا ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ [النبأ: ٣٥]، لا يسمعون فيها إلّا سلامًا ولا تسمع فيها لاغية.

إنها دار الطهر والنقاء والصفاء الخالية من الشوائب والأكدار، إنها دار السلام والتسليم ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]، ولذلك فإن أهل الجنة إذا خلصوا من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، ثم يهذبون وينقون بأن يقتص لبعضهم من بعض، فيدخلون الجنة وقد صفت منهم القلوب، وزال ما في نفوسهم من تباغض وحسد ونحو ذلك مما كان في الدنيا.

الرابع: نعيم الدنيا زائل، ونعيم الآخرة باق دائم: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤]، ولذلك سمى الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما زين للناس من زهرة الدنيا متاعا، لأنه يتمتع به ثم يزول، أما نعيم الآخرة فهو باق، ليس له نفاد ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤]، ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨].

وقد ضرب الله الأمثال لسرعة زوال الدنيا وانقضائها: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ



ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦].

فقد ضرب الله مثلا لسرعة زوال الدنيا وانقضائها بالماء النازل من السماء الذي يخالط نبات الأرض فيخضر ويزهر ويثمر، وما هي إلا فترة وجيزة حتى تزول بهجته، فيذوب ويصفر، ثم تعصف به الرياح في كل مكان، وكذلك زينة الدنيا من الشباب والمال والأبناء والحرث والزرع كلها تتلاشى وتنقضي.

فالشباب يذوب ويذهب، والصحة والعافية تبدل هرمًا ومرضًا، والأموال والأولاد قد تذهب، وأما الآخرة فلا رحيل، ولا فناء، ولا زوال ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [النحل: ٣٠، ٣١].

الخامس: العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة يعقبه الحسرة والندامة ودخول النيران، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وأما العمل للآخرة فلا يعقبه إلا الفوز بها [(١)].

ومن تكريم الله لهم أن الجنة تقرب لهم، لا يقربون هم إلى الجنة، قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشعراء: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ [التكوير: ١٣]، أي: قربت.

٢ - تفاضل درجات أهل الجنة:

الجنة درجات كثيرة -وقد تقدم هذا في مبحث درجات الجنة-، وهذه الدرجات تختلف بالنعيم حسب ارتفاعها، فمن كان من أهل الدرجات العلى كان نعيمه أعظم، وقد بين الله تعالى لنا هذا في ثلاثة مواضع:

---

(١) انظر: الجنة والنار للأشقر، ص ٢٢٣ بتصرف.



الأول: قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦ -٧٦].

فقد فضل الله تعالى أهل الجنة الأولى على الثانية من عشرة أوجه: (أحدها: قوله: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ وفيه قولان أحدهما أنه جمع فنن وهو الغصن، والثاني أنه جمع فن وهو الصنف، أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثاني: قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾، وفي الأخريين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ والنضاخة هي الفوارة، والجارية هي السارحة وهي أحسن من الفوارة فإنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾، وفي الأخريين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل، واختلف في الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان، فقالت طائفة: الزوجان الرطب واليابس الذي



لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس، وفيه نظر لا يخفى، وقالت طائفة: الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب، وقالت طائفة: نوعان، ولم تزد، والظاهر والله أعلم أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر؛ وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم.

الرابع: أنه قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾، وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها، وفي الأخريين قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ٧٦﴾ وفسر الرفرف بالمحابس والبسط، وفسر بالفرش وفسر بالمحابس فوقها، وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأولين.

الخامس: أنه قال: ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ٥٤﴾، أي قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤوا، ولم يذكر ذلك في الأخريين.

السادس: أنه قال: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾، أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن وقصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن، وقال في الأخريين ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢﴾ ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامن: أنه قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في الجنتين الأولتين: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأولتين وجعلهما جزءًا لمن خاف مقامه، وهذا يدل أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه، ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر

جنتي المقربين ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾، والسياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهري)[1].

الموضوع الثاني: قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُۥ مِسْكٌۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٥-٢٨].

فالأبرار يشربون من كأس ممزوج بالتسنيم، بينما يشربه المقربون صرفًا من غير مزج، قال ابن عباس: (تسنيم أشرف شراب أهل الجنة وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين)[2].

الموضع الثالث: قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾
فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾
وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾
وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ
ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا
سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾
وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾
وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: ٧-٤٠].

---

(١) حادي الأرواح لابن القيم، ص ١٣٦.

(٢) البدور السافرة في أحوال الآخرة، ص٥٤٤، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص١٩٢.

ذكر في هذه الآيات صفة نعيم المتقين وصفة نعيم الأبرار، ففي نعيم المتقين ذكر أن الذي ينال هذه الدرجة هم كثير من القرون الأولى ولكنه قليل من المتأخرين، بينما النعيم الأقل درجة يناله كثير من المتقدمين والمتأخرين، وبين أن المقربين يكونون على السرر، ويطوف عليهم الخدم وهم الغلمان المخلدون بأطيب الأشربة والأطعمة الفاكهة، ولهم الحور العين ولا يسمعون فيها إلا السلام، بينما لم يذكر هذا في جنة أصحاب اليمين.

٣ - طعام أهل الجنة وشرابهم:

من ملذات هذه الدنيا وشهواتها الطعام، وهو في الآخرة أعظم شهوة ولذة، وليس فيه شيء من منغصات الدنيا من انقطاع بعض الأطعمة في بعض الأوقات والتعب في تحضيره وعسر الهضم وخروجه بأنتن رائحة وغير ذلك، فالجنة لا جوع فيها ولا عطش كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨، ١١٩].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون»، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس»(١).

وفي هذا المطلب مسألتان:

الأولى: طعامهم:

وقد ذكر الله تعالى أنواعًا كثيرة منها:

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمة وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا، رقم: ٢٨٣٥).



١ - الفاكهة بجميع أنواعها:

قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠﴾ [الواقعة: ٢٠]، ومن هذه الفاكهة العنب ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢﴾ [النبأ: ٣١، ٣٢]، عن عتبة بن عبد السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: «نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى»، فذكر شيئًا لا أدري ما هو، قال: أي شجر أرضنا تشبه، قال: «ليست تشبه شيئًا من شجر أرضك».

فقال النبي ﷺ: «أتيت الشام؟» فقال: لا، قال: «يشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها»، قال: ما عظم أصلها؟ قال: «لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرمًا».

قال: فيها عنب؟ قال: «نعم»، قال: فما عظم العنقود؟ قال: «مسيرة شهر للغراب الأبقع ولا يعثر»، قال: فما عظم الحبة؟ قال: «هل ذبح أبوك تيسًا من غنمه قط عظيمًا؟»، قال: نعم، قال: «فسلخ إهابه فأعطاه أمك قال اتخذي لنا منه دلوًا»، قال: نعم، قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي؟ قال: «نعم وعامة عشريتك»[(١)].

وعن عبد الله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى، قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئًا مقامك ثم رأيناك تكعكعت، قال: «إني أريت الجنة فتناولت منها عنقودًا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»[(٢)].

عن ابن بريدة عن أبيه أنه كان مع رسول الله ﷺ في اثنين وأربعين من أصحابه والنبي ﷺ يصلي في المقام وهم خلفه جلوس ينتظرونه، فلما صلى أهوى

(١) أخرجه أحمد (١٧١٩٠) وسنده صحيح، وصححه ابن حبان كما في موارد الظمآن (٢٦٢٦).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة، رقم: ٧١٥)، ومسلم (كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف...، رقم: ٩٠٧).



فيما بينه وبين الكعبة كأنه يريد أن يأخذ شيئًا ثم انصرف إلى أصحابه فثاروا وأشار إليهم بيده أن اجلسوا فجلسوا فقال: «رأيتموني حين فرغت من صلاتي أهويت فيما بيني وبين الكعبة كأني أريد أن آخذ شيئًا»، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «إن الجنة عرضت علي فلم أر مثل ما فيها، وإنها مرت بي خصلة من عنب فأعجبتني فأهويت إليها لآخذها فسبقتني، ولو أخذتها لغرستها بين ظهرانيكم حتى تأكلوا من فاكهة الجنة، واعلموا أن الكمأة دواء العين وأن العجوة من فاكهة الجنة، وأن هذه الحبة السوداء التي تكون في الملح اعلموا أنها دواء من كل داء إلا الموت»(١).

وهذه الفاكهة ليست بقليلة بل هي فاكهة كثيرة ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٧٣].

ولا يتعب نفسه في إحضارها وجنيها بل يطلب ذلك ويحضرها الخدم له ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [ص: ٥١].

وهذه الفاكهة من النوع الذي يختاره ويشتهيه حتى تكمل اللذة، فلا يأتونه بشيء لم يختره ولا يشتهيه؛ ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: ٢٠، ٢١]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المرسلات: ٤١ -٤٣].

وهذه الفاكهة لا تنقطع في وقت من الأوقات كما يحصل في فواكه الدنيا بل هي متوفرة دائمًا، ولا تمنع عن أصحاب الجنة أبدًا: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: ٣١ -٣٣]، وإذا اشتهى أن يقطف الفاكهة بنفسه فإنها لا تعسر عليه، بل تذلل له الأغصان وتنزل حتى يأخذ منها ما شاء بلا تعب ولا عناء ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان: ١٤]،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٤٦٣) وسنده صحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٨٧): (رجاله رجال الصحيح).



وقال سبحانه: ﴿... وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤﴾ [الرحمن: ٥٤].

ومن ثمار الجنة التمر، فعن أبي صالح ذكوان عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لفلان نخلة في حائطي فمره فليبعنيها أو ليهبها لي، قال: فأبى الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «افعل ولك بها نخلة في الجنة»، فأبى، فقال النبي ﷺ: «هذا أبخل الناس»[1].

٢ - لحم الطير:

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾ [الواقعة: ٢٠، ٢١]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: ما الكوثر؟ قال: «ذاك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، فيها طير أعناقها كأعناق الجزر»، قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «أكلتها أحسن منها»[2].

وليس هذا فقط طعامهم بل لهم كل ما اشتهت أنفسهم ولذته أعينهم، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١﴾ [الزخرف: ٧١]، وقوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ...﴾ يحتمل أن يعود الضمير على الجنة، أي في الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ويحتمل أن يعود الضمير على الصحاف، أي في الصحاف ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وعلى كلا الاحتمالين فالمعنى صحيح.

الثانية: شرابهم:

وأما شرابهم فإنه شراب طهور طيب لا كما يفعل بعض الضالين الذين

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٥٧٥) وسنده صحيح، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٢٧): رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة طير الجنة، رقم: ٢٥٤٢) وحسنه، وحسنه أيضًا الأرنؤوط في جامع الأصول (١٠/ ٤٦٧).



يشربون النجاسة، فتجدهم يشربون الخمر وبعضهم يشرب الدم المسفوح وبعضهم يشرب العرق وغير ذلك من النجاسات والقاذورات، وأما أهل الجنة فشرابهم طاهر طهور طيب، قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: ٢١].

ومن هذه الأشربة الطيبة:

١ - الخمر:

فقد تكلم الله تعالى عن خمر الجنة في غير ما آية ونفى عنه اجميع آفات خمر الدنيا، فقال تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٨، ١٩]، وقال: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور: ٢٢، ٢٣]، وقال: ﴿... وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ...﴾؛ فخمر الدنيا:

(١) طعمها غير لذيذ.

(٢) وتحدث لمن شربها الصداع.

(٣) وتذهب بعقله.

(٤) ويكثر عندها اللغو واللغط بل لا تحلو إلَّا بكثرة اللغو.

(٥) وتوقع الإنسان في الآثام العظام من دخول تحت اللعنة وارتكاب للمحظورات فلا يمتنع عن شيء منها، وكيف يمتنع وهو لا عقل له؟

فهذه خمسة منعصات لخمر الدنيا نفاها الله عن خمر الآخرة، فالطعم لذة للشاربين، وهم لا يصدعون عنها، ولا ينزفون أي لا تذهب عقولهم، ولا لغو عندها، ولا إثم فيها.



وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٤٥ -٤٧]، وهذه الكأس من خمر الجنة، والمعين: الجاري الكثير، ولون هذه الخمر بيضاء أي حسنة المنظر، وهي ذات ﴿لَذَّةٍ﴾، والغول صداع في الرأس وقيل وجع في البطن، وهي ليس فيها هذا ولا هذا، ﴿يُنزَفُونَ﴾ أي لا يسكرون منها [1] فلا تذهب عقولهم وتبقى لذاتها.

والخمر هي المقصود بقوله تعالى: ﴿رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾، قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾...﴾، والرحيق هي الخمر الصافية ومن لذة الخمر أنها تختم بالمسك، والمقصود بقوله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ﴾ مختلف فيه على ثلاثة أقوال كلها محتملة:

١ - أنها من الختم على الشيء بمعنى الطابع عليه، فالمعنى أنه ختم على فم الإناء الذي هو فيه بالمسك كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها وصيانتها.

٢ - أنه من ختم الشيء أي تمامه، فمعناه خاتم شربه مسك أي يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك ولذته.

٣ - أن معناه مزاجه مسك، أي يمزج الشراب بالمسك[2]، وهذا القول أضعفها لأن الله تعالى ذكر بعده الشيء الذي يمزج به فقال: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمنًا على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمنًا على عري

(١) التسهيل لابن جزي (٢/ ٥/ ٢٣٥).
(٢) انظر: التسهيل لابن جزي (٢/ ٥٤٩).



كساه الله من خضر الجنة»(١).

ولعل أعظم منغصات خمر الدنيا أن من شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة؛ فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلَّا أن يتوب»(٢).

٢، ٣، ٤ – العسل واللبن والماء:

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥].

عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار»(٣).

(وذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا؛ فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وأن يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته)(٤)، (وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس؛ فهذا لشربهم وطهورهم -وهو الماء -، وهذا

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، رقم: ٢٤٤٩)، وأبو داود (كتاب الزكاة، باب في فضل سقى الماء، رقم: ١٦٨٢) وسنده حسن.

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب الأشربة، باب قول الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ...﴾، رقم: ٥٢٥٣)، ومسلم (كتاب الأشربة، باب عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب، رقم: ٢٠٠٣).

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، رقم: ٢٥٧١)، وقال: حسن صحيح.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم، ص ٢١٨.

لقوتهم وغذائهم -وهو اللبن -، وهذا للذتهم وسرورهم -وهو الخمر -؛ وهذا لشفائهم ومنفعتهم -وهو العسل -)[١].

٥ - الكافور:

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

٦ - الزنجبيل من عين السلسبيل:

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨]؛ (أخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين: بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الراحة ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في أخرها؛ فإن شرابهم مزج أولًا بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله، والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى وأنهما نوعان لذيذان من الشراب أحدهما مزج بكافور، والثاني مزج بزنجبيل)[٢].

٧ - التسنيم:

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ [المطففين: ٢٥ -٢٨]، قال ابن عباس: (تسنيم أشرف شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين)[٣].

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم، ص ٢١٩.

(٢) حادي الأرواح، ص ٢٢٤.

(٣) البدور السافرة في أحوال الآخرة، ص ٥٤٤، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ١٩٢.



وهذا الطعام والشراب يأتيهم في أوقات البكور وهو أول النهار وفي العشي وهو آخر النهار، قال تعالى: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ ﴾ [مريم: ٦٢]، وهذا الانقطاع البسيط له حكمة، وهي استمرار لذة الأكل والشراب، فإن الإنسان من طبيعته أنه إذا أكثر من شيء مله، وأما إذا كان ينقطع ويأتي فإنه يشتاق إليه، فإذا جاءه فرح به وسر لمجيئه.

٤ -آنية طعامهم وشرابهم:

آنية طعام أهل الجنة من ذهب وفضة كما قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ ﴾ -أي من ذهب أيضا- ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزخرف: ٧١].

الصحاف جمع صحفة وهي القصعة وزنا ومعنى(١)، وهي من ذهب كما هو صريح الآية، والأكواب جمع كوب وهو الكوز المستدير الرأس الذي لا عروة له ولا خرطوم(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذي على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحد منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوة -قال أبو اليمان: يعني العود- ورشحهم المسك»(٣).

---

(١) لسان العرب (٩/ ١٨٧).

(٢) انظر: لسان العرب (١/ ٧٢٩)، حادي الأرواح، ص ٢٣٣، صفة الجنة لابن كثير، ص ١١٣.

(٣) متفق عليه: البخاري (كتاب بدأ الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٧٣)، ومسلم (كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، رقم: ٣١٤٩).

وقال تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٨، ١٩]، وأباريق جمع إبريق وهي الأكواب الكبيرة ذات العرى والخراطيم[(١)]، والكأس هو الكوب إذا كان فيه شراب[(٢)]، وهذا الكأس مليء بالشراب كما قال تعالى ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [النبأ: ٣٤] أي مليئة مترعة متتابعة[(٣)]، وهذا من كمال النعيم، فلا ينقصهم شيء حتى الكؤوس مليئة، وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦] القوارير الزجاج، أي هي في صفاء الزجاج وهي من فضة، وهذا ما لا نظير له في الدنيا.

قال ابن عباس: (لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى جعلها مثل جناح الذباب لم ير الماء من وراءها، ولكن قوارير الجنة بياض الفضة في صفاء القوارير)[(٤)]، (وهي معدة على قدر كفاية ولي الله في شربه لا تنقص عن كفايته شيء ولا تزيد فقد قدروها تقديرا، وهذا أبلغ في لذة الشارب، فلو نقص عن ريه لنقص التذاذه، ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقي، وهذا يدل على الاعتناء والشرف)[(٥)].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنهم كانوا عند حذيفة فاستسقى فسقاه مجوسي، فلما وضع القدح في يده رماه به وقال: لولا أني نهيته غير مرة ولا مرتين -كأنه يقول لِـمَ أفعل هذا- ولكني سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم

(١) انظر: حادي الأرواح، ص ٢٣٣، صفة الجنة لابن كثير، ص ١١٣.
(٢) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ص ٧٢٩.
(٣) صفة الجنة لابن كثير، ص ١١٣، حادي الأرواح، ص ٢٢٩.
(٤) البعث والنشور للبيهقي، ص ١٨٥.
(٥) صفة الجنة لابن كثير، ص ١٠٣ بتصرف. وحادي الأرواح، ص ٢٣٤.



في الدنيا ولنا في الآخرة»(١).

وعن عبد الله بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»(٢).

٥- لباس أهل الجنة وحليهم:

لا عري في الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨، ١١٩]، واللباس في الدنيا من الملذات والشهوات، وهو في الجنة أعظم لذة وسعادة، فهم لا يحرمون أي نوع يريدون، ولا تبلى هذه الثياب أبدا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»(٣)، ولهم أفضل أنواع اللباس فمن ذلك:

- الحرير:

بأنواعه الرقيق منه والغليظ، قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ١٢]، ﴿...وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحج: ٢٣]، وقال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف: ٣١].

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب الأطعمة، باب الأكل من إناء مفضض، رقم: ٥١١٠)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، رقم: ٢٠٦٧).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (ومن دونهما جنتان)، رقم: ٤٥٩٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه، رقم: ١٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، رقم: ٢٨٣٦).



الدنيا ولنا في الآخرة»[١].

وقال سبحانه: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الدخان: ٥٣]، (السندس ما رق من الديباج والحرير، والاستبرق ما غلظ منه، وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به)[٢].

وقال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١]، (تأمل ما دلت عليه لفظه ﴿عَالِيَهُمْ﴾ من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يجمل ظاهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال)[٣]، وهذه الثياب لا تفصل في دكان ولا عند خياط، بل تخرج من ثمار الجنة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة خلقا تخلق أم نسجا تنسج؟ فضحك بعض القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مم تضحكون، من جاهل يسأل عالما؟»، ثم أكب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «أين السائل؟»، قال: هو ذا أنا يا رسول الله، قال: «لا بل تشقق عنها ثمر الجنة»، ثلاث مرات[٤].

وأما حليهم وأساورهم فهي كالتالي:

١ - الذهب:

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣].

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب الأطعمة، باب الأكل من إناء مفضض، رقم: ٥١١٠)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، رقم: ٢٠٦٧).

(٢) حادي الأرواح، ص ٢٣٧.

(٣) حادي الأرواح، ص ٢٣٨.

(٤) أخرجه أحمد (٢٧٢٧٦)، وقال محقق صفة الجنة، ص ١١٩: وسنده حسن بشواهده.



عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوؤه ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم»(١).

٢- الفضة:

﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: ٢١].

٣- اللؤلؤ:

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: ٣٣]، فأسور أهل الجنة بعضها من فضة وبعضها من ذهب وبعضها من لؤلؤ، وقال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحج: ٢٣]، وفي قراءة (ولؤلؤ)(٢) بالعطف على الذهب فيكون المعنى أن أساورهم من ذهب مرصع باللؤلؤ، فهذا نوع رابع من الأساور.

٦- فرش أهل الجنة وبسطهم ووسائدهم وسررهم:

أما الفُرُش:

فيقول تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن: ٥٤]، وتقدم معنا أن الاستبرق هو ما غلظ من الحرير، ففرش أهل الجنة باطنها من حرير، فإذا كان هذا باطنها فكيف هو ظاهرها؟ لا شك أنه أجمل وأكمل، قال عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أخبرتم بالبطائن فكيف بالظهائر؟!)(٣)، ويقول

(١) أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أهل الجنة، رقم: ٢٥٣٨) وسنده صحيح.
(٢) انظر: معجم القراءات القرآنية (٤/ ١٧٢).
(٣) البعث والنشور للبيهقي، ص ١٨٣.

سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ظواهرها من نور جامد)[١]، وهذه الفرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ [الواقعة: ٣٤].

وأما البسط:

فيقول تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ [الغاشية: ١٦]، والزرابي جمع زربي وهي البسط[٣]، وهي مبثوثة على شكل متسق متكامل.

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝٧٦﴾ [الرحمن: ٧٦]، العبقري، جمعها عباقر، وهي عتاق البسط، أي جيدها وخيارها وحسانها[٤]، والرفرف: رياض الجنة[٥].

وأما الوسائد:

فيقول تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ [الغاشية: ١٥، ١٦].

النمارق جمع نمرقة وهي والوسادة -وهي التي توضع تحت الرأس- وقيل المساند -وهي التي توضع خلف الظهر أو على الجنب- وقد يعمهما اللفظ[٦].

وهذه المخاد والوسائد مصفوفة ومعدة للاستناد إليها دائما، وترتيب الوسائد وصفها أجمل للناظر من المبعثرة، وهكذا وسائد أهل الجنة، فينعمون حتى بالنظر.

وأما سررهم وأرائكهم:

فيقول سبحانه: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾ [الطور: ٢٠].

---

(١) البدور السافرة للسيوطي، ص ٥٥٢.
(٢) حادي الأرواح، ص ٢٤٦.
(٣) لسان العرب (١/ ٤٤٧).
(٤) صفة الجنة لابن كثير، ص ١٢٣.
(٥) البعث والنشور للبيهقي، ص ١٨٣.
(٦) صفة الجنة لابن كثير، ص ١٢٣.



السرر:

جمع سرير وهو الذي يجلس عليه[١]، وقال الراغب: السرير الذي يجلس عليه من السرور، إذ كان ذلك لأولي النعمة، وجمعه أسرة وسرر[٢].

وذكر الله تعالى لهذه السرر ثلاث صفات[٣]:

١- ﴿سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍ﴾: فالسرر مصفوفة بعضها إلى جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض ولا بعيد عن بعض.

٢- ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوۡضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦﴾ [الواقعة: ١٥، ١٦]: ﴿مَّوۡضُونَةٍ﴾: أي مرصعة متقاربة ومنسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض، فسرر الجنة موضونة منسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد.

قال ابن عباس: سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، والسرير مثل ما بين مكة وأيلة.

٣- ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرۡفُوعَةٌ ۝١٣﴾ [الغاشية: ١٣].

قال الكلبي: طول السرير في السماء مائة ذراع، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع حتى يجلس عليها فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه.

وأما الأرائك فيقول تعالى:

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ۝٣١﴾ [الكهف: ٣١].

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١﴾ [ص: ٥١].

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ۝١٣﴾ [الإنسان: ١٣].

(١) لسان العرب (٤/ ٣٦١).

(٢) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ص ٤٠٥.

(٣) انظر: حادي الأرواح لابن القيم، ص ٢٥١، بتصرف.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: ٢٣، ٢٤].

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المطففين: ٣٤، ٣٥].

الأرائك جمع أريكة.

قال ابن عباس: (لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة)(١).

وقال مجاهد: (هي الأسرة في الحجال)(٢)، الحجلة: القبة من القماش تكون على السرير، مثل ما يصنع للعروس على سريرها من ضرب الستور والأقمشة على شكل القبة وتعلق فوق السرير(٣). فالأريكة سرير عليه الستور، يخلو به المؤمن بحبه.

٧- خدم أهل الجنة:

وأهل الجنة لهم خدم يقومون بخدمتهم كما يخدم الملوك، يطوفون عليهم في كل وقت بأشهى الأشربة والأطعمة والفاكهة في أجمل الأكواب والأباريق، يقول تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الواقعة: ١٧ - ٢٢].

وذكر الله تعالى الكثير من صفاتهم، وهي كالتالي:

١- **ولدان:** وهو جمع وليد، وهو الصغير من الأولاد الذي لم يبلغ الحلم(٤). قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الواقعة: ١٧].

---

(١) البعث والنشور، للبيهقي، ص ١٨٢.

(٢) البعث والنشور، للبيهقي، ص ١٨٢.

(٣) انظر: لسان العرب (١١/ ١٤٤) بتصرف.

(٤) مفردات الراغب، ص ٨٨٣.

٢- **وقد يطلق الوليد على الذكر دون الأنثى**[١]، ويدل أنهم ذكور قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ﴾، والغلام لا يطلق إلا على الذكر.

٣- **مخلدون**: وهم الذين لا يموتون[٢]، ولا يهرمون ولا يتغيرون[٣]، فهم على سن واحدة. قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: ١٩].

٤- ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾: قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور: ٢٤].

اللؤلؤ المكنون هو اللؤلؤ المصون الذي لم يخرج من صدفه[٤]، وهو في هذه الحال في غاية ما يكون من الحسن والجمال، فشبه الله تعالى الولدان باللؤلؤ المكنون لحسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن مناظرهم وملبسهم.

٥- ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾: قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: ١٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وشبههم سبحانه باللؤلؤ لما فيه من البياض وحسن الخلقة، وفي كونه منثوراً فائدتان:

إحدهما: الدلالة على أنهم غير معطلين بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم.

والثاني: إن اللؤلؤ إذا كان منثوراً ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعاً في مكان واحد)[٥].

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (أي يطوف على أهل الجنة

(١) لسان العرب (٣/ ٤٦٩).
(٢) التسهيل، لابن جزي (٢/ ٤٠٠).
(٣) حادي الأرواح، ص ٢٥٤.
(٤) التسهيل، لابن جزي (٢/ ٣٧٧).
(٥) حادي الأرواح، ص ٢٢٥.

للخدمة ولدان من ولدان الجنة، ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ أي على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن، ومن فرسهم بأنهم مخرصون في آذانهم الأقرطة فإنما عبر عن المعنى بذلك لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾، أي إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤا منثورا، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن. قال قتادة عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه)[١].

وقد اختلف العلماء في الولدان، هل هم من ولدان الدنيا أم أن الله ينشأهم في الجنة إنشاء؟

القول الأول: أنهم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة. وهو رأي علي بن ابي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ، وهذا القول ضعيف، فقد قدمنا -في مبحث أهل الجنة- أن أطفال المسلمين في الجنة من أهل الجنة مع آبائهم.

ثم إن في هذا بعداً من ناحية النظرية، لأن أهل الجنة إذا رأوا أبناءهم خدما سوف تنكسر قلوبهم وتضيق صدورهم، وما كان الله تعالى ليدخل الحزن على قلوب أهل الجنة، قال ابن القيم في قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾: (وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلماناً لهم)[٢].

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٦)، وانظر: الكشاف (٤/ ١٩٩).

(٢) حادي الأرواح، ص ٢٥٦.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أبناء الدنيا -يعني المسلمين- إذا دخلوا الجنة كمل خلقهم كأهل الجنة على صورة أبيهم آدم)[١].

القول الثاني: أنهم مخلوقون من الجنة كالحور العين.

ورجح هذا القول ابن تيمية[٢] وابن القيم[٣]

القول الثالث: أنهم أبناء المشركين: وهذا القول هو الراجح لدلالة الحديث الصحيح الصريح عليه، فعن ابي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين، فقال: «أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة»[٤]، وهذا من كمال العدل، فإن أطفال المشركين ليس لهم من الحسنات ما يدخلهم الجنة، وهم مهيئون ليصبحوا كفاراً عند كبرهم، ولكنهم ماتوا قبل ذلك على الفطرة، فلا يمكن أن يساوون مع المسلمين وأبناء المسلمين في المنزلة والكرامة، وهم لم يعملوا من السيئات شيئا بعد فلا يمكن أن يساووا مع آبائهم في المنزلة والمهانة في النار، فتكرم الله عليهم بأن جعلهم خدما لأهل الجنة، وكونهم خدما لأهل الجنة خيراً لهم من كونهم في النار، والله تعالى يحكم لا معقب لحكمه.

- إشكال: لماذا كان الخدم ولداناً ولم يكونوا نساء من الحور العين، مع أن النساء أكثر جمالاً وأجمل منظراً؟

الظاهر -والله تعالى أعلم- أن سبب ذلك هو أن الحور العين خلقن للاستمتاع بهن بالملامسة ومقدماتها لا للخدمة والامتهان، فلو كان الخدم من

---

(١) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٤/ ٢٧٩).

(٢) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٤/ ٢٧٩).

(٣) حادي الأرواح، ص ٢٥٦.

(٤) أخرجه ابن منده في المعرفة وأبو نعيم في الحلية وأبو يعلي في مسنده والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، وهو حديث صحيح بمجموع طرقه، وانظر تفصيل تخرجه في السلسلة الصحيحة للألباني (٣/ ٤٥٢).

الحور العين ويدخلن على أهل الجنة لخدمتهم لعل بعض أهل الجنة يشتهي إحداهن، ولكنه يستحي من قربانها لأنها خادمة، بينما الولدان لا يشتهون لأنهم أطفال صغار ذكور، ثم إن الطفل لا يستحيي منه، فعندما يدخل على ولي الله في قصره وهو جالس مع حوريته لخدمته، فإنه لا يستحي منه، ولا تأخذ الحشمة لأجلهن بينما لو كانت الخادمة من الحور العين فإن الحرج قد يقع، والله أعلم.

٨- في ذكر سماع أهل الجنة:

أهل الجنة ينعمون في الجنة بكل أنواع النعيم، حتى الآذان لها نصيب من النعيم، فهم لا يسمعون كلام اللغو ولا الكذب كما قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ [النبأ: ٣٥]، ويسمعون الغناء الجميل من الحوريات والألحان الجميلة من أشجار الجنات، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الروم: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٠].

قال يحيى بن أبي كثير: (الحبرة: اللذة وسماع الغناء)(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [يس: ٥٥].

قال ابن عباس رضي الله عنه: (شغلهم بسماع الأوتار)(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ الفكاهة المزاح والكلام الطيب، والمتفكه المتنعم(٣).

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة لمجتمعا للحور العين

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ٢١١، وانظر: حادي الأرواح، ص ٢٩١.
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٥).
(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٣١).



يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها، قال يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له»[(١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط، وإن مما يغنين: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعيان، وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنه»[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إن الحور العين ليغنين في الجنة، يقلن: نحن الحور الحسان، خبئنا الأزواج كرام»[(٣)].

وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن في الجنة نهراً طول الجنة، حافتاه العذاري قيام متقابلات، يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق، حتى ما يرون أن في الجنة لذة مثلها، قلنا: يا أبا هريرة، ما ذلك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل[(٤)].

٩- قصور الجنة وخيامها:

أما منازل أهل الجنة:

فإنها منازل عظيمة وقصور شاهقة، لبنة من ذهب ولبنة من قضة،

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في كلام الحور العين، رقم: ٢٥٦٤) سنده صحيح بشواهده كما قال ذلك محقق صفة الجنة لابن كثير، ص ١٣٧.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط بسند صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني (٢/ ٤٨)، رقم: ١٥٥٧، وصفة الجنة لابن كثير، ص ١٣٩، فقد صححه المحقق للكتاب، كما صححه السيوطي في البدور السافرة، ص ٥٧٤.

(٣) رواه البيهقي في البعث والنشور، ص ٢١١، والطبراني في الأوسط وسمويه في فوائده، انظر: صحيح الجامع الصغير (٢/ ٥٨)، رقم: ١٥٩٨.

(٤) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ٢١٣، وحسن إسناده محقق صفة الجنة لابن كثير، ص ١٩٢.

وملاطها[١] المسك، يرى باطنها من خارجها وخارجها من داخلها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [العنكبوت: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر: ٢٠].

قال ابن كثير: (أخبر عَزَّ وَجَلَّ عن عباده السعداء أن لهم غرفا في الجنة وهي القصور، اي الشاهقة ﴿مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات)[٢].

وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام وآلان الكلام وتابع الصيام وصلى والناس نيام»[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قلنا: يا رسول الله أخبرنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ملاطها المسك الأذفر، حصباؤها الياقوت واللؤلؤ، وتربتها الورس والزعفران، من يدخلها يخلد لا يموت، وينعم لا يبأس، لا يبلى شبابهم ولا تخرق ثيابهم»[٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٧].

(١) الملاط هو ما يوضع بين اللبنتين ليثبتهما، وهو كالإسمنت في عصرنا.

(٢) تفسر ابن كثير (٤/ ٤٩).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٣٩٨) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها، رقم: ٢٥٢٥)، وأحمد (٩٤٥١) واللفظ له وإسناده صحيح بشواهده. انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٢/ ٦٩٣)، كما صححه محقق صفة الجنة لابن كثير، ص ٤٤.



عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول ا لله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[(١)].

وعلى هذا فهذه الغرف التي ذكرت في الحديث أعظم من ناطحات السحاب في عصرنا.

وأما الخيام:

فهي خيام عظيمة عجيبة، ليست من قماش بل من لؤلؤة واحدة عظيمة مجوفة، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٧٢].

عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا»[(٢)]، ستون ميلاً طول عرضها من جهة إلى الجهة المقابلة مروراً بمركز هذه الدائرة، يعني أنه من مركز الخيمة إلى كل جهة طول ثلاثون ميلاً، وارتفاعها ثلاثون ميلاً.

عن عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً في كل زاوية منها، للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون»[(٣)]، إذن فهي على شكل نصف كرة، وهذا غاية في الجمال والكمال.

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٨٣)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب تراائي أهل الجنة أهل الغرف...، رقم: ٢٨٣١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة خيام أهل الجنة، رقم: ٢٨٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدأ الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٧١).

١٠- لهم ما اشتهت نفوسهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾ (الأنبياء: ١٠١، ١٠٢).

وقال سبحانه: ﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧﴾ (يس: ٥٧).

وقال جل ذكره: ﴿لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ١٦﴾ [الفرقان: ١٦].

وقال: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾ [الزخرف: ٧١].

وفي قوله سبحانه: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾ [الزخرف: ٧٠]، قال القرطبي: (تحبرون: تكرمون، قاله ابن عباس، والكرامة في المنزلة. الحسن: تفرحون. والفرح في القلب، قتادة: ينعمون، والنعيم في البدن، مجاهد، تسرون، والسرور في العين ابن أبي نجيح: تعجبون، والعجب ها هنا درك ما يستطرف، يحيى ابن أبي كثير: هو التلذذ بالسماع)[1]، والسماع في الأذن فلم يبق شيء من الحواس إلا وناله نصيبه الكامل من النعيم وهذا هو غاية النعيم وأكمله.

هذا غير ما خبأه الله عنا ولم يخبرنا به، ولعله قد أخفاه عنا لأن عقولنا لا تستطيع إدراكه والكلمات تعجز عن وصفه.

عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ -وفي لفظ لمسلم: إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل الله عَزَّ وَجَلَّ عن أخس أهل

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٧٤).



الجنة منها حظاصٌ- قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة: فيقال له: أدخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا، فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب.

قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلبي بشر. قال: ومصداقة في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ الآية[1].

١١- الفوز بنعيم الجنة لا يستلزم ترك متاع الدنيا:

ظن الرهبان وبعض العباد أن نعيم الآخرة لا يمكن أن ينال إلا إذا رفض العبد طيبات الدنيا وملاذها، ولذلك ترى هؤلاء يعذبون أجسادهم، ويشقون على أنفسهم فيديمون الصيام والقيام، وقد يحرم بعضهم الطيبات من الطعام والشراب واللباس، وقد يتركون العمل والزواج، وهذا فكر خاطئ فإن الله خلق الطيبات للمؤمنين، وذم من حرم زينة الله التي أخرج لعباده: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢].

والدنيا تذم إذا كانت شاغلاً عن الآخرة، أما إذا جعلها العبد معبراً ومدخلاً لنيل الآخرة، فالأمر ليس كما يظن بعض الناس، وانظر إلى الصالحين من قوم قارون عندما أنسته أمواله الآخرة قالوا له: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٨٩).



وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧]، فلم يأمروه بترك الدنيا كلها بل قالوا له: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾، وأقرهم رب العزة على هذه الكلمة وسطرها في كتابه عنواناً لمنهج رباني.

***



المبحث الثاني عشر

الحــور العــين

وفيه مطالب:

١- هل نساء الدنيا من الحور العين في الجنة؟

الحور العين غير نساء الدنيا، وإن كانت نساء الدنيا يصبحن في الجنة كالحور العين في الجمال أو يزيد، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: ٣٣]، أي أنشأهن الله بعد الكبر والعجز والضعف في الدنيا قصرن في الجنة شباباً أبكاراً عرباً متحببات إلى بعولتهن(١).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله أدع الله أن يدخلني الجنة، فقال: «إن الجنة لا يدخلها عجوز»، فذهب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم رجع إلى عائشة فقالت: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال: «إن ذلك كذلك، إن الله إذا أدخلهن جولهن أبكاراً»(٢).

٢- بماذا شبه الله الحور العين؟

شبه الله تعالى الحور العين بثلاث تشبيهات:

١- قال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٨، ٤٩].

قيل: إنه بيض النعام المكنون في الرمل، وهو عند العرب أحسن ألوان

---

(١) انظر: صفة الجنة لابن كثير، ص ١٢٧.

(٢) البعث والنشور للبيهقي، ص ١١٩، والطبراني في الأوسط وابن أبي شيبة وأبو نعيم في صفة الجنة وسنده حسن. انظر: صفة الجنة لابن كثير، ص ١٢٩، فقد حسنه محقق الكتاب.

البياض، وقيل: المراد به اللؤلؤ قبل أن يبرز من صدفه[١].

٢- قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة: ٢٢، ٢٣]: المكنون: أي المخبأ الذي لم يغير صفاء لون ضوء الشمس ولا عبث الأيدي، ولم تؤثر على لونه.

أي كأنهن اللؤلؤ الرطب المكنون في بياضه وصفاته، قال ابن جزي: (اللؤلؤ المكنون هو اللؤلؤ المصون الذي لم يخرج من صدفه)[٢]، وهو في هذه الحال في غاية ما يكون من الحسن والجمال فشبه الله تعالى الحور العين باللؤلؤ المكنون لحسنهم وبهائهن ونظافتهن وحسن منظرهن وملبسهن، وبياض الحور العين غاية في البياض حتى إن إحداهن لو خرجت إلى الدنيا لملأ نورها أرجاء المعمورة.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لروحه في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد -يعني سوطه- خير الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»[٣]، والنصيف هو الخمار، فإذا كان الخمار خيراً من الدنيا وما فيها، فما بالك بلابسته.

٣- وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن: ٥٨].

الياقوت والمرجان حجران كريمان جميلا، ولهما منظر حسن بديع.

قال الشوكاني: (شبههن سبحانه في صفاء اللون مع حمرته بالياقوت والمرجان)[٤].

---

(١) انظر: صفة الجنة لابن كثير، ص ١٢٧.

(٢) التسهيل لابن جزي (٢/ ٣٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد، والسير، باب الحور العين، رقم: ٢٦٤٣).

(٤) فتح القدير (٥/ ١٤٠).



(قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم: في صفاء الياقوت وبياض المرجان).[١]

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها» وذلك بأن الله يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمن: ٥٨]، فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لأريته من ورائه[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمن: ٥٨] قال: «ينظر إلى وجهه في خدها، أصفى من المرآة. وأن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنها تكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك»[٣].

وهذا المعنى -وهو صفاء بشرتهن وكون العظم يرى من وراء اللحم- ثابت في الصحيحين فعن محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أو لم يقل أبو القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب»[٤].

وذهب ابن كثير إلى أن المراد من هاتين بنات آدم، ومعها من الحور العين ما

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ١١٨).

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة، باب صفة نساء أهل الجنة، رقم: ٢٥٣٢) وقال: الموقوف أصح.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، (انظر: مختصر استدراك الذهبي على مستدرك الحاكم لابن الملقن (٢/ ٩٤٠)، وقال المحقق: صحيح لغيره).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر، رقم: ٢٨٣٤).



شاء الله[١]، والظاهر أن هاتين المرأتين ليستا من نساء الدنيا بل من الحور العين بدليل رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا تباغض بينهم ولا تحاسد، لكل امرئ زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم»[٢].

٣- صفاتهن الخَلْقية:

(أ) مطهرات من الأنجاس:

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥]، أي من الحيض والنفاس والبول والغائط والبصاق والمخاط والنخامة والمني والمذي والحدث وكل قذر وأذى يكون في نساء الدنيا[٣]، بل حتى إذا وطئها زوجها رجعت بعد نزعه طاهرة مطهرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً»[٤].

(ب) حور عين:

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الدخان: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة ٢٢، ٢٣]، الحور جمع حوراء،

---

(١) صفة الجنة لابن كثير، ص ١٣٢.

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري (كتاب بدأ الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٨١) وتقدم تخريج الحديث في مسلم.

(٣) انظر: البدور السافرة، ص ٥٥٤، وحادي الأرواح، ص ٢٥٨.

(٤) أخرجه ابن حبان وسنده حسن وانظر: تحقيق صفة الجنة لابن كثير، ص ١٤٣.

وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة نقية اللون والجلد لبياضها[١]، وهذا اللفظ مشتق من الحور، والحور أن يشتد بياض العين ويشتد سواد سوادها وتستدير حدقتها وترف جفونها مع شدة بياض الجسد، ولا تكون السمراء حوراء، قال الأزهري: لا تسمى حوراء حتى تكون مع حور عينيها بيضاء لون الجسد[٢]، وقيل: إن لفظ الحوراء مشتق من الحيرة، لأن الناظر إليها يحار من شدة جمالها، قال مجاهد: (الحور التي يحار الطرف فيها)[٣].

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الصافات: ٤٨]، وعين: (جمع عيناء وهي الواسعة العين)[٤]، (وجمعت أعينهن -مع السعة- صفات الحسن والملاحة)[٥].

(ج) أتراب في السن:

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [ص: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٧]. أتراب (أي أقران أسنانهن واحدة، مستويات على سن واحدة وميلاد واحد من الشباب والحسن، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن، ولا ولائد لا يطقن الوطء)[٦].

---

(١) حادي الأرواح، ص ٢٥٨.

(٢) لسان العرب لابن منظور (٤/ ٢١٩) بتصرف.

(٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ٢٠٣.

(٤) لسان العرب (١٣/ ٣٠٢)

(٥) حادي الأرواح، ص ٢٥٩.

(٦) حادي الأرواح لابن القيم، ص ٢٦١.

(د) أبكار

الحوار العين أبكار، كما قال: تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٦] والبكر أفضل من الثيب، فالأرض التي لم يرع فيها خير من أرض قد رعى فيها، وهذه البكارة تعود كلما قام عنها زوجها، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سئل: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنه رجعت مطهرة بكراً»(١).

(هـ) كواعب:

قال تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾﴾ [النبأ: ٣٣]، كواعب جمع كاعب، الكاعب هي المرأة التي تكعب ثديها،أي نهد واستدار(٢)، (والمراد أن ثُديُهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل، ويسمين: نواهد وكواعب)(٣).

وحسبك شهادة لجمالهن الباهر وأنه بلغ الغاية في الحسن والمنتهى في الجمال أن الله تعالى شهد بهذا فقال: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمن: ٧٠]، وحسان جمع حسناء.

٤- صفاتهن الخُلُقية:

(أ) قاصرات الطرف:

قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن:٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾﴾

---

(١) أخرجه ابن حبان وسنده حسن وانظر: تحقيق صفة الجنة لابن كثير، ص ١٤٣.

(٢) انظر: لسان العرب (١/ ٧١٩) والمفردات للراغب، ص ٧١٣، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٨٦).

(٣) حادي الأرواح لابن القيم، ص ٢٦٧.



[الصافات: ٤٨، ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [ص: ٥٢]، (والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم، قال مجاهد: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم. وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن)(١).

(ب) متحببات:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧].

عُرُب: جمع عروبة(٢) أو عربة أو عروب، وهي المرأة الحسناء المتوددة المتحببة لزوجها(٣) العاشقة له، (وقال أبو عبيدة: العروب الحسنة التبعل، يريد حسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع، وقال المبرد: هي العاشقة لزوجها)(٤).

(ج) جميع الأخلاق الحسنة الطاهرة:

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥]، أي مطهرة من الدنس الخارجي والداخلي، قال ابن كثير: (وكذلك طهرت أخلاقها وألفاظها ولباسها وسجيتها)(٥)، وقال ابن القيم: (طهر باطنها من الاخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من أن تطمح لغير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ)(٦).

---

(١) حادي الأرواح لابن القيم، ص ٢٦١

(٢) مفردات القرآن للراغب، ص ٥٥٧.

(٣) لسان العرب (١/ ٥٩١).

(٤) حادي الأرواح لابن القيم: ص ٢٦٦.

(٥) صفة الجنة لابن كثير، ص ١٢٥.

(٦) حادي الأرواح ابن القيم، ص ٢٥٨.

٥- التنعم بهن:

(أ) الملامسة:

وما يصاحبها من مقدمات وضم وتقبيل، وهذا لازم الملامسة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦﴾ [يس: ٥٥، ٥٦]، قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم: شغلهم افتضاض الأبكار[١].

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، وقال لأصاحبه: إن أقر لي بهذه خصمته، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطي قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع»، قال: فقال له اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حاجة أحدهم عرق يفيض من جلودهم مثل ريح المسك فإذا البطن قد ضمر»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله نفضي إلى نسائنا في الجنة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً».[٤].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ٣٠) وتفسر القرآن العظيم لان كثير (٣/ ٥٧٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد وسنده صحيح (رقم ١٩٦٥)، وقال الهيثمي: (رجال أحمد رجال الصحيح غير ثمامة بن عقبة، وهو ثقة)، انظر: مجمع الزوائد (١٠/ ٤١٦).

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط والبزار وأبو نعيم في صفة الجنة وإسناده صحيح على شرط مسلم، انظر: تحقيق صفة الجنة لابن كثير، ص ١٤٢.

(٤) أخرجه ابن حبان وسنده حسن، وانظر: تحقيق صفة الجنة لابن كثير، ص ١٤٣.



(ب) الحديث معهن:

فمن معاني قوله تعالى: ﴿فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾، أي مشغول بمحادثتها وكلامها ومسامرتها وممازحتها، ومذهول من طيب كلامها ومشغول بها عن الالتفات لغيرها، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله تعالى: ﴿فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾ الفاكهة المزاح والكلام الطيب، والمتفكه: المتنعم)(١).

(ج) سماع غنائهن:

قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠﴾ [الزخرف: ٧٠]، قال يحيى بن أبي كثير: (الحبرة اللذة وسماع الغناء)(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾ [يس: ٥٥]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (شغلهم سماع الأوتار)(٣)، وعن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أن في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها، قال: يقلن نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له»(٤).

وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط، وإن مما يغنين: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعيان، وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنه)(٥).

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٣١).

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ٢١١. وانظر: حادي الأرواح، ص ٢٩١.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٥).

(٤) أخرجه الترمذي كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في كلام الحور العين، رقم: ٢٥٦٤) سنده صحيح بشواهده كما قال ذلك محقق صفة الجنة لابن كثير ص ١٣٧.

(٥) أخرجه الطبري في الأوسط بسند صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني (٢/ ٤٨) ن رقم: ١٥٥٧)=

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الحور العين ليغنين في الجنة، يقلن: نحن الحور الحسان، خبئنا لأزواج كراما»[١]، وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إن في الجنة نهرا طول الجنة، حافتاه العذارى قيام متقابلات، بغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق حتى ما يرون أن في الجنة لذة مثلها، قلنا: يا أبا هريرة ما ذلك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل)[٢].

(د) التلذذ بجمالهن:

قدمنا أن من صفات الحور العين أنهن (قاصرات الطرف)، ومن معانيه أنهن قصرن أعين أزواجهن عليهن من شدة جمالهن فلا يطمح لغيرها ولا يلتفت عنها ولا يبتغي سواها، قد شغفته حباً، وامتلأ قلبه من حبها واكتنز وفاض حتى غمر جوارحه فلا ينظر لسواها.

وهذا من النعيم الكامل واللذة التامة، حتى العين لها نصيب وافر من النعيم واللذة، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: ٧١].

(هـ) التمتع بشم رائحتهن الزكية:

لا شك أن الرائحة الطيبة في المرأة مما يزيدها حبًا لزوجها، وهو من كمال اللذة والاستمتاع بهن والحور العين لهن من ذلك أوفر نصيب؛ حيث إن عبق

= وصفة الجنة لابن كثير، ص ١٣٩، فقد صححه المحقق للكتاب، كما صححه السيوطي في البدور السافرة، ص ٥٧٤.

(١) رواه البيهقي في البعث والنشور، ص ٢١١، والطبراني في الأوسط وسمويه في فوائده. انظر: صحيح الجامع الصغير (٢/ ٥٨)، رقم: ١٥٩٨.

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص ٢١٣، وحسن إسناده محقق صفة الجنة لابن كثير، ص ١٩٢.



طيبها لو خرج إلى الأرض لملأها مسكاً، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد -يعني سوطه- خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»(١).

إذن يكون التمتع بهن بجميع الحواس الخمس، وهذا من أعظم النعيم، حيث يفيض التمتع على جميع أجزاء جسده ويغمر كل ذرة في جسمه.

***

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين، رقم: ٢٦٤٣).

المبحث الثالث عشر
رؤية الجبار تبارك وتعالى (وهو أعظم نعيم الجنة) وزيارته جل جلاله ومخاطبته

(وهذه المسألة من أشرف وأجل مسائل أصول الدين وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وحُرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون)[١].

والآيات التي تدل على رؤية الله تعالى كثيرة، وهى أنواع :

١ - آيات الملاقاة:

* قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٣].
* وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤٤].
* وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [هود: ٢٩].
* وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩].
* وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسر هذه الآية: (من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبر به أحداً)[٢].

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٠٨).
(٢) حادي الأرواح، ص ٣٧٢.

* وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٦].

قال ابن القيم: (وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع؛ اقتضى المعاينة والرؤية)(١).

وعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه: «وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، ولا حجاب يحجبه، فليقولن له: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٧]، فقد قال ابن القيم: (ولا ينتفض هذه بقوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات يوم القيامة بل والكفار أيضاً كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة)(٣).

وقد ذكرنا الأحاديث التي تدل على ذلك في مباحث الصراط في مبحث ضرب السور بين المؤمنين والمنافقين، لما يغني عن إعادته، وبينا أن الصحيح أن المنافقين يرونه في العرصات، وأما الكفار فلا..

٢- آيات حرمان الكفار من رؤيته سبحانه:

بين سبحانه -في بعض الآيات- أنه يحرم الكفار من النظر إليه عقوبة لهم

---

(١) حادي الأرواح، ص ٣٢٨.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، باب الصدقة بالرد، رقم: ١٤١٣)، ومسلم (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق نمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، رقم: ٦٧).

(٣) حادي الأرواح، ص ٣٢٩.



على كفرهم، وهذا يدل بمفهومه أن المؤمنين يرونه سبحانه، إذ لو كان المؤمنون لا يرونه أيضاً لما كان لتخصيص الكفار بالحرمان فائدة، بل أصبح هذا الكلام من البعث الذي ينزه عنه الشارع، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ٧٧]، وقال تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

(قال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يُرى في القيامة ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار لأنهم يحجبون وقال مالك ابن أنس في هذه الآية: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه. وقال الشافعي: لما حجب قوماً بالسخط ؛ دل على أن قوماً يرونه بالرضا، ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا.

وقال الحسين بن الفضل: لما حجبهم في الدنيا عن نور توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته)[١].

وعن أشهب قال: (سأل رجل مالكاً: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب، فقرأ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، فقيل له: يا أبا عبد الله فإن قوماً يزعمون أن الله لا يرى، فقال مالك: السيف السيف)[٢].

٣- آيات المزيد:

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ

(١) انظر تفسير القرطبي (٩/ ١٧١) بتصرف.

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٥١٨) والبدور السافرة، ص ٦٠٢.



﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس: ١٦].

وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾)[1].

وقال ﷺ: «الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن»، وهذا الحديث متواتر يقطع بصحته[2].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ ٣٥﴾ [ق: ٣٥].

وأخرج اللالكائي عن علي وأنس رضي الله عنهما أن تفسير هذه الآية هو النظر إلى وجه الرحمن[3].

قال ابن كثير رحمه الله: (وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ ٣٥﴾ كقوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾)[4].

٤- الآيات الصريحة في النظر إلى الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

قال ابن عباس رضي الله عنه: (أي تنظر إلى وجه ربها)[5]، وروي هذا التفسير عن

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه، رقم: ١٨١).

(٢) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني، ص ٢٥٣ رقم: ٣١٠، حيث جاء مرفوعاً من طريق ستة من الصحابة وموقوفا على أربعة منهم، وجاء عن جماعة من التابعين، وقد خرج هذه الطرق السيوطي في البدور السافرة، ص ٥٩٩، وذكر أغلبها مسندة اللالكائي في شرح أصول، اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٠٣).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥١٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٨).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٥١٤).

الحسن وعكرمة ومجاهد ومحمد بن علي بن الحسين وزيد بن علي بن الحسين وقتادة والضحاك بن مزاحم[١] وغيرهم.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾: (هذا من النظر، أي إلى خالقها ومالك أمرها ناظرة، أي تنظر إليه، والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر)[٢]، (وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة (إلى) الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقته وموضوعه، صريح في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جَلَّ جَلَالُهُ)[٣].

وقد شغب بعضهم على الاستدلال بهذه الآية من وجهين:

١- أن قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾، أي منتظرة ومتوقعة، قال الزمخشري: (هو من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء)[٤].

وهذا كلام سقيم لا يستقيم، والرد عليه من أوجه:

(أ) هذا التفسير لم يقل به أحد من السلف بل مخالف لكلام السلف في تفسير هذه الآية كما تقدم.

(ب) ومن جهة اللغة لا يستقيم أيضاً، (فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صِلاته وتعديه بنفسه، فإن عدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾، وإن عدي بـ (في) فمعناه: التفكر

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٥١٣).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٣٦).
(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٠٩).
(٤) الكشاف (٤/ ١٩٢) ومثله القاضي عبد الجبار في كتابه تنزيه القرآن عن المطاعن، وقد نقل كلامه الذهبي في التفسير والمفسرون (١/ ٣٧٥).



والاعتبار كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وإن عدي بـ (إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر)[1].

٢ - ادعى بعضهم أن ("إلى" مفرد آلاء وهي النعمة)[2]، والرد عليه من وجوه منها:

أن هذا التفسير تكلف بارد للوي أعناق النصوص:

قال ابن كثير: (ومن تأول ذلك بأن المراد بإلى مفرد الآلاء وهي النعم، فقد أبعد هذا الناظر النجعة وأبطل فيما ذهب إليه وأين هو من قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل، ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾.

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا آدم، حدثنا المبارك عن الحسن ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢﴾ قال: حسنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ قال تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق)[3].

٥ - آيات العندية:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ (آل عمران: ١٦٩)، فقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ فيه إشارة إلى الرؤية، وقد بين هذا النبي ﷺ في تفسيره لهذه الآية.

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٠٩).
(٢) نقله الذهبي في التفسير والمفسرون (١/ ٣٨١) عن كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى.
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٠).

عن مسروق قال: سألنا عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ قال: أما إنا قد سالناه عن ذلك -يعني رسول الله- ﷺ فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم أطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا فقالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»(١) ومثله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

٦- آيات أخرى:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ودلالة هذه الآية على الرؤية من أوجه:

١- أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم وأعلم الخلق بالله في زمانه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال.

٢- أن الله تعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه، كما أنكر على نوح لما سأل ربه نجاة ابنه فأنكر عليه سؤاله وقال: ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، رقم: ١٨٨٧).



إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود: ٤٦، ٤٧].

٣ - أنه أجابه بقوله: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ولم يقل لا تراني، ولا أني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله، وهذا يدل على أنه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يُرى، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى، ويوضح هذا الوجه الوجه الرابع.

٤- وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له فى هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف.

٥ - (استقرار الجبل ممكن وقد علق عليه وقوع الرؤية، والمعلق على الممكن ممكن)[١] فالله تعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع في مقدوره بل هو ممكن وقد علق الرؤية له، لو كانت الرؤية محالاً قي ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته، فدل أن الرؤية ممكنة حيث علقها بالممكن، ولو كانت الرؤية محالا لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام، فالأمران عندكم سواء؟

٦- قوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾، وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى، فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب عليه ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه.

---

(١) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد الإسكندري (٢/ ١١٥)، موجود في حاشية كتاب الكشاف.

٧ – أن ربه سبحانه قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت الطوائف المنكرة للرؤية بين إنكار الأمرين فأنكروا أن يكلم أحدا أو يراه أحد، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه، وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه[1].

وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

والدلالة فيها وجهين:

١ – (أن الله تعالى إنما ذكر هذه الآية في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به، وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجوديا، كتمدحه بنفي السِنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن لكمال القدرة، ونفي الظلم المتضمن لكمال العدل وغيرها، ولهذا لا يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل سبحانه بأمر يشترك هو والعدم فيه.

فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار، والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض

(١) ذكر هذه الأوجه السبعة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في حادي الأرواح،ص ٣٢٧. ونقلها



؛ إذن المعنى أنه يرى ولكن لعظمته وجلاله لا يدرك ولا يحاط به)[(١)].

٢ - الإدراك هو الإحاطة، والإحاطة أخص من الرؤية، ونفي الخاص يستلزم إثبات العام، فنفي الإحاطة يستلزم إثبات الرؤية، إذ لو كانت الرؤية منفية أيضاً لقال: (لا تراه الأبصار) وهذا أبلغ، لأنه ينفي الرؤية والاحاطة، فالإنسان إذا كان، لا يمكن أن يرى الله فكيف يمكنه أن يحيط به في نظره وهو لا يراه أصلا، فتفي العام يستلزم نفي الخاص، ولكن الآية بلفظ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ وهذا نفي للخاص فيستلزم إثبات العام وهذا كقول القائل: ما أكلت جميع الطعام، فإنه يفهم منه أنه أكل بعضه، وكقول القائل: ليس عندى سيئات عظام، فيفهم منه أن عنده سيئات صغار، وكقوله: لم أسلم على الجميع الجالسين، فإنه يفهم منه أنه سلَّم على بعضهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه: ١١٠].

فالله تعالى نفي كونهم يحيطون علما به، ولم ينف مطلق العلم به، فنحن نعلم شيئاً من أسماء الله وصفاته وحقوقه وإن كنا لا نعلمها كلها، فقوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ يعني لا تحيط به، ويفهم منه أنها تراه ولكن لا تحيط به، وقد ورد في القرآن ما يدل أن الإدراك قد يكون منفيا مع وجود الرؤية[(٢)]، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

وهذا هو ما فهمه السلف من الآية:

(قال عكرمة أنه قيل له: لا تدركه الأبصار، قال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى، قال: فكلها ترى؟، وقال قتادة في الآية ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ وهو أعظم من أن تدركه الأبصار.

(١) حادي الأرواح لابن القيم، ص ٣٣٤، ونقلها عنه ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١/ ٢١٤).
(٢) حياة الحيوان الكبرى للدميري (٢/ ٢٠٧)، حادي الأرواح، ص ٣٣٥.

وقال عطية العوفي: هم ينظروا إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره محيط بهم فذلك قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾)(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣﴾ [المطففين: ٢٢، ٢٣].

قال بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ينظرون، قيل معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد، وقيل معناه ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣﴾ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار، ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾، فذكر عن هؤلاء أنهم يبيحون النظر إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وهم على سررهم، وفرشهم كما تقدم في حديث ابن عمر: «إن أدني أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله عَزَّ وَجَلَّ في اليوم مرتين»(٢).

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس: ٥٨].

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، قال: وذلك قوله الله: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾.

قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم»(٣).

هذه سبع عشرة آية تدل على إثبات رؤية الرحمن، ولم أجد من جمعها كلها في مكان واحد، فالحمد لله على توفيقه.

---

(١) انظر: حادي الأرواح، ص ٣٣٥، وتفسير ابن كثير (٢/ ١٠٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم: ١٨٤) وسنده ضعيف.



وأما الأحاديث فقد تواترت أحاديث الرؤية:

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ : (هذا من النظر، أي إلى خالقها ومالك أمرها ناظرة، أي نظر إليه، والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر)(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد ثبت رؤية المؤمنين لله عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها)(٢).

وفي نظم المتناثر من الحديث المتواتر ذكر أن أحاديث الرؤية وردت مرفوعة من طريق ثمانية وعشرين صحابياً ثم سرد أسماءهم(٣).

وقال ابن أبي العز الحنفي: (وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها)(٤).

وسوف اذكر بعض الأحاديث التي هى في الصحيحين أو أحدهما فقط، فقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن هذه المسألة بالذات، وأجابهم بأنه يرى -فلعنة الله على من كذب رسول الله-:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن أناساً في زمن النبي ﷺ قال: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال النبي ﷺ: «نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوء ليس فيها سحاب؟»، قالوا: لا، قال: «هل تضارن في رؤية القمر

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٣٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٠).

(٣) انظر: نظم المتناثر للكتاني، ص ٢٥٠، رقم/ ٣٠٧، وانظر: حادي الأرواح، ص ٣٣٧.

(٤) شرح الطحاوية (١/ ٢١٧).



ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟»، قالوا: لا، قال النبي ﷺ: «ما تضارون من رؤية الله ﷻ يوم القيامة إلاَّ كما تضارون في رؤية أحدهما...»[١].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال. رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه كذلك.....» [٢].

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر الى القمر ليلة يعني البدر فقال «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته...»[٣]، ولفظ البخاري عن جرير بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: إنكم سترون ربكم عياناً[٤].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[٥].

وتقدم معنا حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾، رقم: ٧٠٠٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم: ١٨٣).

(٢) متفق عليه: البخاري (كتاب التوحيد، باب قوله الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾) رقم: ٧٠٠٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم: ١٨٢).

(٣) متفق عليه: البخاري (كتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾، رقم: ٦٩٩٩)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضلا صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم: ٦٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، باب قوله الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢... ﴾، رقم: ٦٩٩٨).

(٥) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾، رقم: ٤٥٩٧) ومسلم (كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه، رقم: ١٨٠).



الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[١].

وأما الأحاديث التي في السنن والمسانيد والجوامع فهي كثيرة جداً، وهي متواترة كما قدمنا، وقد أفردها بعض العلماء بتأليف كالبيهقي في كتابه إثبات الرؤية[٢] وغيره.

والعقل لا يمنع ذلك بل هو جائز عقلاً[٣]، وقد قدمنا عن ابن القيم قوله أن من جاز أن يكلم جاز أن يرى.

إما الإجماع فقد نقله كثيرون منهم ابن كثير حيث قال: (وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام)[٤] وكذا نقله ابن القيم[٥] رحمه الله ونقله عن البيهقي[٦] وابن خزيمة[٧] وغيرهم.

وبعد هذا فإن الإنسان ليعجب من الذين ينكرون رؤية الله تعالى بعد أن ثبتت نقلا بصريح الكتاب وصحيح السنة المتواترة وعقلاً وإجماعاً، فلا زالت الإباضية -أحفاد الخوارج- ينتحلون مذهب المعتزلة في إنكار الرؤية[٨] وقد

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه، رقم: ١٨١).

(٢) ذكر في مؤلفات البيهقي في مقدمة تحقيق البعث والنشور لمحمد سعيد زغلول، ص ٨.

(٣) انظر حياة الحيوان الكبرى للمديري (٢/ ٢٠٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٠).

(٥) في حادي الأرواح، ص ٣٨٠.

(٦) حادي الأرواح، ص ٣٧١.

(٧) حادي الأرواح، ص ٣٧٨.

(٨) انظر: الموسوعة الميسرة في الديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف مانع الجهني (١/ ٦٣).



استدلوا لمذهبهم ببعض الشبه وهي كالتالي:

■ **الشبهة الأولى:**

قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فنفي الله إدراك الناس لله بأبصارهم قالوا: قد استدلت عائشة بهذه الآية على نفي الرؤية كما في الصحيحين.

عن مسروق عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: (من حدثك أن محمداً ﷺ رأي ربه فقد كذب، وهو يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب، وهو يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[١]).

الجواب:

١- قد قدمنا أن هذه الآية دليل عليهم لا لهم، وأنه يدل على رؤية الله من وجهين.

٢- لا يلزم من نفي الإدراك نفي الرؤية، لأن الإدراك أخص من الرؤية، ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، بل على العكس هو يستلزم ثبوت العام كما وضحنا هذا سابقاً.

٣- (الإبصار عموم وهو قابل للتخصيص، فيختص المنع بالكافرين كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[٢]).

٤- لو سلمنا لكم ذلك جدلاً فإنه إنما يقصد به نفي ذلك في الدنيا كما في حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال ﷺ: «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عَزَّ وَجَلَّ حتى يموت»[٣]، وأما في الآخرة فإن الرؤية ثابتة بالأدلة الصحيحة الصريحة،

---

(١) متفق عليه: البخاري (كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، رقم: ٤٥٧٤)، ومسلم (كتاب الإيمان باب معنى الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾، رقم: ١٧٧).

(٢) حياة الحيوان الكبرى للدميري (٢/ ٢٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، رقم: ٢٩٣١).



وورد هذا عن بعض السلف، (قال إسماعيل بن علية: يقول في قوله الله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ قال: هذا في الدنيا)[١].

٥- وأما أثر عائشة فإنها قصدت نفي رؤية الله في الدنيا، ولم تتعرض لنفي رؤية النبي ﷺ لربه في الآخرة، ولفظ الحديث عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه، هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمدًا ﷺ رأي ربه فقد كذب،ثم قرأت: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾، ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا﴾، ومن حدثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ الآية ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين)[٢].

٦- عائشة رضي الله عنها من الرواة الذين رووا أحاديث الرؤية في الآخرة[٣]، فلو كانت تنكره لما روته قال ابن كثير: (كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تثبت الرؤية في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا، وتحتج بهذه الآية: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾[٤].

■ **الشبهة الثانية:**

قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣][٥]:

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٠).

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) انظر: نظم المتناثر للكتاني، ص ٢٥١.

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٠).

(٥) تقدم ذكرها في ص ٦٤٤ للدلالة على الرؤية.



وهذا صريح في أنه لا يرى، و «لن» تستخدم لنفي المستقبل، فهو إذن لا يرى الآن ولا في المستقبل والمستقبل شامل لليوم الآخر.[١]

الجواب عليه:

١- هذا الدليل لنا لا علينا، وقد قدمنا أنه يدل على إثبات الرؤية من سبعة أوجه.

٢- أن المقصود بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، أي الآن في هذه الحياة الدنيا لأنه لا يرى أحد الله إلا بعد الموت كما في حديث ابن عمر السابق.

٣- أنه أجابه بقول: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل لا تراني، ولا أني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله، وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى.

٤- أن ﴿لَن﴾ تفيد نفي المستقبل لكنها لا تفيد تأبيد نفي المستقبل واستمراره، قال ابن هشام: (لن) لنفي (سيفعل)[٢]، ولا تقتضي تأبيد النفي ولا تأكيده، خلافاً للزمخشري[٣]، وعليه فلا يصح الاستدلال بالنفي بلن على نفي الرؤية يوم القيامة.

■ **الشبهة الثالثة: دليل عقلي:**

قال الزمخشري: (الرؤية إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان في

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١١٣) فقد ذكر معنى هذا الكلام.

(٢) أي لنفي الفعل المضارع الدال على المستقبل.

(٣) أوضح المسالك شرح ألفية ابن مالك (٤/ ٣) تحقيق النجار، وانظر: النحو الوافي لعباس حسن (٤/ ٢٩٩).



جهة، وما ليس بجسم ولا عرض فمحالٌ أن يكون في جهة)[1] يعني وما لم يكن في جهة فلا يرى.

الجواب:

هذه النتيجة بنفي الرؤية توصل لها عن طريق ثلاث مقدمات:

المقدمة الأولى: أن الله ليس بجسم ولا عرض.

المقدمة الثانية: الذي ليس بجسم ولا بعرض يستحيل أن يكون في جهة.

المقدمة الثالثة: الذي ليس له جهة فلا يمكن أن يرى.

النتيجة: أن الله لا يرى.

والرد عليه يكون بالرد على هذه المقدمات، والمقدمتان الأخيرتان صحيحتان، ولكن صحتهما تعتمد على صحة المقدمة الأولى، والمقدمة الأولى في غاية البطلان، والرد عليها من أوجه:

١- لا يجوز التقول على الله بلا علم، وصفات الله من أمور الغيب التي لا يمكن للعقل البشري إدراكها من غير توقيف[2]، فمن خاض بها من غير دليل فقد قال على الله ما لا يعلم، فمن أين لكم أن الله ليس له جسم ولا عرض ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

٢- الرجوع للعقل في هذا الباب مخالف لما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب وعلماء الدين، بل كانوا يرجعون في هذا إلى الكتاب والسنة فيثبتون لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله إثباتا بلا تمثيل، وتنزيها

(١) الكشاف الزمخشري (٢/ ١١٢).

(٢) تقريب التدمرية للشيخ ابن عثيمين، ص ١٣.

بلا تعطيل قال الإمام أحمد: (نصف الله بما وصف به نفسه ولا نتعدى القرآن والحديث)، بل إن الرجوع إلى العقل في هذا الباب مخالف للعقل،لأن الأمور الغيبية لا يمكن للعقل إدراكها[١].

٣- الذي ليس له جسم ولا عرض هو المعدوم، فوصف الله بالعدم من أعظم التنقص لله، فالله له ذات ولكن لا كذواتنا وله صفات لا كصفاتنا، والكتاب والسنة مليء بذكر الكثير من الصفات للرب جَلَّجَلَالُهُ، ومن كان له صفات كان له ذات إذ هذه الصفات لا تقوم بنفسها، وإثبات الصفات ليس خطأ بل هو عين الصواب لأنه إثبات ما أثبته الله لنفسه، وهل نحن أعلم بالله منه سبحانه بنفسه، ولكن الخطأ البشع الفاحش هو نفي ما أثبته الله لنفسه، والتقول على الله ما لم يقل، وتشبيه الله بالمعدوم.

٤- (وأما لفظ (الجهة) ليس في الكتاب والسنة إثبات هذا اللفظ ولا نفيه، فلا نثبته ولا ننفيه، وأما المعنى فينظر ماذا يراد بالجهة، أيراد بالجهة شيء مخلوق محيط بالله عَزَّوَجَلَّ فهذا معنى باطل لا يليق بالله سبحانه فإن الله لا يحيط به شيء من مخلوقاته فقد وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما، ولا يمكن أن يكون الله داخل شيء من مخلوقاته، أم يراد بالجهة ما فوق العالم، فهذا حق ثابت لله فإن الله تعالى فوق خلقه عال عليهم كما دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة)[٢].

وقد تكلم شارح الطحاوية على مبحث الفوقية كلاماً نفسًا لا مزيد عليه في أكثر من عشرين صفحة، بين فيها الأدلة من الكتاب والسنة وبين أنها تدل على علو الله تعالى وأنه فوق المخلوقات من عشرين وجه، وبين أن في القرآن أكثر من

(١) تقريب التدمرية، ص ١٣.

(٢) تقريب التدمرية، ص ٢٣.

ألف دليل على علو الله تعالى، وذكر كلام السلف واتفاقهم على علو الله تعالى[١]، ولولا أن هذا البحث ليس من مقاصد الرسالة لذكرته كاملاً لنفاسئه.

فإذا ثبت أن الله تعالى فوق خلقه بطلت مقدمتهم أن الله ليس في جهة، وعليه فتبطل النتيجة وهي أن الله لا يرى، والحق الأبلج الذي لا مرية فيه أن الله تعالى يرى يوم القيامة.

هذا وقد نقل العلماء كابن القيم والسفاريني وغيرهم عن أئمة السلف كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم القول بأن منكر الرؤية كافر[٢]، وهذا صحيح لأن منكر الرؤية راد للكتاب والسنة وخارق للإجماع.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فمن كذب بها -يعني الآيات والأحاديث الدالة على الرؤية- لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين)[٣].

***

---

(١) تقريب التدمرية، ص ٥٤.

(٢) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٣٧٥ إلى ٣٩٤).

(٣) انظر: حادي الأرواح، ص ٣٧٣، والعقيدة السفارينية (٢/ ٢٤٦).



المبحث الرابع عشر
أخر دعواهم

وبعد أن ينقضي الحساب ويستقر أهل الجنة في الجنة ويعرف الجميع قدر عظيم نعمة الله يحمدون الله تعالى على هذا التوفيق وهذه النعمة، فبعد انقضاء الحساب تحمد الملائكة ربها: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ (الزمر: ٧٥).

وبعد دخول أهل الجنة الجنة يقولون: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥].

وآخر دعواهم بعد استقرارهم فيها هي حمد الله: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠].

❊ ❊ ❊



الفهارس

- فهرس المراجع والمصادر.
- فهرس المحتويات.



فهرس المراجع والمصادر

١. الآيات البينات في عدم سماع الأموات، لنعمان الألوسي، تحقيق الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٠٥هـ.

٢. أشراط الساعة، ليوسف الوابل، الرياض، دار ابن الجوزي، ط ٨، ١٩٩٧م.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، دار الجبل، ط١.

٤. أضواء البيان، للشنقيطي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٩٨٨م.

٥. الإفحام لمن زعم إنقضاء عمر أمة الإسلام، لعبد الحميد هنداوي، القاهرة، دار الفضيلة، ١٤١٨هـ.

٦. أهوال القبور وأحوال أهل النشور، لابن رجب الحنبلي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٠م.

٧. البدور السافرة في أحوال الآخرة، للسيوطي، تحقيق محمد حسن الشافعي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١.

٨. بشرى المحبين بأخبار الحور العين، لسعد الحمدان، الرياض، مكتبة العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ.

٩. البعث والنشور، للبيهقي، تحقيق محمد بن بسيوني زغلول، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٨٨م.

١٠. التحديث بما قيل لا يصح فيه حديث، للغزي، تحقيق بكر بن عبد الله أبو زيد، السعودية، دار الهجرة، ط١، ١٩٩١م.

١١. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م.

١٢. التخويف من النار، لابن رجب، دمشق،ن دار الرشيد، ط١، ١٩٨٣م.
١٣. التذكرة في أحوال الآخرة، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق محمد البسطويسي، المدينة النبوية، دار البخاري، ط١، ١٩٩٧م.
١٤. ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير، رتبه عوني نعيم، الرياض، مكتبة المعارف، ط١١، ١٩٨٧م.
١٥. التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، تحقيق محمد سالم هاشم دار الباز، ط١.
١٦. التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي، عابدين، مكتبة وهبة، ط٥، ١٩٩٢م.
١٧. تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م.
١٨. تفسير القرآن، لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق محمد مسلم، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٩٨٩م.
١٩. تفسير القرآن، العظيم، للحافظ ابن كثير، القاهرة، مكتبة دار التراث.
٢٠. تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر، تحقيق أبو الأشبال الباكستاني، الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤١٦هـ.
٢١. تمام المنة ببيان الخصال الموجبة للجنة، لأبي الفضل الصديق الحسيني الإدريسي، تحقيق ميمونة بنت شبير بن نور، الرياض، دار الفرقان، ط١، ١٩٩٨م.
٢٢. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن السعدي، السعودية، مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢، ١٩٩٢م.
٢٣. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلمية، ط١.
٢٤. جامع الأصول، لابن الأثير، بيروت، دار الفكر، ط ٢، ١٩٨٣م.

٢٥. جامع البيان، لابن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، نشر دار المعارف، ط١.

٢٦. جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، لمحمد بن سليمان المغربي، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٨م.

٢٧. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، تحقيق السيد الجميلي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٥م.

٢٨. الحياة الآخرة، لغالب العواجي، مصر، دار لينة، ط١، ١٩٩٧م.

٢٩. حياة الحيوان الكبرى للدميري تحقيق أحمد بسج، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.

٣٠. الدروز في إسرائيل لمحفوظ عبد العال، الدار المصرية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٣م.

٣١. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٩٩٦م.

٣٢. الرحيق المختوم للمباركفوري، دار الحديث، ط١.

٣٣. الروح لابن قيم الجوزية، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط٤.

٣٤. الروض الريان في أسئلة القرآن، لشرف الدين ابن ريان، تحقيق عبد الحليم السلفي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٩٩٤م.

٣٥. الروضة الندية فيما ترادف وتوارد وتضاد من كلم وكلام اللغة العربية، جمعه وعرضه صالح العالي الصالح وزوجته، دار الناشرون العرب.

٣٦. الروضة الندية شرح الدرر البهية، لصديق خان، تحقيق محمد صبحي حلاق، الرياض، مكتبة الكوثر، ط١، ١٩٩١م.

٣٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٩٨٥م.



٣٨. سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الريان للتراث.

٣٩. سنن أبي داود، ترقيم محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية.

٤٠. سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة دار الحديث.

٤١. سنن النسائي، ترقيم أبو غدة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط ٣، ١٩٩٨م.

٤٢. شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، للحافظ هبة الله اللالكائي، تحقيق الغامدي، دار طيبة، ط٣.

٤٣. شرح صحيح مسلم، للنوري، بيروت، دار الفكر.

٤٤. شرح الصدر بشرح أحوال الموتى والقبور، للسيوطي، دار الباز، ط ٢.

٤٥. شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن علي بن أبي العز الدمشقي، تحقيق التركي، مؤسسة الرسالة، ط١.

٤٦. شرح لمعة الاعتقاد، لابن قدامة المقدسي، شرحها محمد بن صالح العثيمين، تحقيق أشرف عبد المقصود، الرياض، مكتبة طبرية، ط٣، ١٩٩٥م.

٤٧. الشفاعة عند أهل السنة، لناصر الجديع، الرياض، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٦م.

٤٨. صحيح البخاري، تحقيق محمد البغا، دار ابن كثير، ١٩٨٧م.

٤٩. صحيح مسلم، ترقيم فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٨٥م.

٥٠. صحيح سنن الترمذي للألباني المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٥١. صفة الجنة، لابن كثير، تحقيق أيمن الدمشقي، بيروت، مؤسس الكتب الثقافية، ط١، ١٩٩٣م.

٥٢. صفة الجنة، لابن أبي الدنيا، تحقيق عمرو عبد المنعم، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٦م.

٥٣. صفة النار، لابن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير يوسف، بيروت، دار ابن حزم، ١٩٩٧م.

٥٤. ضياء السالك إلى أوضح المسالك، لمحمد التجار، مكتبة العلوم والحكم.

٥٥. عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام، لأمين جمال الدين، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ط٢، ١٩٩٦م.

٥٦. عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم أبادي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م.

٥٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، القاهر، دار الرياض، ط١، ١٩٨٦م.

٥٨. الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل، للمساعاتي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٥٩. فتح القدير، للشوكاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، مصر، دار الوفاء، ط١، ١٩٩٤م.

٦٠. فقد جاء أشراطها، لمحمود عطية، السعودية، رمادي للنشر، ط٢، ١٩٩٧م.

٦١. في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، ط ١٣، ١٩٨٧م.

٦٢. قواعد التفسير جمع ودراسة، لخالد السبت، الخبر، دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧م.

٦٣. كتاب البعث، لابن أبي داود، تحقيق أبي إسحق الجويني، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٨م.

٦٤. كتاب المحتضرين، لابن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط١.

٦٥. كتاب العاقبة، لعبد الحق الإشبيلي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٥م.



٦٦. الكشاف، للزمخشري، دار الفكر، ط١.

٦٧. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، ط١.

٦٨. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، لمحمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، ط٣.

٦٩. مباحث العقيدة في سورة الزمر، لناصر بن علي الشيخ، مكتبة الرشد، ط١.

٧٠. المبشرون في القرآن والسنة، لسلمان الدحدوح، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٩٩٨م.

٧١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، حققه عبد الله الدرويش، بيروت، دار الفكر،ن ط ٢، ١٩٩٢م.

٧٢. مجموع فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين، جمع فهد السليمان، دار الوطن للنشر.

٧٣. محاسن التأويل، لمحمد القاسمي، تحقيق محمد عبد الباقي، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٩٩٤م.

٧٤. المحرر الوجيز، لابن عطية الأندلسي، طبعة المجلس العلمي فاس، ١٩٩٢م.

٧٥. مختصر استدراك الذهبي على مستدرك الحاكم، لابن الملقن، تحقيق اللحيدان، الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤١١هـ.

٧٦. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، تحقيق مصطفى عطي، مكة، مكتبة الباز، ط١، ١٩٩٠م.

٧٧. مسند أبي يعلي الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دمشق، دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٩٢م.

٧٨. مسند الإمام أحمد الشيباني، بيروت دار إحياء التراث العربي.

٧٩. المطالب العالية، لابن حجر، تحقيق الأعظمي، بيروت، دار المعرفة.



٨٠. معارج القبول بشرح سلم الأصول، للحكمي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩١م.

٨١. معالم التنزيل، للبغوي، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٩هـ.

٨٢. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجبل، ط١.

٨٣. مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٩٢م.

٨٤. منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود، للساعاتي، بيروت، المكتبة الإسلامية، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٨٥. منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري، لمحمد كندو، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٩٩٨م.

٨٦. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للهيثمي، تحقيق حسين أسد، دمشق، دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٩٠م.

٨٧. الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، مطبعة ذات السلاسل، ١٩٨٣م.

٨٨. موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي لسعدي أبو جيب، دار الفكر، ط ٢.

٨٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، لإشراف مانع الجهني، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط٣، ١٤١٨هـ.

٩٠. الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩١م.

٩١. النحو الوافي، لعباس حسن، مصر، در المعارف، ط٥.

٩٢. الندامة الكبرى، لأبي محمد الرملي، السعودية، دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٦م.



٩٣. نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧م.

٩٤. النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير، تحقيق محمد فهيم أبو عبية، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، ط١، ١٩٦٨م.

٩٥. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي وطاهر الزاوي، طبعة أنصار السنة.

٩٦. الوابل الصيب، لابن القيم، تحقيق بشير عيون، دمشق، مكتبة دار البيان، ط٤، ١٩٩١م.

٩٧. وضح البرهان في مشكلات القرآن، لبيان الحق النيسابوري، تحقيق صفوان داوودي، دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٩٠م.

٩٨. اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية واليهودية والإسلام، لفرج الله عبد الباري، المنصور، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٢م.

٩٩. اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، ليسر مبيض، الدوحة، دار الثقافة، ط١، ١٩٩٢م.

١٠٠. يوم القيامة أسماؤه وصفاته، لسلمان الدحدوح، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٩٩٨م. ص٦٧٩.

***



الفهرس

■ المقدّمَة ٥
■ التمهيد ١٣
– المبحث الأول: المقصود باليوم الآخر ١٥
– المبحث الثاني: بعث الناس لليوم الآخر من خصائص الربوبية ٢٣
– المبحث الثالث: كفر من كذب باليوم الآخر ٢٤
– المبحث الرابع: وجوب الإيمان باليوم الآخر ٢٦
– المبحث الخامس: أهل الكتاب يؤمنون باليوم الآخر ٢٧
– المبحث السادس: كفر من كذب باليوم الآخر في شرع من قبلنا ٣٠
– المبحث السابع: من الإيمان باليوم الآخر الخوف منه ٣٢
– المبحث الثامن: أهمية الإيمان باليوم الآخر وآثاره ٣٥
– المبحث التاسع: أثر الكفر باليوم الآخر ٤١
■ الباب الأول: ما قبل النفخ في الصور ٤٧
* الفصل الأولى: قبض الروح ٤٩
– المبحث الأول: حقيقة الروح ٥١
– المبحث الثاني: قبض الروح بالنوم ٥٤
– المبحث الثالث: فتح باب التوبة حتى الغرغرة ٥٦
– المبحث الرابع: كيفيه نزع الروح ٥٨
– المبحث الخامس: خروج روح المؤمن واحتضاره ٦١
– المبحث السادس: خروج روح الكافر واحتضاره ٦٩
* الفصل الثاني: المـــــوت ٧٧
– المبحث الأولى: الموت حق على كلى نفس ٧٩
– المبحث الثاني: الاستعداد للموت ٨١
– المبحث الثالث: سرعة انقضاء الأجل ٨٣

- المبحث الرابع: الصلاة على الميت ٨٤
- المبحث الخامس: الدعاء للميت ٨٦
* **الفصل الثالث: القبر** ٨٩
- المبحث الأول: الدليل على مشروعية قبر الإنسان ودفنه في التراب.. ٩١
- المبحث الثاني: زيارة المقابر ٩٥
- المبحث الثالث: سؤال الميت في قبره (فتنة القبر) ٩٦
- المبحث الرابع: عذاب القبر، وهلى هو على الروح أم على الجسد........ ١٠١
- المبحث الخامس: نعيم القبر ١١٣
- المبحث السادس: هل يسمع الميت في قبره؟ ١١٥
* **الفصل الرابع: علامات الساعة الصغرى في القرآن الكريم** ١٣٥
- المبحث الأول: بعثة النبي ﷺ ١٣٧
- المبحث الثاني: انشقاق القمر ١٣٩
* **الفصل الخامس: علامات الساعة الكبرى في القرآن الكريم** ١٤١
- المبحث الأول: نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٤٣
- المبحث الثاني: خروج يأجوج ومأجوج ١٥٤
- المبحث الثالث: الدخان ١٥٦
- المبحث الرابع: طلوع الشمس من مغربها ١٥٩
- المبحث الخامس: خروج الدابة ١٦٠
■ **الباب الثاني: النفخ في الصور وما بعده** ١٦٥
* **الفصل الأول: مقدمات** ١٦٧
- المبحث الأول: قرب قيام الساعة وكونها تأتي فجأة ١٦٩
- المبحث الثاني: إنكار المشركين في السابق، والشيوعيين ومن تابعهم في هذا العصر للبعث ١٧١
- المبحث الثالث: الأدلة النقلية والعقلية في الرد على منكري البعث.... ١٧٥

» المطلب الأول: الأدلة الشرعية في الرد على منكري البعث........................ ١٧٥

» المطلب الثاني: الأدلة الحسية في الرد على منكري البعث........................ ١٧٨

» المطلب الثالث: الأدلة العقلية في الرد على منكري البعث........................ ١٨٤

– **المبحث الرابع: أسماء يوم القيامة وصفاته والسر في كثرة أسمائه** ... ١٩٤

» المطلب الأول: أسماء يوم القيامة.. ١٩٤

» المطلب الثاني: صفات يوم القيامة.. ٢٠١

– **المبحث الخامس: هل البعث للأجساد وللأرواح أم للأرواح فقط؟** ٢٠٤

– **المبحث السادس: متى يبدأ يوم القيامة**... ٢٠٦

* **الفصل الثاني: النفخ في الصور**... ٢١٧

– **المبحث الأول: ما هو الصور؟**... ٢١٩

– **المبحث الثاني: عدد النفخات والخلاف في ذلك**................................ ٢٢٢

– **المبحث الثالث: الآيات التي يقصد بها النفخة الأولى، والتي يقصد بها الثانية، والتي تحتمل الأمرين**.. ٢٢٧

* **الفصل الثالث: البعث والحشر وأهوال القيامة وأحوال الناس فيها**.......... ٢٣١

– **المبحث الأول: المقصود بالبعث**.. ٢٣٣

– **المبحث الثاني: حشر الخلائق إلى الموقف العظيم**............................ ٢٣٤

– **المبحث الثالث: مكان الحشر (أرض المحشر)**................................... ٢٤٠

– **المبحث الرابع: صفة الناس في المحشر**.. ٢٤٢

– **المبحث الخامس: أهوال ذلك اليوم**... ٢٤٦

– **المبحث السادس: أحوال الناس يوم القيامة**..................................... ٢٥٧

» المطلب الأول: أحوال الكفار... ٢٥٧

» المطلب الثاني: عصاة الموحدين... ٢٨٢

» المطلب الثالث: الأتقياء الصالحون.. ٢٨٩

* **الفصل الرابع: الشفاعة**... ٢٩١

- **المبحث الأول: تعريف الشفاعة**.......... ٢٩٣
- **المبحث الثاني: من يملك الشفاعة**.......... ٢٩٦
- **المبحث الثالث: من الذي يشفع**.......... ٢٩٩
  » المطلب الأول: الملائكة.......... ٢٩٩
  » المطلب الثاني: نبينا محمد ﷺ.......... ٢٩٩
  » المطلب الثالث: ا لأنبياء والصالحون.......... ٣٠٠
- **المبحث الرابع: شروط الشفاعة**.......... ٣٠٢
- **المبحث الخامس: الشفاعة المقبولة والشفاعة المرفوضة**.......... ٣٠٤
- **المبحث السادس: أنواع االشفاعة المقبولة**.......... ٣٠٩

❊ **الفصل الخامس: الحســـاب**.......... ٣١٧
- **المبحث الأول: إيتاء العباد كُتُبَهم**.......... ٣١٩
- **المبحث الثاني: هل يسأل الكفار؟ ولماذا؟**.......... ٣٢٢
- **المبحث الثالث: الأمور التي يسأل عنها العبد**.......... ٣٣١
- **المبحث الرابع: القواعد التي يحاسب العباد على أساسها**.......... ٣٣٤
- **المبحث الخامس: أنواع الحساب**.......... ٣٤٠
- **المبحث السادس: إقامة الشهود على الناس**.......... ٣٤٨
- **المبحث السابع: الاقتصاص من الظالم للمظلوم حتى البهائم**.......... ٣٥٧
- **المبحث الثامن: إقامة الميزان ووزن الأعمال**.......... ٣٥٩
  » المطلب الأول: تعريف الميزان.......... ٣٥٩
  » المطلب الثاني: مذهب أهل السنة والجماعة في الميزان.......... ٣٦٠
  » المطلب الثالث: كم عدد الموازين؟.......... ٣٦٢
  » المطلب الرابع: ما الذي يوزن؟.......... ٣٦٤
  » المطلب الخامس: هل الوزن لجميع الناس؟.......... ٣٧٠

❊ **الفصل السادس: الحوض والصراط**.......... ٣٧٣

- المبحث الأول: ما هو الحوض وما اسمه؟ ٣٧٥
- المبحث الثاني: ما هو الصراط؟ ٣٧٨
- المبحث الثالث: هل يرد الكفار على الصراط؟ ٣٧٩
- المبحث الرابع: الورود على الصراط ٣٨٣
- المبحث الخامس: ضرب السور بين المومنين والمنافقين ٣٩٢
- المبحث السادس: الصراط وموقف المؤمنين منه ٤٠٣

■ **الباب الثالث: الجنــة والنــار** ٤٠٥

❊ **الفصل الأول: مقدمات** ٤٠٧
- المبحث الأول: خلود الجنة والنار ٤٠٩
- المبحث الثاني: الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن ٤٢٣
- المبحث الثالث: مكانهما ٤٢٥
  » المطلب الأول: مكان الجنة ٤٢٥
  » المطلب الثاني: مكان النار ٤٢٨
- المبحث الرابع: أصحاب الأعراف ٤٣٢

❊ **الفصل الثاني: النـــار** ٤٣٧
- المبحث الأول: أسماء النار ٤٣٩
- المبحث الثاني: خزنة النار ٤٤٧
  » المطلب الأول: عدد خزنة النار ٤٤٧
  » المطلب الثاني: أسماء خزنة النار ٤٥٠
  » المطلب الثالث: صفاتهم ٤٥٤
- المبحث الثالث: صفة النار ٤٥٦
- المبحث الرابع: كيفية دخول أهل النار النار ٤٧٤
- المبحث الخامس: أهل النار ٤٧٦
- المبحث السادس: ما أعد الله لأهل النار من عذاب ٥١٠



- المبحث السابع: كيف يتقي الإنسان النار ٥٣١

* الفصل الثالث: الجنـــة ٥٣٩

- المبحث الأول: أسماء الجنة ٥٤١
- المبحث الثاني: خزنة الجنة ٥٤٧
- المبحث الثالث: الذين دخلوا الجنة قبل يوم القيامة ٥٤٩
- المبحث الرابع: في عرض الرب سلعته على عباده ٥٥٢
- المبحث الخامس: في توحيد طريقها ٥٥٤
- المبحث السادس: الأعمال التي استحقوا بها الجنة ٥٥٦
- المبحث السابع: الجنة ليست ثمنا للعمل ٥٦٣
- المبحث الثامن: تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخول الجنة واقتصاص بعضهم من بعض ٥٦٧
- المبحث التاسع: صفه الجنة ٥٦٨
- المبحث العاشر: أهـل الجنـة ٥٨٩
- المبحث الحادي عشر: ما أعد الله لهم فيها ٦١٠
- المبحث الثاني عشر: الحور العـين ٦٤٤
- المبحث الثالث عشر: رؤية الجبار تبارك وتعالى (وهو أعظم نعيم الجنة) وزيارته جل جلاله ومخاطبته ٦٥٥
- المبحث الرابع عشر: أخر دعواهم ٦٧٥

■ الفهرس ٦٧٧

* فهرس المراجع والمصادر ٦٧٩
* الفهرس ٦٨٧

❊❊❊